COLUMBIA UNIVERSITY
THE
LIBRARIES
IN THE CITY OF NEW YORK
GENERAL
LIBRARY

الدكتور فيصل السامر

ثورة الزنج

ساعدت جامعة بغداد على نشره

المكتبة المركزية
جامعة بغداد

ثورة الزنج

ساعدت جامعة بغداد على نشره

ثورة الزنج

الطبعة الثانية

(مزيدة ومنقحة)

الدكتور فيصل السامر
كلية الآداب - جامعة بغداد

الناشر
مكتبة المنار - بغداد

ودار احياء التراث العربي - بيروت

١٩٧١

DS
76
.S3
1971

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية
تموز (يوليو) ١٩٧١

الى الباحثين عن الحقيقة ، العاملين على اظهارها ،
الهادفين نحو اخراجها الى مجال العمل .

تصدير الطبعة الاولى *

لعل الدافع الاول الذي دفعني الى اختيار هذا الموضوع ، هو ان الحركات الاجتماعية في الاسلام لـم تحظ بما حظيت بـه النواحـي السياسية والحربية من الاهتمام من جانب القدماء والمحدثين على السواء، حتى لقد اتهم الشرق الاسلامي بالعقـم والجمود ، فقيل انـه لم يشهد ما شهد الغرب المسيحي من القلق الاجتماعي والهزات الفكرية ، وبعبارة اخرى ان التاريـخ الاسلامي كان ـ في نظر البعض ـ مجرد مجازر وحروب ومؤامرات واغتيالات تدبر بطريقة غامضة ـ غموض الشرق ـ في قصور الخلفاء والامراء . وما زلنا نقرأ عن النهضة الاوربية والثورة الفرنسية والثورة الصناعية فنشعر بالاكبار والاجلال للشعوب الاوربية التي خرجت الى النور بعد كفاح مرير تعززه برامج فكريـة واجتماعية ما زالت حتى اليوم تثير القارىء الشرقي وتملأ نفسه بالاعجاب . وليس الذنب ذنب التاريخ الاسلامي ، بل هو ذنب المؤرخين الشرقيين المحدثين،

(*) كنت قد قدمت بحثا بعنوان «حركة الزنج واثرها في تاريخ الدولة العباسية» نلت به درجة الماجستير في التاريخ الاسلامي من جامعة فؤاد الاول (جامعةالقاهرة). وحين طلبت الي دار القارىء نشره في سلسلة منشوراتها ، ارتأيت ان احذف كثيرا من التفاصيل غـير الجوهرية وان أحور فيه قليلا فكان هذا البحث الذي نضعه بـين يدي القارىء .

الذين ما زال اكثرهم يحتذي حذو الاسلاف في كتابة التاريخ : سير الخلفاء والامراء والوزراء في حياتهم الخاصة بمعزل عن التيارات الاجتماعية والفكرية المعاصرة .

لقد اخذت على عاتقي ان اقدم للقارىء العربي هذا البحث المتواضع عن ثورة الزنج لاقيم الدليل على انه من الممكن جدا ان نكتب تاريخنا بأسلوب جديد يعير الحركات الاجتماعية اهمية كبيرة وينظر اليها بمنظار جديد غير المنظار الذي نظر به المؤرخون القدامى ، اعني اننا يجب ان نعتبرها خطوات خطتها الشعوب الاسلامية نحو تحسين اوضاعها ، بصرف النظر عن عدم انسجامها مع مصالح بعض الفئات . وليس هذا فحسب بل ان الامانة العلمية تدعونا الى ان نعطي الحدث التاريخي حقه لا اكثر ولا اقل ونضعه في مكانه الصحيح من السلم التاريخي دون مبالغة او تهويل او انسياق وراء الخيال . ان الحقيقة التاريخية هي الهدف الاول للباحث ويجب عليه ان يعلنها مهما كلفه الامر ، دون ان يتوقع رضى فريق او غضب فريق آخر . ومن ثم فقد هدفت في هذا البحث الى ان اضع «ثورة الزنج» في مكانها التاريخي الصحيح مستندا الى النصوص التاريخية بعد التحقيق والتمحيص ، كما حاولت جهدي ان تكون احكامي مجردة عن كل هوى او تحيز ، وهي صفة يجب ان يتحلى بها كل من يتصدى لكتابة التاريخ .

ان الصعوبة التي تعترض سبيل بحثي ، هي اهتمام المؤرخين القدماء بتفاصيل الاشتباكات الحربية بين الزنج والعباسيين ، دون ان يحاولوا بحث طبيعة الحركة ومبادئها وتنظيمات الدولة ـ القصيرة العمر ـ التي شكلها علي بن محمد «صاحب الزنج»، عدا بعض الاشارات الخاطفة المبعثرة هنا وهناك بين بطون المراجع . غير اني حاولت ان اقدم فكرة شاملة واضحة عن هذا الموضوع من جميع وجوهه ، فتناولت ـ علاوة على وجه الحركة العسكري ـ طبيعتها وبرنامجها وتنظيماتها

الداخلية وعلاقتها بالحركات الاخرى ، وهي نواحي غامضة لم يلق عليها بعد ضوء ساطع ينير مجاهلها • واني لا استطيع هنا ان ازعم باني وفيت الموضوع كل حقه ووصلت به الى الكمال ، بل اعتبر هذا العمل مجرد مجهود متواضع في ناحية من نواحي تاريخنا ، ارجو مخلصا ان يتصدى لها آخرون بالبحث والتحقيق المستفيضين (١) •

المؤلف

---

(١) يجد القارىء اني لم اجعل الهوامش ضمن صفحات البحث بل جمعتها في اخر كل فصل مرقمة حسب تسلسلها وذلك تسهيلا للقراءة والمراجعة .

تصدير الطبعة الثانية

ظهرت الطبعة الاولى لهذا الكتاب قبل سبع عشرة سنة (١) ، نفذت نسخها خلالها نفاذا تاما واختفت من المكتبات • وقد شجعني على اعادة طبع «ثورة الزنج» ذلك الالحاح النبيل والمتواصل من جانب المعنيين بالموضوع والقراء على حد سواء علىضرورة القيام بهذا العمل• ويمكن ان استشهد في هذا الصدد ببعض الامثلة :

١ ــ يقول الاستاذ احمد علبي في مقدمة كتابه «ثورة الزنج وقائدها علي بن محمد (بيروت ١٩٦١) : «وكتاب الدكتور السامر ، هو الدراسة الرصينة المسهبة التي تناولت ثورة الزنج ، وهي الوحيدة حسبما نعلم» •

٢ ــ وتساءل الاستاذ فؤاد دوارة (مجلة الكاتب ، العدد ١٧ ، اغسطس ١٩٦٢ ، ص ١٨١) : «ولكن ما ذنب القارىء الذي لم يطلع على كتاب الدكتور السامر ، وليس لديه الفرصة لذلك» ؟

٣ ــ ويقول المستشرق اليوغوسلافي الكسندر بويوفيتش (في مقدمة اطروحته عن ثورة الزنج التي نال بها الدكتوراه من السوربون في سنة ١٩٦٥) : «وتتجلى الدراسة المعمقة للموضوع في كتاب فيصل السامر «ثورة الزنج (بغداد ١٩٥٤) •• ان كتاب السامر يشهد بمجهود

(*) دار القارىء (مطبعة العاني ــ بغداد) ١٩٥٤ .

قيم يسعى صاحبه من خلاله ، وللمرة الاولى ، الى ان يرى ثورة الزنج من زاوية جديدة» .

وسوف يجد القارىء الكريم انني اعدت النظر في الطبعة الاولى اعادة شاملة ، فأضفت معلومات وملاحظات جديدة وصححت الاخطاء التي وقعت فيهـا ، واعتمدت على مراجع جديـدة ورجعت الى طبعات احدث وادق لبعض المراجع التي سبق ان اعتمدت عليها من قبل .

انني اذ اضع هذه الطبعة بين ايدي القراء ، ارجو مـن كل قلبي ان اكون قد وفقت الى استكمال النواقص وتلافي المآخذ التـي وردت في الطبعة الاولى ، والله من وراء القصد .

المؤلف

الفصل الأول

الزنج وأحوالهم الاجتماعية

الرق : نشأته وتطوره ـ الرق في الاسلام ـ
الزنـج واحوالهم الاجتماعية ـ اصناف الثوار

الرق : نشأته وتطوره :

عرف الرق كمظهر من مظاهر الحيـاة البشرية منذ اقدم العصور ، وظل قائما معترفا بـه اجتماعيا وقانونيا في كافـة المجتمعات الانسانية القديمة والوسيطة بل والحديثة ايضا . ولا شك أن الحرب كانت السبب الرئيس في قيام الرق في العصور القديمة ، فقد كان القوي يلـزم الضعيف بالعمل لمصلحته ولحسابه ، وكان المنتصر يسترق الاسرى لينتفع بهم في خدمتـه ، واخذ الرق يكتسب طابعـه الاجتماعي المعروف كلما اشتدت الحروب واتسع نطاقها ، وكثر ـ نتيجة ذلك ـ عدد الاسرى . وهكذا نجد الاسترقاق في مصر القديمة ووادي الرافدين ، وفي الهند حيث اعترفت به شريعة «مانو» ، وكذلـك في الصين وفارس وبـلاد العبرانيين حيث اعتبره انبياء اسرائيل من وسائل الثروة والغنى (١) .

وقد ادى تقدم الصناعة والعمل في بلاد الاغريق الى تطلب الايدي العاملة ، فاستورد الرقيق باعداد ضخمة من آسية الصغرى وتراقيا ، واصبحت تجارة النخاسة مصدرا للربح الرفير. واذا كان اسرى الحروب اتخذوا عبيدا في البيوت منذ اقدم العصور اليونانية ـ كما يدل شعر هومر ـ فان هذا لم يكون مظهرا اجتماعيا حادا . غير ان شراء الرقيق وتسخيرهم في العمل منذ القرن السابع قبل الميلاد برهن على انه من العوامل الاساسية التي هدمت كيان المدن اليونانية ، لذلك تميز النصف الثاني من القرن السابع بصراع عنيف بين السادة والعبيد (٢) . وانه على الرغم من تقدم الديمقراطية في اثينا في القرن الخامس ، فقد ظلت جميع الانظمة ـ وكذلك الفلاسفة ـ تعتبر الرقيق اداة لازمة لرفاهية المواطن الاثيني الحر .

ان توسع رومة وقيامها بالفتوحات شرقا وغربا ملأ ايطاليا بافواج هائلة من العبيد الاسرى الذين استخدموا في الزراعة تحت ظروف سيئة الى اقصى الحدود . وحين توقف التوسع الروماني ولم تعد الحروب موردا للحصول على ادوات الانتاج ، اخذ النخاسون والقراصنة يتصيدون العبيد في البحر الايجي وفي حوض البحر الابيض المتوسط الشرقي (٣) . وهكذا اغرق الريف في ايطاليا وصقلية بآلاف العبيد الذين كانوا يرزحون تحت وطأة العمل الشاق والاضطهاد الاجتماعي المرير ، مما ادى الى قيامهم بعدة ثورات خطيرة هددت الحكومة الرومانية في الصميم . ولعل اجدر هذه الثورات بالاشارة ثورتا العبيد في صقلية سنة ١٣٥ق.م وسنة ١٠٤ق.م وثورة سبارتاكوس سنة ٧٣ ق.م.

تجمع العبيد في صقلية سنة ١٣٥ ق.م بزعامة عبد سوري الاصل هو يونوس وآخر يدعى كليون ، فهبوا في وجه ملاك الاراضي يطالبون بحريتهم . وانضم الى العبيد جميع الهاربين والساخطين حتى بلغ جيش

الثورة ستين الفا عدا ، وشكل يونوس دولة وتلقب بلقب «انطيوخوس» واصدر نقودا وكون مجلسا يتولى تصريف شؤون دولتـه • واستطاع الثوار ان يستولوا على اكثر مدن صقلية ويهزموا عدة جيوش رومانية بين عامي ١٣٥ ــ ١٣٢ ق•م• وانه وان استطاع القنصل روبيليوس ان يقمع هذه الثورة ، لكنها اثبتت للمسؤولين خطر نظام قنية الارض (٤)، وكانت حافزا لحكومة روما على ان تقرر الغـاء الرق سنة ١٠٤ ق•م • غير ان دعوة الحكومة هذه كانت تتعارض مـع مصالح الاقطاعيين في صقلية ، فلم يقوموا بخطوة ايجابية في تحرير عبيدهم ، ومن ثـم تزعم اثينيون وسلافيوس جموع العبيـد في مزارع صقلية الواسعة واعلنا الثورة سنة ١٠٣ ق•م ، على نفس الاسس التي تميزت بها ثورة يونوس، ولاقت هذه الثورة الجديدة من النجاح ما لاقته سابقتها ، غير انها محقت في النهاية عام ١٠١ ق•م ، نتيجة وقوف الدولة في وجهها لحماية مصالح السادة المتنفذين (٥) •

على أن المجتمع الروماني شهد اخطر ثورة قـام بها العبيد عـام ٧٣ ق•م حين تصدى لزعامتهم رجـل تراقي الاصل يدعى سبارتاكوس كان جنديا في الجيش الروماني ثم ذاق مرارة العبودية وتعرض للاضطهاد والتعذيب في مستعمرات العبيد المصارعين • ذلك ان الرومان كانـوا يدربون العبيد ويستخدمونهم في مصارعة الحيوانات الضارية ، ليتسلوا بمنظر الدماء تراق في ملاعب روما • واستطاع سبارتاكوس ان يجمع تحت زعامته افراد اربع وسبعين مستعمرة من مستعمرات العبيد فانسحب بهم الى قمة فيزوف • وانضم الى الثوار العبيد الزراعيون والاباق من التراقيين والغاليين والجرمان • وقد فشلت جميـع محاولات الحكومة الرومانية في هزيمة العبيد ، حتى اصبـح هؤلاء سادة القسم الجنوبي من ايطاليا باجمعه • غير ان كراسوس استطاع سنة ٧١ ق•م ان يحاصر الثائرين ويمنع عنهم المؤن ، ويشتت شملهم بعد حصار دام ستة اشهر •

وقد برهن سبارتاكوس وصحبه على بسالة نادرة وخروا صرعى في «ابوليا» ، وانهى كراسوس هذه المجزرة بعمل وحشي لا يغتفر ، فقد شنق ستة آلاف من العبيد ـ وهم كل من تبقى من جيش العبيد الضخم ـ على طول الطريق من كابوا الى روما (٦) .

ظل الرق سائدا في روما وساعد على استفحاله كثرة الحروب التي خاضتها الدولة الرومانية ، وكان النخاسون يرافقون الجيوش الغازية ، وكثيرا ما كان يتم بيع آلاف الاسرى عقيب فوز عظيم بثمن بخس ، فيقبل النبلاء والاغنياء على اقتنائهم . غير ان الحكومة الرومانية خطت خطوة ايجابية في هذا السبيل فحرمت خطف العبيد ، كما ان فلسفة الرواقيين الانسانية عملت على تحسين احوالهم . وانه وان لم يلغ الرق فقد تحول الى قنية واصبح العبد في ايام الامبراطورية الاخيرة يتمتع بقسط من الحرية ويشارك اسياده في الولوع الفنية والثقافية كما اظهر كثير من العبيد براعة خاصة في الحرف والصناعات (٧) .

اما في العصور الوسطى فعلى الرغم من بعض المحاولات التي قام بها بعض الاباطرة امثال فالنتيان لتحسين حال الارقاء ، وما صاحب انتشار المسيحية من الدعوات الانسانية ، فان الرق كوّن مظهرا اجتماعيا بارزا في مدنية اوربا الوسيطة . بل اننا نجد الكنيسة الجرمانية تقف موقف المتفرج من نشاط النخاسين اليهود في تصديرهم العبيد الى البلدان الاسلامية (٨) . لقد كانت الزراعة ـ طوال العصور الوسطى ـ تقوم على نظام القنية ، وكان الاقنان طبقة اشبه بالعبيد ، بل ان هاتين الطبقتين امتزجتا معا ، وكانتا احط طبقات المجتمع الاوربي (٩) .

واذا كان المورد الاساسي للرقيق في العصور القديمة والوسيطة هم اسرى الحروب ، فان حركة الاستكشاف وما تلاها من الاستعمار فتحا بابا جديدا للرق ، حيث اخذ الاوربيون يجلبون الزنوج الافريقيين لتشغيلهم في المستعمرات (١٠) . ان الرق الحديث الذي مارسته الدول

الاوربية كاسبانيا والبرتغال وفرنسا وهولندا وبريطانيا ليصم الحضارة الغربية بوصمة العار ، ذلك ان الرق في العصور الحديثة كان يفوق الرق القديم بشاعة ووحشية ، فقد عومل الزنوج في مزارع قصب السكر والقطن والتبغ كما لو كانوا مجردين عن الروح والشعور (١١) • ولم يبدأ الضمير الاوربي في الاستيقاظ حتى القرن التاسع عشر حين حرم الرق كلية في البلدان الاوربية • وما زال التمييز اللوني قائما في الولايات المتحدة الامريكية وبخاصة في الجنوب ، واذا رجعنا الى «القانون الاسود» لولاية لويزيانا نجد انه كان من اصرم القوانين الخاصة بالرقيق حتى كان للسيد الحق المطلق في بيع عبده واجارته ورهنه وخزنه والمقامرة عليه (١٢) •

الرق في الاسلام :

قام العبيد بدور خطير في التاريخ الاسلامي ، ونحن نقابل في جميع مراحله عبيدا او موالي شغلوا مكانا بارزا في الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية • لقد كانت هذه الطبقة ـ منذ ظهور الاسلام ـ من الطبقات النشيطة الفعالة في جميع المجالات ، فظهر بين افرادها قواد عظام وامراء كبار ومفكرون وفنانون نابغون •

كان المصدر الرئيس للرق في الاسلام الحروب التي خاضها المسلمون ضد الدولتين الفارسية والبيزنطية ورعاياها ، فاذا انتصر المسلمون على جيش معاد او فتحوا بلدا من البلدان عنوة بعد مقاومة ضارية من اهله ، عمدوا الى استرقاق الاسرى باعتبارهم غنائم حرب واقتسموهم بينهم بعد انتأخذ الدولة حصتها منهم وهي الخمس (١٣)• ذلك ان القرآن الكريم جوز ضرب رقاب الكفار او استرقاقهم او مفاداتهم او المن عليهم بحريتهم (١٤) •

وتزودنا المصادر بأمثلة عديدة عن تطبيق هذه الاحكام بحسب

موقف اهل البلاد المفتوحة . فقد أمن المسلمون اهل البلاد المفتوحة صلحا على انفسهم واموالهم وحفظوا لهم حريتهم كما جرى في حمص وبصرى وفحل وطبرية ودمشق وارض السواد وكثير من مناطق المشرق (١٥) .

ومن جهة اخرى عمد الفاتحون المسلمون الى قتل الاسرى الذين قاتلوهم بعناد كما جرى عند فتح الاسكندرية على يد عمرو بن العاص الذي «دخلها بالسيف عنوة فقتل المقاتلة وسبى الذرية» (١٦) .

ومن جهة ثالثة قام المسلمون باسترقاق اسرى الحرب في المناطق التي فتحوها عنوة ،، فقد بلغ سبي سجستان ايام المنصور زهاء ثلاثين الفا، وبلغ سبي قيساريةاربعة آلاف «قسموا على يتامى الانصار»(١٧). كما ان المسلمين استرقوا محاربي بعض المناطق التي قاومتهم ، لكنهم لم يلبثوا ان حرروهم بعد ان توطدت سلطتهم (١٨) .

واذا كان الاسرى كثيرين بيعوا جملة ، وقد بيع الاسير اثر بعض الانتصارات بثمن بخس قد يصل الى درهم واحد (١٩) . وعلاوة على اسرى الحروب كان بعض العمال وبخاصة في افريقية وتركستان ومصر يؤدون بعض خراجهم من الرقيق ، وكان بعض اهل الكتاب يقدمون الرقيق من اولادهم على سبيل الجزية (٢٠) . ويروي المسعودي (٢١) : ان الفاتحين المسلمين صالحوا النوبة على رؤوس من السبي معلومة ، وظلوا يستلمون سنويا حتى القرن الرابع مئات الرؤوس من العبيد .

ان الاسلام لم يضع حدا للرق لكن القرآن نصح بحسن معاملتهم ودعا المسلمين الاتقياء الى تحريرهم ، وهناك عدد من الآيات اوصت بتخفيف الحد على الارقاء وحضت على الرفق بهم (٢٢) . وقد اثر عن الرسول جملة احاديث تدل على ميله الى تحسين حال هذه الطبقة والرغبة في تحريرها ، منها قوله : «الصلاة وما ملكت ايمانكم» و«اتقوا الله في الضعيفين المملوك والمرأة» ، «ولقد اوصاني حبيبي جبرائيل بالرفق

بالرقيق حتى ظننت ان الناس لا تستعبد ولا تستخدم» و«اتقوا الله فيما ملكت ايمانكم» و«اخوانكم خولكم (اي خدمكم) جعلهم الله تحت ايديكم فمن كان اخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ويلبسه مما يلبس» (٢٣) • وورد للغزالي في هذا المعنى قوله (٢٤) : «كان اخر ما وصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : « اتقوا الله فيما ملكت ايمانكم ، اطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون ، فما احببتم فامسكوا وما كرهتم فبيعوا ، ولا تعذبوا خلق الله فان الله ملككم اياهم ولو شاء لملكهم اياكم » •

كانت الاسرة الاسلامية الميسورة الحال تقتني الرقيق من البيض والسود باعتبارهم مصدرا للثروة والرفاهية والجاه • وانتشر الرقيق الابيض ــ من الروم وغيرهم ــ في قصور الخلفاء والامراء والاغنياء حتى كانت امهات بعض الخلفاء «امهات ولد» من غير الجنس العربي • واذا اردنا ان نبحث عن مكانة العبد في المجتمع الاسلامي يجب ان نأخذ بنظر الاعتبار ملاحظة هامة هي ضرورة التفريق بين الاحكام الفقهية النظرية التي نظمت احوال الرقيق وبين حالتهم الواقعية وأوضاعهم الاجتماعية الفعلية • ذلك ان السادة لم يكونوا مثاليين دائما ، ولم تكن آيات القرآن وأحاديث الرسول وأحكام الفقهاء لتستطيع حملهم على معاملة عبيدهم بما هو واجب ــ دينيا ــ من الرفق والتسامح • ومن ثم سنبحث الاحكام الفقهية النظرية ثم نجمل الاوضاع الاجتماعية للرقيق في الاسلام •

لم يكن للعبد كيان اجتماعي مستقل او شخصية متكاملة ، بل كان يعتبر جزء من متاع سيده وثروته اكتسبه بالشراء او الارث او الهبة شأن اية ثروة اخرى • وفي وسع السيد ان ينقل هذه الثروة ــ اي العبد ــ الى غيره بنفس الوسائل القانونية التي اكتسبها بها ، ذلك ان

وصية السيد بخدمة رقيقه وغلته جائزة وهو يحسب مع الارث اي انه يورث (٢٥) . ويستطيع المالك ان يوصي بعبده لرجل وبخدمته لآخر، اي ان العبد يمكن ان يكون ملكا بين شخصين او اكثر (٢٦) . ولما كان العبد ثروة مطلقة لسيده فهو يستطيع ان يبيعه او يرهنه كما يرهن المتاع او يبيعه (٢٧). وكان العبد اذا اذنب يضرب نصف ما يضرب الحر (٢٨).

اما حقوق العبيد في الاسلام فان الطفل الذي يولد للمسلم من امته يكون حرا ولا يجوز للرجل ان يبيع الامة ام الولد ، التي لا يمكن ان تباع او توهب والتي تغدو حرة بموت سيدها (٢٩) . واذا كان العبد بالغا راشدا امكنه ان يتقلد منصبا ، ومع ان المبدأ ان يكون ما يحصل عليه العبد لسيده ، فهو يستطيع ان يحتفظ بشيء من كسبه يوفره لنفسه (٣٠) . ويسع العبد ان يتزوج بأمة كما ان في وسع الامة ان تخطب الى رجل حر او عبد ، الاان اولادها يكونون عبيدا لسيدها. اما الصداق فيدفعه العبد من المال الذي وفره من عمله وخدمته او يدفعه عنه سيده (٣١) .

وينظر القرآن والسنة الى تحرير العبد كعمل من اعمال التقوى يثاب عليه المرء ، ويستطيع السيد ان يعتق عبده بأية صيغة يشاء على ان لا تكون غامضة (٣٢) . وقد اوجد الاسلام طريقة للعتاق هي المكاتبة وهي تشبه تماما العقود المعروفة في القانون الروماني باسم PECULIUM (٣٣) ، وهي ان يحرر السيد عبده اذا دفع له هذا مبلغا يتفقان عليه من المال ، بممارسته مهنة ما تدر عليه المال اللازم. وقد نص القرآن على المكاتبة على مبلغ معين ولا ينال العبد حريته الا اذا ادى جميع هذا المبلغ (٣٤) . والمكاتب او المكاتبة لهما مطلق الحرية في العمل والتنقل وليس لمولاهما ان يمنعهما من ذلك (٣٥) . وللعبد ان يمارس عملا او حرفة ، على ان يؤدي لسيده حصة من مكسبه تدعى غلة او ضريبة او خراجا .

يظل العبد المعتق مرتبطا بسيده بالولاء ، وقد اثر عن الرسول انه قال : «الولاء لمن اعتق» (٣٦) ، سواء في ذلك الرجال والنساء ، وسواء من عتق بقول مولاه ، او بعتاق عنه بأمره في حياته ، او بعد وفاته ، او باداء مكاتبه اليه ، او باداء مال اليه اعتقه عليه (٣٧) • وليس الولاء مجرد ارتباط العبد بسيده بروابط عاطفية واجتماعية فحسب ، بل تترتب عليه التزامات قانونية معينة • من ذلك ان يأخذ السيد ما تركه عبده المعتق من ثروة في حالة عدم وجود وارث له ، كما ان السيد هو الوصي الطبيعي على عبده المعتق وعلى ذريته (٣٨) • ومن هنا نلاحظ ان الولاء مرحلة بين الرق والحرية •

الزنج واحوالهم الاجتماعية :

نستطيع ان نقسم العبيد في العالم الاسلامي الى نوعين : عبيد البيوت وهم الخصيان ، وكانوا احسن حالا وربما شاركوا اسيادهم في اهتماماتهم وتمتعوا بطيبات الحياة ، وكتل العبيد الكبيرة الذين سخروا للعمل في الاقطاعيات الزراعية في العراق الادنى وكانوا في وضع اجتماعي بائس • واذا كانت الشريعة الاسلامية قد اشترطت ان يستعبد الاسرى في حالة حرب شرعية مع الكفار بعد الانذار والاشهار (٣٩) ، فان التطور الاقتصادي الذي شهده العالم الاسلامي من ناحية ، وتغلب المصالح المادية على الشعور الديني من ناحية ثانية ، اديا الى قيام نوع جديد من الرق لم يكن مشروعا ولا مقبولا هو النخاسة ، او تجارة الرقيق التي انتشرت في اسواق الشرق وبخاصة في بغداد ، وما صاحبها من صناعة الخصيان من الافريقيين او صقالبة الحبشة وأوربا في العصر العباسي (٤٠) ، مما كان ينافي جميع المعايير الحضارية والانسانية (٤١)•

كانت افريقية الشرقية ــ وبخاصة اجزاؤها الساحلية ــ خير مورد

للنخاسين المسلمين يحصلون منه على العبيد السود ، كما ظلت قبلة تجار الرقيق الاوروبيين حتى وقت قريب (٤٢) • ولما كانت ثورة الزنج ـ موضوع البحث ـ هي ثورة العبيد الافريقيين في وجوه أسيادهم ، فانه يتحتم علينا ان نلقي نظرة سريعة على بلادهم الاصلية التي انتزعوا منها ، ونجمل مظاهر هذه التجارة التي كونت عيبا اساسيا من عيوب المجتمع الاسلامي الوسيط •

جلب تجار الرقيق المسلمون العبيد السود من ساحل افريقية الشرقي ، وهي ارض الزنج التي اطلقها العرب على زنجبار او زنزبار ، وجزء من المنطقة الواقعة قرب مدخل البحر الاحمر والحبشة ، بالاضافة الى مساحات اخرى في افريقية الداخلية • وكان هذا الساحل خاضعا للنفوذ العربي منذ اقدم العصور (٤٣) ، وكان الاعتقاد السائد ان ليس وراء بلاد الزنج زرع او ضرع • ولما كان لفظ الزَنج (او الزِنج) (٤٤) يطلق احيانا على جميع العبيد السود ، قيل ان بلادهم تمتد من الاجزاء الشرقية لافريقية حتى الحبشة تقريبا ، وبعبارة اخرى كل بلاد العبيد التي عرفها العرب القدماء والتي تشمل جزء من الاراضي الممتدة على النيل ، حيث عاشت شعوب وعشائر مختلفة (٤٥) •

اسس العرب المسلمون منذ سنة ٧٢٠ م (١٠٢ هـ) مستعمرات اسلامية على ساحل افريقية الشرقية بين LAMU ونهر RUFU ، فلما أهل العصر العباسي ونشطت الحركة التجارية على طول السواحل الغربية للخليج العربي ، قامت علاقات تجارية مع مدغشقر وافريقية الشرقية بصورة عامة ، وتأسست نتيجة لهذه العلاقات مستوطنات عربية اسلامية جديدة على طول ساحل الصومال في لامو ومومباسا وزنزبار (٤٦) وموزنبيق ، بل ان النفوذ الاسلامي وصل في وقت متأخر الى الزنبيزي بحيث قامت صلات تجارية مع مونوموتابا وهي روديسيا الحديثة (٤٧) • وقد عرف العرب ـ نتيجة لذلك ـ زنوج الباتتو وهم

اكبر مجموعة زنجية في افريقية ، وسموهم بالكفار (٤٨) ، ومن ثم قامت تجارة الرقيق الاسلامية التي هدفت الى الحصول على اكبر عدد من زنوج الباتتو لتجهيز القصور بالخصيان ، وتوفير الايدي العاملة في الاقطاعيات الزراعية (٤٩) .

ويبدو ان العرب لم يكونوا هم المؤسسون لهذه النخاسة ، بل ان افريقية طالما كانت معينا للعبيد منذ أقدم العصور ، كما يتضح من البقايا التي عثر عليها في قبور مصر السفلى من عصور ما قبل التاريخ ، والتي تدل على استرقاق المصريين لزنوج البوشمان . وظل المصريون والرومان وغيرهم يغيرون على مناطق افريقية للحصول على العبيد ، غير ان التجار في الدولة الاسلامية وسعوا تجارة الرقيق حتى شملت جميع مناطق افريقية التي استطاعوا النفوذ اليها . والحق ان هؤلاء التجار لم يقوموا هم انفسهم باصطياد الزنج بل كانوا يغررون رؤساء العشائر الزنجية بالبضائع والسلع فيقدمون لهم العبيد ، او كانوا يتدخلون في النزاع بين عشيرتين زنجيتين فينالون حصة من الاسرى (٥٠) وكانت مصر وجنوب جزيرة العرب وشمال افريقية اكبر اسواق الرقيق الاسود في العصر العباسي (٥١) .

كانت مراكب المسلمين تقصد بلاد الزنج حتى تصل الى بربري والحبشة وجزيرة قنبلو في بحر الزنج ، وقد برع البحارة العمانيون من الازد في ملاحة هذا البحر الذي دعاه المسلمون بالبحر الحبشي فيصلون الى بلاد سفالة قرب BEIRA الحالية وهي اقصى بلاد الزنج (٥٢). وقد سافر المسعودي من عمان مع جماعة من الملاحين فقصد بلاد الزنج ، كما ركب مرة اخرى من جزيرة قنبلو سنة ٣٠٤ هـ (٩١٦ م) الى عمان (٥٣) . ان بلاد الزنج في رأي الجغرافيين المسلمين تمتد من اعلى نهر النيل حتى سفالة ، ويقول المسعودي (٥٤) : ان الزنج شيدوا مملكة وقاموا على رأسها ملكا لقبوه «وقليمي» او (لوقليمن) ـ اي

ابن الرب الكبير ـ ، واشتهرت بلادهم باتتاج العاج الذي كان يصدره التجار الى البلدان الاسلامية ، اما طعامهم ـ في بلادهم الاصلية ـ فيتكون من الذرة والموز واللحم والعسل (٥٥) . ويذكر الباحثون المسلمون عدة طوائف او شعوب زنجية نميز منها : قنبلة او قنبلو نسبة الى هذه الجزيرة الواقعة غير بعيد عن الساحل الافريقي والتي حفلت بالمسلمين آنذاك ، ولنجوية والمكير والمشكر وبربرا وغيرهم (٥٦).

يبدو ان الزنج جلبوا الى العراق منذ القرن الاول الهجري بدليل ثورتهم في فرات البصرة ايام مصعب بن الزبير ، ومع ان عددهم كان ضئيلا آنذاك فانهم احتلوا المزارع واستولوا على أثمارها عنوة مما يدل على انهم كانوا في حالة اجتماعية سيئة . غير ان عدد الزنج ما لبث ان ازداد بحيث انزعج اهل البصرة منهم وشكوهم الى الوالي خالد بن عبد الله القسري ففرقهم وقتل جماعة منهم (٥٧) . وفي عام ٧٥ هـ (٦٩٤ م) قام الزنج بحركة منظمة ـ الى حد ما ـ ونصبوا لهم زعيما يدعى رباح ولقبوه «شير زنجي» اي اسد الزنج (٥٨) ، ويبدو انهم استغلوا سوء الاحوال الداخلية في العراق وانشغال الحجاج بقمع الثورات فنالوا بضع انتصارات على الجيوش الاموية ، لكن الهزيمة لحقت بهم سنة ٧٥ هـ (٥٩) . وفي القرن الثاني الهجري ـ وفي سنة ١٣٣ هـ (٧٥٠ م) على وجه الدقة ـ نجد الزنج يكونون عنصرا هاما في الجيش العباسي ، ولما ولى يحيى بن محمد الموصل كانت معه جماعة كبيرة منهم «فلما فعل ما فعل في الاسراف في قتل الرجال والنساء والاولاد قبح الزنج في اغتصاب النساء ، فاعترضت يحيى امرأة وعيرته بتسليم المسلمات الى الزنج فأثر فيه كلامها وجمعهم للعطاء ، فلما اجتمعوا امر بهم فقتلهم عن آخرهم ، ولم يكن للزنج شوكة في ذلك العهد » (٦٠) .

لقد شهد النصف الثاني من القرن الثالث الهجري اعظم حركة قام

بها الزنج في وجوه أسيادهم مطالبين بتحسين اوضاعهم الاجتماعية ، وسنرى ان اعدادهم كانت ضخمة حتى بلغت قواتهم ـ كما قيل ـ ثلاثمائة الف محارب (٦١) ، فما هي العوامل التي ادت الى تضخم عدد الزنج في العراق الادنى الى هذا الحد ؟ ان الاجابة على هذا السؤال تقودنا الى بحث نظام الزراعة في القرن الثالث وقيام الاقطاع الذي تطلب تسخير افواج العبيد لاصلاح الاراضي وزرعها ما داموا يمثلون ارخص انواع الايدي العاملة .

اذا كان بعض المسلمين الاول قد أُقطِعوا الاراضي في صدر الاسلام فانما كان ذلك في وجوه تبررها المصلحة العامة وبهدف احياء الاراضي الموات وتنشيط الزراعة وتشجيع الاستقرار . ونجد منذ صدر الاسلام فريقا من الصحابة يستغلون بعض الاراضي ويدفعون عنها الخراج(٦٢) . والاقطاع هو ان يجعل الخليفة رقبة الارض لشخص من الاشخاص فيصبح مالكها ومستغلها (٦٣) . وقد تعددت انواع الاقطاع فكان هناك اقطاع التمليك او احياء الموات الذي يمكن ان يورث ، واقطاع الاستغلال الذي يمنح لرجال الجيش والذي لا يمكن ان يورث . هذا من ناحية الحقوق النظرية التي تصاحب الاقطاع ، اما من الناحية العملية فنجد اقطاعات مدنية تمنح للموظفين بدل الرواتب ، واقطاعات خاصة تمنح الى افراد أدوا خدمات خاصة للخليفة ، فضلا عن انواع اخرى تميز بها القرن الرابع الهجري هي ضياع الخليفة والاقطاعات العسكرية (٦٤) . ويعرف ابو يوسف (٦٥) القطائع من ارض العراق بأنها كل ما كان لكسرى ومرازبته وأهل بيته مما لم يكن في يد احد. وقد أقطع عمر بن الخطاب ما استصفاه من اراضي الساسانيين لجماعة من المسلمين «لان هذا بمنزلة المال الذي لم يكن لاحد ولا في يد وارث فللامام ان يجيز منه ويعطي من كان له غناء في الاسلام ويضع ذلك موضعه ولا يحابي فيه» (٦٦) .

ان الذي يهمنا هنا من انواع الاقطاع هو «احياء الموات»، وكانت القاعدة الفقهية التي استندت الى حديث اثر عن الرسول وهو «من احيا ارضا مواتا فهي له» قد ادت الى نتيجة هامة ، هي ان ذوي اليسار استولوا على اراضي شاسعة اصبحت ملكا لهم بمجرد انقاموا باحيائها، اي بمجرد ان يحفروا فيها بئرا او يشقوا قناة ولا يترتب عليهم من الالتزامات سوى دفع العشر (٦٧) . ويبدو ان هذا الاقطاع يخول صاحبه ان يزرعه ويزارعه ويؤاجره ويكري أنهاره ، بل انه يورثه ولا يستطيع ان ينتزعه احد منه(٦٨). ولعل خير مثل على هذا النوع من الاقطاع تلك الاراضي المحيطة بالبصرة ، التي تخربت نتيجة انبثاق البثوق والفيضانات المتكررة فتصدى لاستصلاحها الاغنياء والملاكون الكبار مستخدمين اعدادا هائلة من الرقيق الاسود الذي جلبه النخاسون الى العراق الادنى على النحو الذي مر بنا (٦٩) .

ان التطور الاقتصادي الذي شهده القرن الثالث الهجري بانتقال المجتمع العباسي من الزراعة الضيقة الى الزراعة الواسعة والتجارة الرابحة ادى الى قيام طبقة من اصحاب الثروات العريضة والاراضي الواسعة بجانب طبقة كبيرة جدا من الفقراء المعدمين . وقد ادى هذا التباين الاجتماعي الواضح الى تصادم عبرت عنه الآداب المعاصرة ، وقد زاد الهوة السحيقة بين الاغنياء والمعدمين ، ما زخر به هذ العصر من الدعايات الفكرية والاجتماعية التي اشعرت العامة بسوء احوالهم ، فكان لا بد ان يحصل ما حصل من الانفجار الذي عبرت عنه ثورات الزنج والقرامطة وغيرها .

كانت النظرة السائدة للزنج نظرة الازدراء والاحتقار ، وقد عبر الجاحظ عن نظرة معاصريه اليهم بقوله : (٧٠) «وقد علمنا ان الزنج اقصر الناس مدة وروية ، واذهلهم عن معرفة العاقبة ، فلو كان سخاؤهم انما هو لكلال حدهم ونقص عقولهم وقلة معرفتهم ... »

ومن الامثلة السائرة آنذاك «ان العبد اذا جاع نام واذا شبع زنى(٧١) »٠ ويقول ابن بطلان : (٧٢) «٠٠ فالزنجي اذا شبع فصب العذاب عليه صبا فانه لا يتألم له» ٠ ولكي نقدر قيمة الزنج الاجتماعية نذكر على سبيل المثال ان اثمانهم كانت اقل بكثير من اثمان العبيد البيض ، فثمن العبد في عمان كان يتراوح بين ٣٠ــ٣٥ دينارا (٧٣) ، على حين كان ثمن العبد الابيض يصل الى آلاف الدنانير (٧٤) ٠

امتاز الزنج بالسذاجة والبساطة والشجاعة والجلد والصبر على العمل الشاق ، لذلك نظم التجار الحملات لاصطيادهم من جهات افريقية الشرقية للعمل في الاراضي السبخة المحيطة بالبصرة ٠ كذلك وصفوا بطلاقة اللسان وفصاحة الكلام (٧٥) ، غير انهم «عيروا بصغر عقولهم وضعف ذكائهم وقلة علمهم» (٧٦) ٠ وقد دافع عنهم الجاحظ دفاعا حارا في الرسالة التي سماها «فخر السودان على البيضان» فأدار على لسانهم هذا القول : «قالوا ــ اي الزنج في ردهم على البيض ــ وانتم لم تروا الزنج الذين هم الزنج قط ، وانما رأيتم السبي يجيء من سواحل قنبلة وغياضها واوديتها ومن مهنتنا وسفلتنا وليس لاهل قنبلة جمال ولا عقول ، وقنبلة اسم الموضع الذي ترقون فيه سفنكم الى ساحله ٠ لان الزنج ضربان قنبلة ولنجوية كما ان العرب ضربان قحطان وعدنان ٠ وانتم لم تروا من اهل لنجوبة احدا قط لا من السواحل ولا من اهل الجوف ٠ ولو رأيتموهم نسيتم الجمال والكمال (فان قلتم) كيف ونحن لم نر زنجيا قط له عقل صبي او امرأة (قلنا) لكم ومتى رأيتم من سبي السند والهند قوما لهم عقول وعلم وأدب وأخلاق حتى تطلبوا ذلك فيما سقط اليكم من الزنج ٠٠٠ (٧٧) ان هذه الرسالة التي ألفها الجاحظ ليوفق بين السود والبيض ، والتي عبر فيها عن وجهات النظر في القرن الثالث لتدل دلالة بينة على مركز الزنج الاجتماعي وما تعرضوا له من السخرية والازدراء ٠

كان العمل الذي سخر فيه الزنج في المناطق الواقعة في القسم الادنى

من دجلة والفرات، وهي منطقة المستنقعات التي تسمى البطيحة، عملا شاقا. وكانت هذه المناطق المغطاة بالبردى والحلفاء بؤرة للاوبئة والامراض، ومن ثم تعرض سكانها لاحوال صحية غاية في السوء . يقول المقدسي (٧٨) في وصف البطائح «والبطائح نعوذ بالله منها ومن شاهدها في الصيف رأى العجب ... وثم بق له حمة كالابرة » . ولا شك ان هذا البق كان عاملا في نشر الملاريا ، وما زالت أهوار العراق حتى اليوم بؤرة لهذا الوباء . واذا رجعنا الى المراجع المعاصرة نجد امثلة على ما كان يقاسيه الزنج في تلك المناطق الموبوءة ، فقد اصيب علي ابن أبان من قواد الزنج بالملاريا خلال الحرب سنة ٢٥٧ هـ (٨٧٠ م) وفي سنة ٢٥٨هـ (٨٧١ م) «وقع وباء في الناس من كور دجلة فهلك كثير في بغداد وسامراء وواسط وغيرها» (٧٩) . وفي السنة نفسها اصاب جيش الزنج في البطيحة وباء فتك بالجند من جراء خوضهم المياه (٨٠) . واذا علمنا ان العبيد لم يعيشوا في بيوت تقيهم البرد والحر ، وانهم كانوا ينامون في العراء او في اكواخ من النباتات والطين ، كما هو الحال اليوم في أهوار العراق ، أدركنا اية ظروف سيئة كانو يعيشون فيها .

كان العمل الرئيس الذي استخدم فيه الزنوج هو ازالة الطبقة الملحية ـ السباخ ـ التي تغطي الاراضي واظهار التربة الخصبة الصالحة للزراعة ، ونقل السباخ وجعله في أكوام او تلال للافادة منه في الوقت نفسه (٨١) . وكانت «كسوح الزنوج معروفة بالبصرة كالجبال ، وكان في انهار البصرة منهم عشرات الوف يعذبون بهذه الخدمة»(٨٢) . وكان الزنج في عملهم هذا معرضين لرقابة صارمة واهانات مستمرة . وكانوا يعملون في كتل ضخمة يتراوح عدد الواحدة منها بين ٥٠٠ ـ ٥٠٠٠ شغيل ، بل قد يزيد عن هذا الحد ، فقد بلغ عدد احدى الجماعات التي كانت تشتغل على نهر دجيل الاهواز (٨٣) خمسة عشر الف غلام (٨٤). ومما يدل على ضخامة اعداد الزنج ما ترويه المراجع من ان صاحب

الزنج استطاع ان يضم اليه في يوم واحد عددا يتجاوز الالف ، بل ان جيش الزنج بلغ فيما بعد ثلاثمائة الف مقاتل (٨٥) • ومهما تكن هذه الارقام مبالغا فيها ، فانه يبدو للباحث في احداث ثورة الزنج انهم كانوا يبلغون عشرات الآلاف بدليل انهم دوخوا الدولة العباسية وهزموا كثيرا من جيوشها الضخمة وشغلوها اكثر من اربع عشرة سنة•

كانت كل عصابة من عصابات الزنج تعمل على بقعة معينة من الارض نستطيع ان نعتبرها اقطاعا لشخصية بارزة او مالك كبير ، وكانوا من ثم اقرب الى عبيد الارض الاقنان SERFS الذين عرفهم النظام الاقطاعي في اوربا في العصور الوسطى ، غير انه اذا كان القن الاوربي يرتبط بسيده الاقطاعي بالتزامات معينة وله حقوق خاصة(٨٦)، فان العبيد الزنج جردوا من كل حق واعتبروا ملكا لسيدهم ، له حق التصرف بهم كيفما شاء باعتبارهم جزء من ثروته • ان الشريعة الاسلامية ــ كما مر بنا ــ قاومت اغتصاب الارض، غير ان الرغبة في أعمار الاراضي البور واستصلاح الاقطاعيات الكبيرة التي ظلت شاغرة بعد الفتح اما لانها كانت ملكا للامبراطور اوكسري ، او لان اصحابها هجروها ، دعت الخلفاء الى منح هذه الاراضي الى الشخصيات البارزة فزرعوها بمساعدة العبيد او بتنظيم عقود محلية واصبحت ملكا خاصا لهم بمجرد حفر بئر او شق قناة ، ما دام الماء هو الذي يحيي الارض الموات • والواقع ان هؤلاء المالكين زرعوا هذه الاراضي الواسعة بشكل رديء واستغلوها اسوأ استغلال مما ادى الى اهمال الكثير من الاراضي • هذا من جهة ومن جهة اخرى فان حالة العبيد البائسة في الاقطاعيات الكبيرة في العراق الادنى كانت هي العامل المباشر في قيام ثورة الزنج في القرن الثالث •

ان هذا النوع من الاقتصاد الزراعي يتعارض تمام التعارض مع

روح الشريعة التي لم تسمح باستغلال الارض الا عن طريق صاحبها او عن طريق المؤاجرة مقابل مبلغ من المال او الطعام . ان الشريعة لم تعترف ، في حالة الارض المرواة بالمطر وحده ، بالعقود التي جرت عليها العادة والتي تنص على ان الارض تبذر من جانب صاحبها ثم تعهد الى فلاح بالمزارعة ، او تبذر ويشرف عليها وتحصد من جانب الفلاح وهذه هي المخابرة ، ويحتفظ الفلاح لنفسه في الحالين بحصة معينة من المحصول ، وهذه هي في الواقع الاتفاقات التي تحكم الزراعة في الشرق والغرب معا (٨٧) .

ولكي يضمن الملاك الكبار سير العمل في اقطاعياتهم الواسعة ، خاصة وقد كان اغلبهم يعيش بعيدا عنها ، اوكلوا الاشراف على زراعتها ومراقبة العبيد العاملين فيها الى وكلاء كانوا يمثونهم وينوبون عنهم . وهكذا نجد ان الاتصال لم يكن مباشرا بين العبيد وسادتهم ، بل كان يتم عن طريق هؤلاء الوكلاء الذين تمدنا المراجع المعاصرة ببعض المعومات عنهم ، فنجد يحيى بن يحيي الزبيري مولى الزياديين وكان رئيس وكلاء الهاشميين في قرية الجعفرية من قرى البصرة ، ويبدو ان الهاشميين امتلكوا اقطاعيات واسعة تزخر بجموع العبيد (٨٨) . كذلك كان للمعلى بن ايوب قرية واسعة ينظم العمل فيها جماعة من الوكلاء ، وكان عبد الله المعروف بكريخا من الملاك الكبار ، على حين نجد جماعة من الشورجيين ــ الذين سيأتي الحديث عنهم ــ يمتلكون خمسة عشر الف غلام ، ومن هؤلاء الشورجيين بلبل الذي جهز جيشا من اربعة آلاف لحرب الزنج في بداية الحركة (٨٩) . ويلاحظ الباحث ان علاقة الوكلاء بالعبيد كانت اشد ما تكون العلاقة بين السيد والمسود كراهية وحقدا ، ويبدو ان الوكلاء كانوا يسومونهم عسفا ويستخدمون معهم اشد الاساليب قسوة ونكرا .

كانت حالة الزنج اذن سيئة الى اقصى الحدود ، فقد كان اكثرهم

«عبيدا لدهاقين البصرة وبناتهم» (٩٠) اي انهم كانوا يعملون في الحقول وفي البيوت لخدمة الحريم • ومما زاد في سوء حالتهم الاجتماعية والنفسية ، انهم لم يكونوا على هيئة أسر مكونة من آباء وأمهات وأبناء ، بل كانوا «على هيئة الشطار عزابا» (٩١) اي انهم ابعدوا عن اسرهم في وطنهم الاصلي وحرموا نعمة الاستقرار العائلي وزرعوا في بيئة غريبة عنهم ، دون ان تربطهم اية رابطة من التعاطف والانسجام مع سادتهم او من كان ينوب عنهم • وما اظن احدا ينكر قيمة العامل العاطفي والجنسي في زيادة نقمتهم وتذمرهم • ويتضح الكبت الجنسي الذي قاساه هؤلاء العبيد من الاعمال التي ارتكبوها خلال غاراتهم على المدن والقرى في تعرضهم للنساء ، وهذا بطبيعة الحال رد فعل لاوضاعهم الاجتماعية وانعكاس لحرمانهم الجنسي من ناحية ، وتفسره الاوضاع السائدة وروح العصر من ناحية ثانية •

وعلى الرغم من ان الزنج كانوا يعملون تحت هذه الظروف القاسية من عمل شاق ورقابة صارمة ومعاملة جائرة وحرمان متصل ، فان جزاءهم لم يكن معقولا على الاطلاق ، بل انهم ــ ما داموا عبيدا مستملكين ــ لم يكونوا يتقاضون اجرا على الاطلاق ، سوى ما كان يوزع عليهم يوميا من الغذاء الزهيد المكون من شيء من الدقيق والتمر (٩٢) والسويق • وهناك اشارات الى ما كان يقاسيه العبيد من الجوع عى الرغم من ثروات اسيادهم الطائلة ، فقد كان زبيدة بن حميد الذي قدرت ثروته بمائة الف دينار في القرن الثالث ، يضرب غلمانه الجياع ، وقد عبر رئيس الغلمان عن حالتهم بقوله : «اننا نسمع بالشبع سماعا من افواه الناس» (٩٣) • لقد كان السادة اذكياء حقا فانهم اختاروا لعبيدهم ارخص انواع الطعام وأشدها املاء للمعدة في وقت معا ، فاذا علمنا ان التمر كان وما زال من الاغذية المتوفرة في منطقة البصرة وانه لا يكلف نقودا باعتباره انتاجا محليا زائدا عن حاجة الاستهلاك الداخلي

والخارجي معا ، وان السويق لم يكن بالطعام المشبع الصحي ، ادركنا اية ادوات رخيصة للانتاج حصل عليها ملاك العبيد في نواحي البصرة. وقد وصف الجاحظ السويق : بانه «من عدد المسافر ، وطعام العجلان وغذاء المتكره ، وبلغة المريض ..» (٩٤) كذلك وصفه ابن البيطار بقوله : «السويقان ... سويق الحنطة وسويق الشعير وهما جميعا ينفخان ويبطئان النزول عن المعدة» (٩٥) . فمن هذه المعلومات نجد ان السويق الذي كان يصنع من طحين الحنطة او الشعير المحمص المخلوط بالتمر (٩٦) ، كان وجبة غير جيدة وغير كافية ، وما زالت معروفة شائعة بين السود في البصرة حتى يومنا هذا وأظنهم ورثوها عن اسلافهم .

لقد اهتم علي بن محمد ـ صاحب الزنج ـ بالمستوى المعاشي للزنج اهتماما كبيرا ، وجعله الوتر الحساس الذي اخذ يضرب عليه ببراعة فيستجيب له العبيد ، بل لقد كان ادراك علي بن محمد لما كان يقاسيه الزنج من انخفاض مستوى المعيشة ، واتخاذه هذه الناحية نقطة البدء في دعوته ، دليلا قويا على فهمه العميق للاحوال السائدة وشاهدا على واقعيته التي سنتحدث عنها في الفصل التالي . ومن ثم نجد صاحب الزنج يسأل احد الغلمان الشورجيين الزنوج المكلفين بحمل الدقيق من البصرة الى عبيد مولاه العاملين في الشورج «عن اخبار غلمان الشورجيين ، وما يجري لكل غلام منهم من الدقيق والسويق والتمر وعمن يعمل في الشورج من الاحرار والعبيد» (٩٧) .

ولعل اكبر برهان على سوء احوال الزنج الاجتماعية اقبالهم على اول من دعاهم الى الثورة اقبالا منقطع النظير . وقد امتلأوا بالسرور والحماس حين بذل لهم الوعود المغرية ، واخبرهم انه لم يخرج لعرض من اعراض الدنيا «وما خرج الا غضبا لله ، ولما رأى عليه الناس من الفساد في الدين» (٩٨) . ثم افضى اليهم ببرنامجه الضخم في هذه العبارة التي اقتبسها المؤرخون من خطبته فيهم يوم عيد الفطر سنة ٢٥٥

(٨٦٩ م) : انه كان يريد ان يرفع أقدارهم ويملكهم العبيد والاموال والمنازل ويبلغ بهم اعلى الامور(٩٩) . وهل كان يطمع هؤلاء المنكودون بأكثر من هذه المغريات ؟

أصناف الثوار :

لقد اجملنا في الصفحات السالفة احوال الزنج الاجتماعية بصورة عامة ، غير انه يجدر بنا ان نلاحظ بان لفظة «الزنج» اطلقت على اصناف مختلفة من العبيد السود الذين كانوا عامة الثوار في حركة علي بن محمد . وقد اختلفت هذه الاصناف او الطوائف في طبيعة العمل التي قامت به كل منها ، او الجنس او البقعة التي تنتمي اليها . وقد اسلفنا القول ان «ارض الزنج» تعبير فضفاض واسع اطلقه العرب على مساحات شاسعة في افريقية ، لذلك اريد هنا ان اقسم «الزنج» الى هذه الاصناف لكي القي ضوء على الاصطلاحات الغامضة ــ الى حد كبير ــ التي ترد في المراجع المعاصرة ، مع العلم ان جميع هذه الطوائف خضعت لظروف متشابهة في عملها في فرات البصرة ، وان اختلف نوع العمل بالنسبة للجماعات المختلفة . وأزيد هذه النقطة وضوحا فأقول ان العبيد المجلوبين من النوبة او زنجبار او الصومال او غير هذه من الاقاليم الافريقية ، وان اختلفوا في تكوينهم الجنسي او الجسماني في بلادهم الاصلية ، لكنهم عاشوا في العراق الادنى تحت ظروف الرق والعمل في زراعة الاقطاعيات الواسعة ، فوحدت بينهم جميعا ظروف حياتهم المشتركة . بل نحن نجد بين الزنج عبيدا او انصاف احرار من البيض ، الذين اندمجوا كل الاندماج في «ثورة الزنج» مدفوعين بنفس الحوافز هادفين الى عين الاهداف ما دام ما كانوا يقاسونه هو ذات ما قاساه العبيد السود انفسهم . وبعد فقد استطعت ان اصنف

الثوار في حركة الزنج الى الاصناف التالية :

١ ــ غلمان الشورجيين : او الشورجية • والكلمة ــ كما يقول الاستاذ ماسنيون (١٠٠) ــ مشتقة من «شورة» (١٠١) وتعني الملح ، وهو لفظ فارسي يستعمل في عمان ايضا • واذا رجعنا الى ابن البيطار (١٠٢) وجدناه يعرف الشورج بقوله : «هي شيء يتولد من البحر وهو جنس من الزبد ويتولد على المواضع الصخرية القريبة من البحر وله قوة مثل قوة الملح ••• انما هو شبيه بالزهرة او الزبد يرتفع فوق الملح وهو الطف من الملح بكثير ••• » ويعرف الاستاذ دوزي الشورج في قاموسه (١٠٣) : بان اصلها شورة وهي ملح الدباغين • ومهما يكن فان الشورج نوع من الاملاح تغطي اراضي العراق الادنى السبخة ، تلك الاراضي التي طالما غمرتها المياه ثم انحسرت عنها بفعل تراجع البحر او التصريف (١٠٤) •

ويطلق لفظ الشورجيين على جماعة من اصحاب العمل كانوا يجمعون الشورج لينتفعوا به ، مستخدمين اعدادا ضخمة من العبيد هم الذين تدعوهم المراجع «غلمان الشورجيين» مع العلم ان هؤلاء العبيد كانوا يضمون بين صفوفهم بعض الاحرار (١٠٥) • ويبدو ان عدد غلمان الشورجيين هؤلاء كان ضخما ، بحيث كان عبر نهر دجيل خمسة عشر الف غلام من الشورجيين • ونجد عصابة منهم عند نهر الامير ــ من انهار البصرة (١٠٦) ــ بلغت ستمائة (١٠٧) • واشتهر من كبار الشورجيين رجل يدعى العطار (١٠٨) • وكان هؤلاء العمال يجمعون الشورج ــ او الملح او السباخ ــ فيجعلونه في اكوام كبيرة مستخدمين البغال في حمله الى حيث يباع (١٠٩) ، وهذه العملية تؤدي الى اظهار التربة الصالحة للزراعة بعد ازالة الطبقة الملحية ، ويبدو ان العمل كان شاقا لان المعاصرين وصفوا اكوام السباخ التي «كسحها» الزنج بانها كانت كالجبال ، وان عشرات الالوف من العبيد كانوا يقومون بهذا

المجهود في مناطق البصرة (١١٠) .

ولكي نستطيع ان ندرك اهمية تجارة السباخ ، نذكر بان الاغنياء والوجهاء ابتاعوه من الخلفاء . فقد ذكر وكيع في اخبار القضاة ان يحي ابن خالد (البرمكي) ابتاع من الرشيد السبخ في بعض مناطق البصرة، حيث حُفر نهر يحـــول بـين الناس وبـين الدخول فـي « اراضي السباخ » (١١١) .

وكانت منطقة شط عثمان هذه سباخا ومواتا فأحياها عثمان بن ابي العاص بعد ان اقطعها اياه عثمان بن عفان (١١٢) . ويتردد كثيرا ذكر « السبخات » في هذه المنطقة في المراجع المعاصرة ، فهناك سبخة القندل عند نهاية نهر بيان (المحمرة او خرمشهر الحاليـة) ، وسبخة نهر برد الخيار ، وسبخة البرامكة علـى نهر الديناري ، وسبخة دبا علـى نهر الصالحي ، وسبخة ابن عطاء وغيرها .

والحق ان مساحات شاسعة من اراضي فرات البصرة كانت سبخة فأقطعتها الدولة لاشخاص قاموا باستصلاحها (١١٣) .

٢ ــ القرماطيون : وهم جنس مـن اجناس السودان الكثـيرة ، وكانوا ــ على حد قول المقدسي (١١٤) يتعاملون في بلادهـم بالملح . ويستطرد هذا الجغرافي العربي في وصف بلادهم قائلا : « واما ارض السودان فانها تتاخم هذا الاقليم (المغرب) ومصر من قبل الجنوب ، وهي بلدان مقفرة واسعة شاقـة ، وهم اجناس كثـيرة ... اما القرماطيون فتعاملهـم بالملح والنوبـة والحبش بالثياب ... » (١١٥) . وكـان القرماطيون ــ وهم طائفة من الزنج ــ يعملون بالشورج كذلك ، واشتهر منهم راشد القرماطي الذي كان له دور بارز في ثورة الزنج (١١٦) . وكانوا يتكلمـون اللغة العربية ، اما لطول اقامتهم في منطقـة البصرة واختلاطهم باهلهـا مـن العرب ، او بسبب قرب بلادهم مـن مواطن العربية فـي افريقية .

٣ ــ الفراتية : وهم ــ كما يدل اللفظ ــ الزنج الذين سكنوا في منطقة فرات البصرة . ويعرف ياقوت فرات البصرة بانه « كورة بهمن ابن اردشير وهي كورة واسعة بين واسط والبصرة ، والبصرة منها » (١١٧) وقد فتح هذه الكورة عتبة بن غزوان ايام عمر بن الخطاب اثناء فتوحه للبصرة (١١٨). ومن الجدير بالذكر ان صاحب الزنج ظهر اول ما ظهر في فرات البصرة حيث يعمل عشرات الالاف من العبيد وانصاف الاحرار .

٤ ــ النوبة : هم العبيد المجلوبون من بلاد النوبة ، وكانوا هم والفراتية من اخطر قوات صاحب الزنج ، وكانوا بدورهم يتكلمون العربية (١١٩) .

٥ ــ الزنوج الانقياء : كانت الجماعات السالفة الذكر قد عاشت مدة طويلة في العراق الادنى واكتسبت بعض الخصائص المحلية وتعلمت اللغة العربية بحكم اختلاطها بالعرب ، اما هؤلاء فكانوا زنوجا انقياء يجهلون العربية ، لذلك كان صاحب الزنج يستخدم مترجمين للتفاهم معهم ، واظن ان هؤلاء كانوا حديثي عهد بالرق ولم تمر عليهم مدة طويلة تتيح لهم ان يتعلموا العربية .

وقد وصفهم الصابي في ايام الخليفة المعتضد حيث دخلوا في خدمته بعد قمع ثورة الزنج بانهم من مماليك الناصر لدين الله ــ اي الموفق ــ « ومنهم الزنج العجم المستأمنة من عسكر الخارجي بالبصرة ــ اي صاحب الزنج ــ ممن كان صبر معه والقى نفسه عليه عند قتله ، وهم غتم (جمع اغتم وهو من فيه عجمة ولا يفصح في كلامه) قح يأكلون لحوم الناس ، والبهائم الميتة وقد عوقبوا على ذلك فلم يرجعوا ، وكانوا منفردين لا يختلطون بالبيضان» (١٢٠) .

٦ ــ نجد علاوة على الزنج الذين كانوا يشتغلون بازالة الطبقة الملحية جماعات تعمل لحساب التمارين والدباسين ، ويذكر الطبري شبل

ابن سالم الذي كان من غلمان الدباسين ، ويشير الى جماعات اخرى من غلمان « التمارين والدباسين » (١٢١) • ومما هو جدير بالذكر ان التمور ومنتجاتها ــ كالدبس ــ كانت وما زالت تكون خصيصة اساسية من خصائص الحياة الاقتصادية في البصرة • وكانت اشجار النخيل في منطقة البصرة تعد بالملايين ، وقد احصيت عشرات الاصناف من التمور، ومن ثم اعتمد الملاكون على التمور اعتمادا كبيرا كمورد هائل من موارد ربحهم ، وشغلوا العبيد في اعمال التمر واستخراج الدبس •

لم يكن الزنج على درجة عالية من الثقافة ، بل كانت اغلبيتهم الساحقة جهلاء لا يحسنون حتى النطق بالعربية • ذلك ان ظروف الزنج الاجتماعية واعمالهم في الخلاء حرمتهم من فرصة تعلم هذه اللغة وعلومها ، على الرغم من ان الزنجي الشرقي سرعان ما يهجر لغته الاصلية ويتعلق بلغة سيده (١٢٢) ، لذلك استعان صاحب الزنج ــ كما اسلفنا ــ بمترجمين ينقلون خطبه واقواله الى اتباعه • وحين القى خطبته فيهم يوم عيد الفطر سنة ٢٥٥ هـ (٨٦٩ م) « امر الذين فهموا عنه قوله ان يفهموه من لا فهم له من عجمهم لتطيب بذلك انفسهم ••• » (١٢٣) ومن المترجمين الذين اعتمد عليهم صاحب الزنج في هذه المهمة رجل يدعى مصلحا ، وقد دعاه ذات يوم فميز الزنج الانقياء من الفراتية ثم امره ان يعلمهم بانه لن يردهم الى اسيادهم ومواليهم مهما كلفه الامر (١٢٤) •

الا أن فريقا آخر من الزنج كانوا على درجة ضئيلة من المعرفة باللغة العربية والدين الاسلامي (١٢٥) ، وهم الفراتيون والقرماطيون والنوبة ، لذلك كان علي بن محمد يتصل بهم رأسا دون حاجة الى مترجمين • وهؤلاء ــ وبخاصة النوبة ــ كانوا في الاصل من سكان الاقطار الافريقية الشمالية المجاورة لمصر • غير انه على الرغم من انخفاض المستوى الثقافي للزنج ، فان الدعايات الدينية والاجتماعية التي زخر بها القرن الثالث من ناحية ، واتصالهم بالدين الاسلامي الذي يعتنقه

اسيادهم من ناحية ثانية ، كل ذلك اقنعهم بحقهم في التمتع بالعدالة الاجتماعية التي نادى بها الاسلام الاول • ومن الجائز جدا ان يكون لمسلمي عبادان المجاورة اثر على افكارهم ومعتقداتهم (١٢٦) ، سيما وقد اشتهرت عبادان بانها مركز ثقافي ينسب اليه نفر من رواة الحديث وجماعة من الزهاد والمحدثين (١٢٧) • بل ان البصرة نفسها طالما كانت مركزا فكريا عظيما ، وفيها اصطرعت شتى الفلسفات والمعتقدات والآراء • ومهما يكن من امر فان سوء احوال الزنج الاجتماعية كان كافيا لاثارتهم وجذبهم نحو اية حركة بمجرد ان تؤكد هذه الحركة على تحسين اوضاعهم ، والمسألة في الواقع ليست مسألة ثقافة انما مسألة وعي قد يتأتى عن طريق الاثارة والايماء بمجهود جد بسيط • والواقع ان صاحب الزنج ــ كما سنرى ــ لم يجهد نفسه في وضع برنامج فكري شامل دقيق ، وكلما فعل انه وعد العبيد البؤساء بوضع حد لبؤسهم ورفعهم الى مستوى اجتماعي اعلى •

ملاحظات ومراجع (الفصل الاول)

(١) شفيق : الرق في الاسلام ص ١٦ .

(٢) Bury, History of Greece, PP., 71-72 .

(٣) Robinson, History of Europe, P., 215 .

(٤) Cambridge Ancient History, Vol. , IX, P. , II-16 .

(٥) Cary, A History of Rome, P. , 309 .

(٦) Cambridge Anc. Hist., vol. IX,PP., 329-32, Cary P., 365

(٧) Fisher, A History of Europe, P., 1028 .

(٨) Encyclopaedia of the Socil Sciences, Vol - 14, P. , 78

(٩) Thompson, History of the Middle Ages, P., 267 .

(١٠) شفيق : الرق في الاسلام ص ٣٤ .

(١١) Fisher, P. , 1029 .

(١٢) راجع القانون الاسود في لويزيانا والقوانين السوداء الخاصة بانكلترة وفرنسا .

(١٣) جاء في القرآن الكريم «واعلموا ان ما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ... الآية» ٨ : ٤١ .

(١٤) جاء في القرآن الكريم «فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب اوزارها» ٤٧ : ٤ .

كذلك انظر كتاب الاموال ص ١٢٤ وما بعدها .

جاء في فتوح البلدان ص ١٩١ : «كان علي عليه السلام يقول : لان تفرغت لبني تغلب ليكونن لي فيهم راي ، لاقتلن مقاتلتهم ولاسبين ذريتهم فقد نقضوا العهد وبرئت منهم الذمة ....»

(١٥) البلاذري : فتوح البلدان ص ١١٩ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٧ ، ١٣٨ ، ١٧٩ ... الخ .

(١٦) نفس المصدر ص ٢٢٩ .

(١٧) نفس المصدر ص ٤٠٨ ، ١٤٨ .

(١٨) نفس المصدر ص ٢٢٣ ، ٢٧٥ ، ٣٨٨ .

(١٩) زيدان : التمدن الاسلامي ج ٤ ص ٤٦ .

(٢٠) نفس المرجع ج٤ ص ٤٧ .

(٢١) المسعودي : مروج الذهب ج١ ص ٢٤٧ .

(٢٢) من هذه الآيات :

١ ـ (والذين يبتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم فكاتبوهم ....) ٢٤ : ٣٣ .

٢ ـ (والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة ...) ٥٨ : ٣ .

٣ ـ (... ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم ...) ٢ : ٢٢١

٤ ـ (لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان ، فكفارته اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم او كسوتهم او تحرير رقبة ...) ٥ : ٨٩ .

(٢٣) انظر شرح البخاري للقسطلاني (بولاق سنة ١٣٠٤) ج٤ ص ٣٢٠ .

(٢٤) احياء العلوم ج٢ ص ١٩٩ (بولاق) ، انظر كذلك المقريزي ج١ ص ١٣٧ .

(٢٥) الفتاوي الهندية ج٦ ص ١٢٥ .

(٢٦) نفس المرجع ج٦ ص ١٢٩ ـ ١٣٠ .

(٢٧) نفس المرجع ج٦ ص ٥٨ .

(٢٨) زيدان : التمدن الاسلامي ج ٤ ص ٤٨ .

(٢٩) الطحاوي : مختصر الطحاوي ص ٣٧٧ ، الكندي : الولاة والقضاة ص ٣٣٨ .

(٣٠) Demombynes, P., 141 .

(٣١) Ibid, P. , 141 .

(٣٢) انظر الطحاوي ص ٣٦٨ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ .

(٣٣) Encyclopaedia of the Social Sciences, vol. 14, P., 79

(٣٤) مختصر الطحاوي ص ٣٨٤ .

(٣٥) نفس المرجع ص ٣٨٥ .

(٣٦) نفس المرجع ص ٣٩٦ .

(٣٧) نفس المرجع ص ٣٩٧ .

(٣٨) نفس المرجع ص ٢٠٠ .

(٣٩) شفيق : الرق في الاسلام ص ٩٦ .

(٤٠) Demombynes, Les Institutions Musulmanes, P. 141.

(٤١) يقول المقدسي ص ٢٤٢ : «ان بلد الصقالبة خلف خوارزم الا انهم يحملون الى الاندلس فيخصون ثم يخرجون الى مصر» . ثم يقول: «وسألت جماعة منهم كيف يخصون فتحصل لي ان الروم يسلون اولادهم ويحرزونهم على الكنائس لئلا يشغلوا بالنساء وتؤذيهم الشهوة ، وكان المسلمون اذا اغاروا على كنائسهم اخرجوا الصبيان منها » .

(٤٢) انظر

Hutchinson, the Slave Trade of East Africa. P. , 20 .

حيث يستعرض نشأة تجارة الرقيق الاسود منذ العصور القديمة حتى العصور الحديثة .

(٤٣) زنزبار محمية بريطانية على ساحل افريقية الشرقي ، وكان هذا الساحل خاضعا للنفوذ العربي منذ اقدم العصور ، وقد اطلق عليه العرب اسم بلاد الزنج او ارض الزنج ، كما دعيت زنجبار

Encyclopaedia Britannica, vol. 23, PP. , 934-935 .

وهي مكونة من لفظتين احداهما فارسية والاخرى هندية Zang , Bar

وتعني «بلاد الرجل الاسود» انظر :

FitZgerald, Africa, P., 226 .

(٤٤) يقال الزنج بفتح الزاي ، والزنج بالكسر او المزنجة والزنوج ، وهم جيل من السودان واحدهم زنجي ... الفيرو زابادي : القاموس المحيط ج١ ص١٩٢ .

يقول احمد علبي (ثورة الزنج ص ٧٦) : وقد لاحظنا ان كلمة زنجد

معناها المعدن ، كما ان كلمة زنجار العربية مأخوذة من الفارسية (زنكار) بمعنى صدأ الحديد والنحاس . كما ان زنجير العربية مقتبسة عن (زنجير) الفارسية ومعناها السلسلة . فهل لنا ان نستنتج انه من المحتمل ان بلاد الزنج تعني بلاد المعادن، خاصة وان القارة الافريقية تزخر بالمعادن النادرةالتي كان يستوردها التجار المسلمون الى بلادهم ؟ وربما كان لفظ الزنج كما يبدو لنا عربي الاصل .

(٤٥) Lanc's Arabic - English Lexicon, Book I Part III , P. , 1256

(٤٦) Fitzgerald, Africa, P. , 226 . ويقول المسعودي (التنبيه والاشراف ص ٥١) : «ويقرب من جبل القمر هذا كثير من احواز الزنج ومساكنهم ، الى ان يتصل ذلك ببلاد سقالسة الزنج وجزيرة قنبلو ، واهلها مسلمون» .

(٤٧) Fitzgerald, Africa, P. , 78 .
Johnston, The Opening up of Arrica, P., 146 .

(٤٨) Fitzgerald, Africa, PP. , 79 , 119 .

(٤٩) Ibid, P. , 79 .
Johnson, P. , 147 .

(٥٠) Ibid, P. , 179 .

(٥١) متز : الحضارة الاسلامية ج١ ص ٢٩٧ .

(٥٢) المسعودي : مروج الذهب ج٢ ص٦ .

(٥٣) نفس المرجع ج٢ ص١٠٨ .

ويقول المسعودي (مروج الذهب ج١ ص ١٠٧-١٠٨) : «واهل المراكب من العمانيين يقطعون هذا الخليج (الخليج البربري) الى جزيرة قنبلو من بحر الزنج ، وفي هذه المدينة مسلمون بين الكفار من الزنج ، والعمانيون الذين ذكرنا من ارباب المراكب يزعمون ان هذا الخليج المعروف بالبربري – وهم يعرفونه ببحر بربرى – وبلاد جفوني اكثر مسافة مما ذكرنا ... وهؤلاء القوم الذين يركبون البحر من اهل عمان عرب من الازد ... ويقطع هذا البحر السيرافيون ، وقد ركبت انا هذا البحر من مدينة سنجار من بلاد عمان ... في سنة

اربع وثلثماية من جزيرة قنبلو الى مدينة عمان ...»

(٥٤) نفس المرجع ج٢ ص ٦ ، ١٦ .

(٥٥) نفس المرجع ج٢ ص ١٧ .

(٥٦) الجاحظ : رسالة فخر السودان (مجموعة الرسائل) ص ٢١١ ، المسعودي ج٢ ص ٤.

(٥٧) ابن الاثير : الكامل ج٤ ص١٨٨ .

(٥٨) نفس المرجع ج٤ ص ١٨٨ . ويسميه المبرد (الكامل ص ٥١٤) رباح بن سنيح الزنجي مولى بني ناجية .

(٥٩) يقول الجاحظ : رسالة فخر السودان (مجموعة الرسائل) ج١ ص ١٩٠ – ١٩١ «غضب سنيح بن رباح شار فهجا جريرا وفخر عليه بالزنج فقال :

والزنج لو لاقيتهم في صفهم لاقيت ثم جحاجحا ابطالا
فسل ابن عمرو حين رام رماحهم اراى رماح الزنج ثم طوالا

ويستطرد الجاحظ (ج١ ص ١٩٢) فيقول ان رباح غلب على الفرات ايام الحجاج فتوجه اليه حفص بن زياد فقتله رباح وقتل اصحابه واستباح عسكرهم .

(٦٠) ابن الاثير ج٥ ص١٦٧ .

(٦١) ابن كثير : البداية والنهاية ج١١ ص٤١ .

(٦٢) يعدد البلاذري حالات عديدة لاقطاع احياء الموات في الصدر الاول للاسلام ، فقد اقطع الرسول (ص) بلالا من الحارث المزني ارضا ظهرت فيها بعض المعادن ، واقطع الزبير ارضا بخيبر فيها نخل وشجر ، واقطع فرات بن حيان العجلي ارضا باليمامة وعليا بن ابي طالب (ع) اربع ارضين . واقطع ابو بكر الزبير ما بين الجرف الى قناة (وهو واد يأتي من الطائف ويصب في احد) ، وكان الجرف ارضا مواتا . واقطع عمر العقيق «ما بين اعلاه الى اسفله» لنفر من الصحابة . وفي عهد عثمان كثر الاقطاع بشكل واضح ، وقد نسب «خليج بنات نائلة» الى زوجه . اما في البصرة فان عمر بن الخطاب لم يقطع احدا سوى ابي بكرة ونافع بن الحارث ، واقطع عثمان فيها عمران بن حصين وابن عامر وحمران مولاه (اي مولى عثمان) وعثمان بن ابي العاص الذي اعطي القطيعة المعروفة بـ «شط عثمان» حيال الابلة .

وفي العصر الاموي ازداد الاقطاع وبخاصة في عهد عبد الملك، ونجد من اصحاب الاقطاعات الواسعة في العصر الاموي زياد بن ابيه ومكحول بن عبيد الله الاصمعي وحفص بن ابي العاص والحكم بن ابي العاص، وابا اميه بن ابي العاص ، والمغيرة بن ابي العاص ، وعبد الله بن خلف الخزاعي ، ومرة بن ابي عثمان مولى عبد الرحمن بن ابي بكر ، وبشار بن مسلم بن عمرو الباهلي ، والعلاء ابن شريك الهذلي . وكان زياد بن ابيه من الولاة الذين اكثروا منح مثل هذه الاقطاعيات في البصرة .

وبعد قيام الحكم العباسي اصبحت اراضي البصرة وفراتها مقسمة بين عدد من الملاكين الكبار في مقدمتهم الخلفاء الذين استخرجوا لانفسهم ضياعا من البطيحة . فتوح البلدان ص ١٩–٣٥ ، ٣٥٩–٣٦٩ . انظر كذلك ابو يوسف : الخراج ص ٧٢ و٧٤ .

(٦٣) الخوارزمي : مفاتيح العلوم ص ٤٠ .

(٦٤) الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي ص ٢٨–٣٠ .

(٦٥) ابو يوسف : الخراج ص ٦٨ .

(٦٦) نفس المرجع ص ٦٩ .

(٦٧) نفس المرجع ص ٧٨ .

(٦٨) نفس المرجع ص ٧٢ .

(٦٩) انظر البلاذري عن انبثاق البثوق واستصلاح الاراضي واقطاعها في حديثه عن البطائح ص ٣٠٠ – ٣٠٢ ، ياقوت ج١ ص٦٦٨ .

(٧٠) الجاحظ : البخلاء ص ٢٥٣ .

(٧١) متز : الحضارة الاسلامية ج١ ص ٢٧٨ .

(٧٢) ظهر الاسلام ج١ ص٧٤ .

(٧٣) زيدان : تاريخ التمدن ج٤ ص٤٨ .

وبين ايدينا نص ذو قيمة عن ثمن العبد الاسود في مصر ايام عبد الملك بن مروان . يقول ابو الفرج الاصفهاني : ان نصيب بن رباح –وهو عبد اسود– قدم على عبد العزيز بن مروان في الفسطاط فمدحه بشعر جيد فعرضه حاجبه على المقومين ليقدروا ثمنه قائلا: «قوموا غلاما اسود ليس به عيب ، قالوا مائة دينار ، قال انه راع للابل يبصرها ويحسن القيام عليها ، قالوا حينئذ مائتا دينار ، قال انه يبري القسي ويثقفها ويرمي النبل ويريشها ، قالوا اربعمائة

دينار ، قال انه راوية للشعر بصير به ، قالوا ستمائة دينار ، قال انه شاعر لا يلحق حذقا ، قالوا الف دينار» الاغاني ج١ ص ١٣٣ (بيروت ١٩٧٠) .

ويعلق احمد امين (ظهر الاسلام ج١ ص ٧٣) على منزلة الجواري فيقول : ان البيض منهن كن اغلى ثمنا فكانت اكثر ما تكون في بيوت الاغنياء ، واما السود فكثيرات ورخيصات .

(٧٤) متز : ج١ ص ٢٦٦ .

(٧٥) مروج الذهب : ج١ ص٢٤٤ .

(٧٦) رسائل الجاحظ (الرسالة الثانية ، نشر فان فلوتن) ص ٧٦–٧٧ و ج١ ص٢١١ (مجموعة الرسائل تحقيق عبد السلام محمد هارون) .

يقول ابن بطلان : «والغالب عليهن (اي الزنجيات) سوء الاخلاق ، وكثرة الهرب ، وليس في خلقهن الغم ، والرقص والايقاع فطرة لهن ، وطبع فيهن ... ويقال لو وقع الزنجي من السماء الى الارض ما وقع الا بالايقاع» .

احمد امين : ظهر الاسلام ج١ ص٧٤ .

(٧٧) رسالة فخر السودان (مجموعة الرسائل) ج١ ص ٢١٢ .

(٧٨) المقدسي : احسن التقاسيم ص ١٢٥ .

(٧٩) الطبري : ج٣ ص ١٨٤٧ .

(٨٠) نفس المرجع ج٣ ص١٨٦٥ .

(٨١) Massignon, Ency. Islam, vol. 4 P. , 1213 .

(٨٢) كتاب العيون الورقة ٧ب (مخطوطة مصورة في مكتبة الدراسات العليا – كلية الآداب ، رقم ١٥١٣ انجزت تحقيقها واعدتها للطبع الانسة نبيلة عبد المنعم) .

(٨٣) دجيل نهر بالاهواز حفره اردشير بن بابك احد ملوك الفرس مخرجه من اصبهان ومصبه في فارس قرب عبادان . ياقوت : معجم البلدان ج٤ ص ٤٢ .

(٨٤) الطبري ج٣ ص ١٧٥٠ .

(٨٥) ابن كثير : البداية والنهاية ج١١ ص٤١ .

(٨٦) ظهر الاقطاع في اوربا الغربية في اواخر عهد الامبراطورية الرومانية واستكمل معالمه في نهاية القرن العاشر . فحين عجزت الدولة

الكارولينجية عن صد غارات القبائل المتبربرة على اقاليمها اضطر كل امير الى ان يعتمد على نفسه في الدفاع عن اقليمه مستعينا بأتباعه . ويطلق الاقطاع على الروابط الاقتصادية والاجتماعية التي ربطت المجتمعات في غرب اوربا مدة عدة قرون ، واستمرت حتى القرن الثالث عشر ثم اخذت في الاضمحلال وازيلت آثارها كلية في الثورة الفرنسية . لقد قام الاقطاع على اساسين هما :

١ ـ ملكية الارض : كانت الارض حسب النظرية السائدة في عصر الاقطاع ملكا لله تعالى وانه منحها للملك ، وان الملك اقطعها لاتباعه. واعتقد الناس ان لكل ارض سيدا فوقه سيد اخر وهكذا . وحين ضعفت السلطة المركزية ولم يستطع صغار الملاك الدفاع عن ارضهم وضعوها تحت حماية كبار الملاك بشروط يوفون بها . اما كبار الملاك فقد اقطعوا بعض اراضيهم لرجال احرار اصبحوا اتباعا لهم مقابل الوفاء بشروط عسيرة . والارض التي يتسلمها صاحبها بهذه الصفة تسمى (قطيعة) . وقد انتشرت هذه الطريقة في اوربا الغربية حتى لم تبق ارض غير مقطعة . وكثيرا ما كان التابع يأخذ القطيعة من السيد فيقطعها هو لاناس يعتبرون اتباعا له . والقطيعة يرثها الابناء عن الآباء مقابل مراسيم يقوم بها الوارث نحو سيد الارض .

٢ ـ الرابطة بين التابع والسيد وهي تقوم على حقوق وواجبات يجب الالتزام بها والا فسد التعاقد ، فواجب السيد حماية تابعه والفصل في القضايا التي يعرضها عليه . وعلى التابع ان يقسم يمين الولاء والاخلاص للسيد في حفل ديني وكان عليه ان يحارب تحت لوائه ويدفع له منحا مالية معينة .

انظر حول الموضوع :

Cambridge Medi. Hist .

Bloch, Feudal Society .

Stephenson, Medieval Feudalism .

عبد القادر اليوسف ، العصور الوسطى الاوربية .

(٨٧) Demombynes, los Institutions Musulmanes, P., 183-185.

والترجمة العربية ص ٢٤١ ـ ٢٤٢ .

(٨٨) الطبري ج٣ ص ١٧٥٤ .

(٨٨) الطبري ج٣ ص ١٧٥٤ .
(٨٩) نفس المرجع ج٣ ص١٧٥٠ ، ١٧٥٢ .
(٩٠) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ج٨ ص ٣١١ .
(٩١) نفس المرجع ج٨ ص٣١١ .
(٩٢) يقول الجاحظ (البخلاء ص ٣٠٦) «... وكان يقول (ابراهيم بن عبد العزيز) : لم انتفع بأكل التمر قط الا مع الزنج، واهل اصبهان، فاما الزنجي فانه لا يتخير وانا اتخير» .
(٩٣) البخلاء ص ٥٩ — ٦٠ .
(٩٤) نفس المرجع ص ٢٨٣ .
(٩٥) ابن البيطار : الجامع لمفردات الادوية ج٣ ص ٤٥ . ويضيف ابن البيطار : ان سويق الحنطة وسويق الشعير ينفعان بعد تصفيتهما المحرورين والملتهبين اذا باكروا شربهما في الصيف . وسويق الحنطة يصلح لترطيب البدن وتبريده ، اما سويق الشعير فلتطفئته وتجفيفه . وهذا الاخير عجيب الامر ، فهو يولد الرياح في المعدة، لكنه اذا عجن بماء الرمانين سكن الغثيان وقوى المعدة ، واذا طبخ بالحلوى نفع كغذاء للاطفال (ج٢ ص ٤٥—٤٦) .
ان السويق الذي نعنيه هنا هو ليس هذه الاشربة التي يصفها ابن البيطار وانما هو طحين الحنطة او الشعير المحمص المخلوط بالتمر. وكان —فيما يبدو— يوزع على شكل مسحوق . يقول الزمخشري (اساس البلاغة باب قمح ص ٧٨٩) : «قمحت السويق وغيره واقتمحته اذا اخذته في راحتك الى فيك ، واقتمحت قمحة من سويق وغيره كقولك : التقمت لقمة من طعام» .
ويقول ابن منظور (لسان العرب ج١٠ ص١٧٠) السويق ما يتخذ من الحنطة والشعير ، وسويق الخمر وسويق العنب .
(٩٦)
DoZy, Supplement aux Dictionnaires Arabes Ib, P., 706 .
(٩٧) الطبري ج٣ ص١٧٤٨ ، ابن الاثير : ج٧ ص١٤٢ .
(٩٨) الطبري ج٣ ص١٧٥٧ .
(٩٩) نفس المرجع ج٣ ص١٧٥١ ، العيون الورقة ٨ أ .
(١٠٠) Massignon, E-I , vol. 4, P. , 1213 .
(١٠١) يعرف ابن منظور (لسان العرب ج ٥) الشورة بأنها الموضع الذي

تعسل فيه النحل . على حين يعرفها ابن البيطار (الجامع لمفردات الادوية والاغذية ج٣ ص٧٣) بانها شجر نابت في اقاصير البحـــر الحجازي ...

(١٠٢) مفردات الادوية والاغذية ج٣ ص٤٣ .

(١٠٣) Supplement aux Dictionnaires, IB, P., 801.

(١٠٤) مسالك الممالك ص ٨١ .

(١٠٥) الطبري ج٣ ص ١٧٥٠ .

(١٠٦) حفره المنصور ثم وهبه لاخيه جعفر (انظر الفصل الرابع) .

(١٠٧) نفس المرجع ج٣ ص ١٧٧٤ .

(١٠٨) نفس المرجع ج٣ ص ١٧٤٩ .

(١٠٩) نفس المرجع ج٣ ص ١٧٥٣ .

(١١٠) كتاب العيون الورقة ٧ ب .

(١١١) وكيع : اخبار القضاة ج٢ ص ١٤٣ ــ ١٤٤ .

(١١٢) فتوح البلدان ص ٣٧٠ .

(١١٣) الطبري ج٣ ص ١٧٥١ ، ١٧٦١ ــ ١٧٦٣ ، ١٧٧٦ ، ابن ابـــي الحديد ج٨ ص ٣١٣ .

(١١٤) احسن التاسيم ص ٢٤٢ .

(١١٥) نفس المرجع ص ٢٤١ ــ ٢٤٢ .

(١١٦) الطبري ج٣ ص ١٧٤٩ .

(١١٧) ياقوت : معجم البلدان ج١ ص ٣٦ .

(١١٨) البلاذري ص ٣٥٨ .

(١١٩) الطبري ج٣ ص ١٧٥٧ .

(١٢٠) الصابي : الوزراء ص ١٦ .

(١٢١) الطبري ج٣ ص ١٧٤٩ .

(١٢٢) Noldeke, Sketches From Eastern History, P. , 153 .

(١٢٣) الطبري ج٣ ص ١٧٥١ .

(١٢٤) نفس المرجع ج٣ ص ١٧٥١ ، كتاب العيون ٨ أ .

(١٢٥) يذكر الجاحظ عددا من السود الذين تفوقوا في المجتمع الاسلامي وارتفعوا الى اعلى مكانة بفضل مواهبهم ، ومنهم ــ على حد قوله ــ سعيد ابن جبير من اصحاب الحديث ، وبلال الحبشي مـــؤذن الرسول ، ومكحول الفقيه ، والحيقطان الشاعر ، وفرج الحجام

وكان من اهل العدالة والمقدمين في الشهادة. (رسالة فخر السودان ج١ ص ١٧٩) .

(١٢٦) Massignon, E.I, vol. 4, P. , 1213 .

(١٢٧) يقول ياقوت (معجم البلدان ج٦ ص ٣٠٥) : العباد الرجل الكثير العبادة ، اما الحاق الالف والنون فلغة مستعملة في البصرة للنسبة .

الفصل الثاني

صاحب الزنج

«صاحب الزنج» هو اللقب الذي اطلقه المؤرخون على علي بن محمد الذي ظهر في فرات البصرة سنة ٢٥٥ هـ فقاد الزنج في ثورتهم الكبرى التي دامت نحوا من اربع عشرة سنة (٢٥٥ـ٢٧٠ هـ=٨٦٩ـ٨٨٣ م) . وفي الكلام على نسب علي بن محمد يلاقي الباحث صعوبات جمة ، فهناك من يزعم انه فارسي بل ويؤكد على فارسيته ، وهناك من يرد نسبه الى اصل عربي ، على حين نجد فريقا اخر يسكت عن نسبه فلا يثبت هذا او ذاك . اما الرجل نفسه فقد زعم انه علي بن محمد بن احمد بن علي بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب (١) . غير ان هذا النسب الذي ادعاه علي لنفسه ما لبث ان غيره وبدله من حين الى حين ، فنسب نفسه الى يحيى بن زيد بن علي بعد اخرابه البصرة (٢) . ويقول ابن ابي الحديد (٣) : ان صاحبنا غير نسبه تبعا للظروف فانتقل من احمد بن زيد الى احمد بن محمد بن زيد ثم الى يحي بن زيد بن علي ، وحين شخص الى البحرين سنة ٢٤٩ هـ (٨٦٣ م) ادعى انه علي بن محمد بن الفضل بن حسن بن عبيد الله بن العباس بن علي بن ابي طالب (٤) .

فأمام الباحث مشكلتان تستحقان المناقشة : هل كان صاحب الزنج عربيا ام غير عربي ؟ ثم هل هو علوي ، ام كان هذا النسب مجرد ادعاء؟

ولد علي بن محمد في قرية كبيرة تدعى ورزنين من قرى الري وبها كانت نشأته (٥) ، وهي قرية لا تبعد كثيرا عن طهران الحديثة . وكان اسمه فيما ذكر علي بن محمد بن عبد الرحيم ونسبه في قبيلة عبد القيس، اما امه فقرة بنت علي بن رحيب بن محمد بن حكيم وهي أسدية من أسد بن خزيمة (٦) . وذكر عنه انه كان يقول : «جدي محمد بن حكيم من اهل الكوفة احد الخارجين على هشام بن عبد الملك مع زيد بن علي بن الحسين، فلما قتل زيد هرب فلحق بالري فلجأ الى ورزنين فأقام بها، وان ابا ابيه عبد الرحيم رجل من عبد القيس كان مولده بالطالقان وانه قدم العراق فأقام بها واشترى جارية سندية فأولدها محمدا اباه » (٧) . ونجد استنادا الى بعض المصادر ان اسرته كانت ترجع الى البحرين ، حيث كان يعيش فرع كبير من عبد القيس التي تنتسب الى ربيعة منذ الجاهلية (٨) . ومما هو جدير بالذكر ان هذه القبيلة قامت بدور مهم في الغارات التي كانت تشنها القبائل العربية من البحرين على سواحل ايران ايام سابور ذي الاكتاف ، فلما شب هذا الملك غزا البحرين ونكل بعبد القيس فيمن نكل به من القبائل العربية ، وأسكنها في هجر (٩) حيث ظلت حتى العصور الاسلامية (١٠) . واذا كانت اغلب المصادر تجمع على نسبة صاحب الزنج الى عبد القيس فان بعضها يشير اشارة غامضة الى انه من اصل فارسي وان اسمه «بهبوذ» (١١) . والحق ان الباحث لا يملك الا ان يرجح نسب علي بن محمد العربي ما دام المؤرخون المعاصرون ـ وبخاصة الطبري ـ يؤكدون هذا النسب ، ولو كان فارسيا حقا لاكد المعاصرون على هذه الناحية ، فضلا عن ان بهبوذ هو اسم لشخص اخر من قواد هذه الثورة كما سنرى .

اما رواية القيرواني عن بشر بن محمد بن السري بن عبد الرحمن

بن رحيب الذي جعل صاحب الزنج ابن عم ابيه فهي رواية ضعيفة لانها تخلط بين نسب اب صاحب الزنج ونسبه امه (١٢) .

واذا انتقلنا الى المشكلة الثانية وجدنا المؤرخين ينكرون على علي بن محمد نسبه العلوي ويجمعون على انه انتحل هذا النسب ليضفي على حركته طابع الشرعية ، وفيما يلي بعض اقوال المؤرخين في هذا المجال: يقول ابو المحاسن (١٣) ان علياً لم يكن من العلويين بل هو دعي في انتسابه اليهم . ويقول ابن كثير (١٤) عن نسبة علي نفسه الى العلويين «وهو في ذلك كاذب لان الاجماع في يحيى انه لم يعقب الا بنتا ماتت وهي ترضع» . ويقول صاحب الفخري (١٥) : اما نسبه فليس عند النسابين بصحيح وهم يعدونه من الادعياء . ويقول ابن ابي الحديد (١٦) : «وأكثر الناس يقدحون في نسبه وخصوصا الطالبيين وجمهور النسابين اتفقوا على انه من عبد القيس » . ويقول المسعودي (١٧) : «وأكثر الناس يقول انه دعي آل ابي طالب» . ويؤكد ابن حوقل (١٨) في حديثه عن خراب البصرة ان «البرقعي» ادعى النسب العلوي ولم يكن علويا حقا . ويقول الاستاذ نولدكه في هذا الموضوع (١٩) : ان صاحب الزنج «ادعى انه من نسل علي وفاطمة بنت الرسول ، وربما كان هذا الادعاء صحيحا ، ذلك ان نسل علي آنذاك كانوا يعدون بالآلاف ولم تكن لهم كلهم اهمية تاريخية تذكر ، لكنه ربما كان نسبه مجرد اختراع » . اما الاستاذ ماسنيون فيقول (٢٠) : «ربما كانت نسبته الى العلويين صحيحة لان البيروني يقول (٢١) : ان الشيعة يحتفلون بذكراه في ٢٦ رمضان وقد سمي البرقعي» . وقد تأتى خطأ ماسنيون من فهم نص البيروني الذي يتعلق بذكر الايام المعظمة عند المسلمين ومنها ــ على حد قوله ــ يوم السادس والعشرين من رمضان «وفيه خرج البرقعي بالبصرة وذكر انه علي بن محمد...» . لكن البيروني لم يورد اية اشارة الى ان الشيعة يحتفلون بهذا اليوم ، بل

انه رجح نسبة صاحب الزنج الى عبد القيس ، هذا من جهة ومن جهة اخرى فان هناك من يذهب الى ان ثورة الزنج بدأت يوم ٢٨ رمضان كما سنرى .

وهكذا نجد ان المراجع العربية تجرد صاحب الزنج من النسب العلوي، ونحن لا نملك الا ان نذهب هذا المذهب لما بين ايدينا من الادلة الواضحة والشواهد البينة . ذلك ان ادعاء النسب العلوي من جانب الثائرين ـ طول العصور الوسطى الاسلامية ـ كان امرا معتادا متكررا ، لان العلويين اشتهروا بنقمتهم على السلطة القائمة واعتبارهم اياها مغتصبة جائرة ، بدليل ثوراتهم الكثيرة طوال العصر العباسي . كما ان الاستناد الى النسب العلوي يضفي على حركة صاحب الزنج ـ كما أسلفت ـ طابع الشرعية الذي لا بد من توفره لكي تنجح الحركة وتلقى التأييد من العامة الذين اعتقدوا ان الاصلاح لن يكون الا على يد علوية . وبين يدي ادلة اخرى لعلها اكثر قيمة سأؤجلها حين البحث في علاقة حركة الزنج بالشيعة وهو موضوع الفصل القادم .

ولد علي بن محمد ـ كما أسلفت ـ في قرية ورزنين من قرى الري ونشأ فيها . وكان جده لامه ـ على حد قوله ـ من اهل الكوفة ومن الخارجين على الخلافة الاموية مع زيد بن علي ، وقد اقام هذا الجد في الري بعد مقتل زيد . اما جده لابيه فقد ولد بالطالقان من نواحي خراسان ثم نزح الى العراق حيث ولد محمد ابو صاحب الزنج من جارية سندية . ونحن لا نعلم شيئا ذا غناء عن حياة صاحب الزنج الاولى لانه كان من غمار العامة ، ومن سواد الناس الذين اهملهم المؤرخون ولم يعنوا بتدوين نشأتهم . على ان المؤرخين أمدونا ببعض المعلومات عن نشاطه قبيل ان يقوم بثورته موضوع البحث ، فقالوا انه كان يعيش في سامراء عاصمة الخلافة اذ ذاك ، متصلا ببعض خدم الخليفة المنتصر (٢٤٧ـ٢٤٨) (٨٦١ـ٨٦٢ م) الذين كانوا ينعمون عليه

ويمدونه بما يتعيش منه ، أمثال غانم الشطرنجي وسعيد الصغير ويسر الخادم (٢٢) . وهذا يدل على ان علياً بن محمد كان فقير الحال ليس له اي نصيب من الجاه والغنى ، بل بالعكس لقد كان معوزا فقيرا وهي ناحية مهمة في حياته لانه قاسى ما قاساه أمثاله من الطبقة العامة التي كانت تعيش في العاصمة على هامش الحياة . وقد زاد من نقمة علي انه عاش على مقربة من قصور الخلفاء وأخذ يشهد بعينيه بذخ الخلفاء والامراء والاغنياء ، ويبصر تفسخ الحياة الاجتماعية وانحطاط الاخلاق وضعف الادارة وتغلب المطامع ، والصراع العنيف الذي كان يدور في خفايا القصور وأبهائها من اجل الوصول الى السلطة . ولا شك ان هؤلاء الخدم قد اوقفوه على حقيقة ما كان يجري حول عرش الخلافة المضطرب الذي كان يعبث به القواد الاتراك اشد العبث، فأدرك الحقيقة الكبرى في تاريخ هذه الحقبة ، وهي ان الخليفة لم يكن سوى اداة بيد رجال الجيش الاجانب ، الذين اخذوا ابتداء من هذا التاريخ يمارسون السلطة الحقيقية في الدولة .

كان علي بن محمد في هذه الحقبة من حياته ـ كما قيل ـ ينظم الشعر ويتخذه وسيلة للعيش ، فيمدح به اصحاب السلطان وكتابه ويستمنحهم بشعره (٢٣) . وقد حفظت لنا بعض المراجع (٢٤) نماذج من شعره سنعرض لها فيما بعد لكنها لم تكن من شعر المديح بأية حال من الاحوال . كما اتخذ صاحبنا الى جانب قرض الشعر حرفة تعليم الصبيان بسامراء كوسيلة اخرى للتعيش فكان يعلمهم الخط والنحو وعلم النجوم والسحر والاصطرلابات (٢٥) .

رحل علي بن محمد من سامراء سنة ٢٤٩ (٨٦٣ م) الى البحرين متأثرا بما شهد وسمع في عاصمة الخلافة من فوضى واضطراب اشد التأثر . ولعل علي بن محمد صمم على ان يفعل شيئا منذ كان في سامراء ، غير انه ادرك ان هذه المدينة لم تكن مركزا صالحا لاي عصيان

ضد الخلافة بسبب الرقابة الشديدة والجاسوسية المحكمة ووجود السلطة المركزية . ولعله اختار البحرين لبعدها عن مركز الدولة من ناحية ، ولان رابطة من النسب والقرابة تربطه بهذا الصقع من ناحية ثانية ، وربما لسبب اخر في غاية الاهمية هو ان البحرين كانت بيئة صالحة لنشر الدعايات الاجتماعية والدينية ، وقد شهدت السنين القادمة قيام جمهورية قرمطية صرفة في هذه البلاد . وقد كان علي على صواب في رحيله الى هذه الجهة لانه لم يلبث ان كسب اعوانا مخلصين من اهل البحرين ظلوا الى جانبه حتى نهاية ثورته . ومما هو جدير بالملاحظة ان هؤلاء الاعوان الاول كانوا جميعا من الطبقة العامة واصحاب الحرف والموالي ، ولعل اجدرهم بالذكر يحي بن محمد البحراني مولي بني دارم وكان كيالا ، ويحي بن ابي ثعلب وكان تاجرا صغيرا ومولى اسود لبني حنظلة هو سليمان بن جامع ، ومحمد بن سلم القصاب وبريش القريعي وعلي الضراب والحسين الصيدناني وشخص مغمور كان يمارس الحجامة (٢٦) .

وفي البحرين ادعى علي انه من آل علي ودعا الناس بهجر الى الانضمام اليه (٢٧) . وقد تبعه جماعة من اهل هجر ورفضت دعوته جماعة اخرى ، وقامت بين الفئتين فتنة سفكت فيها الدماء وأزهقت الارواح ، فخرج الى الاحساء احدى مدن البحرين آنذاك (٢٨) بعد ان ادرك ان الاحوال في هجر لم تكن في صالحه . وقد لقي علي في الاحساء نجاحا باهرا ، وأقام بين ظهراني بني تميم وبني سعد وهما أشد القبائل بأسا في البحرين . ويقول المؤرخون (٢٩) ان اهل البحرين «أحلوه في انفسهم محل النبي فيما ذكر حتى جبي له الخراج هناك ونفذ حكمه بينهم» . وبعد ان بذر علي بذور حركته في هذه الجهات رحل الى البادية حيث حاول ان يجذب الى صفه الاعراب . وهناك احاط نفسه بهالة من القدسية ، فادعى انه اوتي الغيب وانه يستطيع اتيان

الخوارق ، بل يذكر المؤرخون انه انتحل قرآنا خاصا به ، وان سورا منه كانت تجري على لسانه كأنها من فعل وحي سماوي (٣٠) . ولما علم ان البادية لم تكن بالبيئة الصالحة لنشر دعوته لما تميز به البدو من النزعة الفردية وعدم انقيادهم لمثل هذه الدعوات الروحية الغامضة ، قرر ان يرحل الى البصرة وهي يومئذ مدينة كبيرة آهلة بالسكان تصطرع فيها الافكار والنزعات الدينية ويتضح في تكوينها الاجتماعي التصادم الذي المحنا اليه في الفصل السابق (٣١) . ويشير المقدسي الى الفتن التي كانت تقوم بين الربعيين وهم شيعة وبين السعديين وهم سنة . اما هو ففسر للمحيطين به نزوحه الى البصرة تفسيرا غيبيا روحيا ، لكي يحيط نفسه بهالة من القدسية تجذب اليه اعوانه ومؤيديه ، لذلك قال: «اني القيت نفسي على فراشي فجعلت افكر في الموضع الذي اقصد له واجعل مقامي به اذ نبت بي البادية وضقت بسوء طاعة اهلها ، فأظلتني سحابة فبرقت ورعدت ، واتصل صوت الرعد منها بسمعي فخوطبت فيه فقيل : اقصد البصرة» (٣٢) .

قدم علي بن محمد الى البصرة في سنة ٢٥٤ (٨٦٨ م) وكان عاملها يومئذ محمد بن رجاء الحضاري ، وصادف قيام فتنة حادة بين الفرقتين التركيتين الكبيرتين البلالية والسعدية ، فطمع ان يستميل اليه احدى الفرقتين (٣٣) . وتفصيل الامر ان احوال البصرة كانت قد فسدت في امارة محمد بن رجاء ، وانقسم اهلها على بعضهم وتطور العداء الى اصطدام دموي مسلح داخل المدينة ادى الى طرد العامل وفتح السجون ونهب بيت المال ودور الاغنياء وبقيت هذه المدينة مسرحا للفوضى حتى قدم اليها صاحب الزنج .

حاول علي ان يبدأ دعوته في مسجد البصرة غير انه اخفق وطارده جند الخلافة فلاذ بالفرار الى بغداد ، غير ان الوالي قبض على أتباعه ،

وعلى زوجه وابنه وابنته وجارية له . لكن الذي افاده علي من هذه المغامرة انه مهد لحركته ، وبذر بذورها واطلع على احوال البصرة السياسية والاجتماعية ، كما كسب بعض الاعوان المخلصين أمثال علي بن أبان المهلبي من ولد المهلب بن ابي صفرة وأخويه محمد والخليل(٣٤). ويبدو انضمام آل المهلب لصاحب الزنج ، وهم من افراد اسرة عربية عريقة عرف عميدها بشدته على الخوارج ، امرا غريبا لاول وهلة ، غير ان الغرابة تزول اذا علمنا ان فرعا من آل المهلب نقموا على العباسيين حرمانهم من املاكهم الشاسعة في البصرة (٣٥) . ومن هنا تبدأ حياة علي الحقيقية المليئة بالمغامرة والنشاط ، فبعد هربه من البصرة ، قبض عليه عامل واسط لكنه استطاع ان يفلت بالحيلة ويشخص الى بغداد حيث اقام عاما ينتسب الى احمد بن عيسى بن زيد (٣٦) .

ظل علي بن محمد في بغداد ينتظر الفرص المؤاتية ويرقب الاحوال بحذر ويتنسم اخبار البصرة حيث اهله وأعوانه . كما انه لم يقف مكتوف اليدين ، بل اخذ يدعو لنفسه بحذر ويجمع حوله اعوانا جددا، فاستمال جماعة اصبحوا فيما بعد من اخلص تابعيه. ولم ينس ان يحيط نفسه ببغداد بهالة من الغموض ويغلف اقواله وتصرفاته بثوب من التصورات الروحية للسيطرة على نفوس أتباعه . فادعى انه يعلم حقيقة ما في ضمائرهم وما يفعله كل منهم ، وانه سأل ربه آية فرأى كتابا يكتب له وهو ينظر اليه على حائط دون ان يرى كاتبه (٣٧) . وما انتهى العام الذي قضاه في بغداد حتى وردت الاخبار تنبىء عن عزل محمد بن رجاء عدوه اللدود وقيام فتنة جديدة بين البلالية والسعدية ، وقد فتحت السجون وخرج اهله واصحابه ، فعاد الى البصرة في رمضان سنة ٢٥٥ مع اعوانه الاول الستة المقربين والمخلصين وهم علي بن ابان ويحي بن محمد ومحمد بن سلم وسليمان بن جامع والغلامين مشرق ورقيق (٣٨) . وأغلب الظن ان علياً كان له أتباع هناك يوافونه

بالاخبار ، وربما كان لاعوانه ضلع في الحوادث التي وقعت في البصرة.

اقام صاحب الزنج في برنخل (في فرات البصرة) بين مدينة الفتح وكرخ البصرة (٣٩) ، في مكان يعرف بقصر القرشي على نهر عمود بن المنجم الذي احتفره بنو المنجم (٤٠) . وادعى انه وكيل «لولد الواثق» في بيع ما يملكونه من السباخ (٤١) ، وأمر اصحابه ان يتظاهروا بذلك ايضا . وواضح انه كان يهدف الى الاتصال بالزنج المشتغلين بكسح السباخ ويدرس احوالهم ويقوي علاقاته بهم ، بدليل انه اخذ يسأل عن ظروف عملهم وغذائهم ، كما اخذ ــ من ناحية ثانية ــ يتحرى اخبار البصرة وانباء النزاع بين البلالية والسعدية . وابتداء من هذا التاريخ اخذ الزنج يجتمعون حول علي بن محمد، ويعتبر البيروني يوم الاثنين ٢٦ رمضان سنة ٢٥٥ (٦ ايلول ٨٦٩ م) يوم قيامه بالثورة (٤٢) ، على حين يرجح آخرون ان الثورة بدأت يوم ٢٨ رمضان .

• • •

يدل مسلك علي بن محمد على انه كان ذكيا قوي الارادة طموحا ذا نفس وثابة نازعة نحو الآمال الكبار . وكان صبورا هادىء التفكير يحسب لكل حركة حسابها ، ويضع كل امر في موضعه ، وقد ادرك القوة التي تكمن في العبيد السود ، واستطاع ان ينقلها الى مجال العمل ، كما انه نمى في هؤلاء شعورهم بالاضطهاد فانفجر في حركة عنيفة ارعبت الدولة العباسية وتطلبت وقتا طويلا لكبحها وجهودا جبارة للقضاء عليها طوال مدة تزيد على اربع عشرة سنة .

وكان علي بن محمد رجلا مثقفا بمفهوم عصره ، فقد كان خطيبا وشاعرا بدليل انه كان ينظم الشعر (٤٣) ، ويقول ابو بكر الصولي : ان له شعرا حسنا مطبوعا «وزعم ابو بكر بن دريد انه عمل له اكثره ،

وما ارى هذا يصح لانه لا يشاكل على طريقة بن دريد (٤٤)» • ويروى ابن ابي الحديد (٤٥) انه كان يعلم الصبيان الخط والنحو وعلم النجوم والسحر والاصطرلابات وهي علوم عصره• وقد عبر الشاعر يحيى بن محمد الاسلمي ــ اثر هزيمة الزنج ــ عن اعتماد علي بن محمد على التنجيم بقوله :

اين نجوم الكاذب المارق ما كان بالطب ولا الحاذق (٤٦)

لقد اثرت عن صاحب الزنج نماذج من الشعر الحسن المطبوع الذي يدل على تمكنه من العربية • وقد جاء في كتاب ذيل زهر الآداب او جمع الجواهر في الملح والنوادر للقيرواني مجموعة من الشعر الجيد نسبها الى علي بن محمد (٤٧) • كذلك يصفه ابن ابي الحديد بانه كان حسن الشعر مطبوعا عليه فصيح اللهجة • وروى له ايضا ابياتا لعلها خير ما يعبر عن نقمة «صاحب الزنج» على الاوضاع السائدة ، وتبرمه بما كان عليه من الفقر والفاقة ونزوعه الى المجد والسؤدد وهي :

رأيت المقام على الاقتصاد قنوعا به ذلة في العباد
اذا النار ضاق بها زندها ففسحتها في فراق الزناد
اذا صارم قر في غمده حوى غيره السيف يوم الجلاد (٤٨)

وهكذا يرى علي بن محمد في القناعة والبقاء على الكفاف نوعا من الذلة والخنوع ، وان على الانسان ان يسعى ويجد ليصل الى الغايات البعيدة • فهذه الابيات تعبر عن نفس متوثبة ثائرة كانت ابرز ما ميز صاحبنا منذ بداية حركته حتى نهايتها •

وهو ينظر حوله فيتألم ، ويبصر كيف يحيا الخاصة في

قصور بغداد حياة لهو وتهتك وانحلال ، فيمتلىء قلبه بالحقد ويقسم ان سيكون الثائر المصلح ، وهادم سلطان الدولة التي وضعت مقدراتها بيد «الخصيان» .

لهف نفسي على قصور ببغداد وما قد حوته من كل خاص
وخمور هناك تشرب جهرا ورجال على المعاصي حراص
لست بابن الفواطم الزهر ان لم اقحم الخيل بين تلك العراص (٤٩)

وتبدو في مقطوعة اخرى نسبت له نزعة شيعية واضحة فهو يعتب على العباسيين ـ ابناء عمومته ـ ويدعوهم الى الكف عن اضطهاد العلويين ، ويعيب عليهم تقديمهم الاتراك وتوليتهم شؤون الحكم :

بني عمنا لا توقدوا نار فتنة بطيء على مر الليالي خمودها
بني عمنا انا وانتم انامل تضمنها من راحتيها عقودها
بني عمنا وليتم الترك امرنا بدينا واعقابا ونحن شهودها
فاقسم لا ذقت القراح وان اذق ببلغة عيش او يبار عميدها (٥٠)

هل كان صاحب الزنج قد خرج على الخلافة العباسية متألما مما آلت اليه الامور من الفساد وانه كان يريد ان ينشر العدل ويحقق المساواة الاجتماعية ، ام انه كان طموحا نزوعا الى المجد ؟ ان الذي يصل اليه الباحث في حركته انه كان مندفعا للدعوة التي تبناها ، وقد عرضت له فرص عديدة كان يستطيع ان يثري عن طريقها لكنه عزف عنها . فقد روى المؤرخون (٥١) ان رميسا احد قواد العباسيين ارسل الى صاحب الزنج يمنحه الامان وخمسة دنانير عن كل رأس من العبيد الذين معه اذا ردهم الى مواليهم لكنه رفض الطلب باصرار . فاذا علمنا ان اعداد

العبيد كانت ضخمة جدا ، ادركنا اية ثروة عريضة كان يستطيع ان يجنيها صاحب الزنج لو كان طالبا للمنفعة الشخصية . وحين شك الزنج في حقيقة هذه المفاوضات واضطربوا ، حلف لهم انه لم يخرج لعرض من اعراض الدنيا وقال لهم معاهدا «ها انذا معكم في كل حرب اشرككم فيها بيدي واخاطر معكم فيها بنفسي ج(٥٢) » . غير اننا يجب ان نعترف بان صاحب الزنج كان ينشد غاية ابعد من المال وهي السلطة وربما الخلافة ، يغريه في امكان تحقيق هذه الغاية ما آلت اليه الدولة من الضعف والتفكك .

على ان الباحث يجد ان المؤرخين اسبغوا على علي شتى عبارات السوء وكالوا له صنوف الشتائم . فهو الدعى والخبيث واللعين والخارج على الدين وعدو الله والمسلمين . وقد نسبت اليه المراجع من الآثام واعمال القسوة الشيء الكثير ، واتهم بانه نهاب قاطع طريق ما يكاد يفتح قرية او مدينة حتى يأمر باتتهابها (٥٣) . ونسب الطبري الى ريحان ـ احد اصحاب علي بن محمد ـ هذا الخبر « رأيت صاحب الزنج يومئذ ينتهب معنا ولقد وقعت يدي ويده ـ اي صاحب الزنج ـ على جبة صوف مضربة فصار بعضها في يده وبعضها في يدي وجعل يجاذبني عليها حتى تركتها (٥٤)» . كذلك قيل انه كان «يقتل الصغير والكبير والذكر والانثى ويحرق ويخرب (٥٥)» . اما ابن ابي الحديد فيطعنه في دينه ويرميه بالزندقة والالحاد (٥٦) ، وهي تهمة غامضة الصقت بكل خارج على النظام القائم .

ونحن وقد بعدت الشقة بيننا وبين ذلك العصر ، علينا ان ننظر الى هذه الاقوال نظرة شك وحذر ، اذ لم يكن معقولا او متوقعا ان يشيد المعاصرون بصاحب الزنج او يمتدحوه ، بل كان متوقعا منهم ان يحطوا من قدره ما دام خارجا على النظام السائد وثائرا على الدولة صاحبة الحول والقوة . غير أن هؤلاء المؤرخين انفسهم ذكروا امورا تدل على النبل والترفع وتناقض ما الصقوه به من العبث والفساد . فحين قتل

احد اهالي قرية القادسية احد الزنج ، غضب هؤلاء وطلبوا الى زعيمهم ان ينتهبوا القرية وينتقموا من القاتل ، غير انه استنكر ذلك قائلا : «لا سبيل الى ذلك دون ان نعرف ما عند القوم ، وهل فعل القاتل ما فعل عند رأيهم ونسألهم ان يدفعوه الينا ، فان فعلوا والا ساغ لنا قتالهم (٥٧)» . وحين نكث اهل قرية الجعفرية بالعهد الذي قطعوه على انفسهم بان يقفوا على الحياد في حرب الزنج ، ودخل هؤلاء القرية يريدون الانتقام نادى بهم زعيمهم «ألا برئت الذمة ممن انتهب شيئا من هذه القرية او سبى منها احدا ، فمن فعل ذلك فقد حلت به العقوبة الموجعة (٥٨)» .

ويروي الطبري قصة اخرى ذات مغزى عن جماعة من الحجاج سلكوا طريق البصرة بالسفن فناظرهم صاحب الزنج «بقية يومه الى وقت غروب الشمس فجعلوا يصدقونه في جميع قوله، وقالوا لو كان معنا فضل نفقة لاقمنا معك فردهم الى سفنهم ...» وعرضوا عليه بساطا كان معه فأبدله ببساط كان معه ، كما انه اطلق سراح رجل كان معهم «من اصحاب السلطان» بعد ان حلف انه تاجر جاء الى البصرة ليبيع بضاعته فخلى سبيله واطلق الحجاج (٥٩) .

على اننا لا نستطيع ان نبرىء صاحب الزنج واتباعه مما ارتكبوه من اعمال القسوة التي نسبها اليهم المؤرخون ، فما من شك انهم دمروا المدن ونهبوا القرى وقتلوا الرجال وسبوا النساء واسترقوهن (٦٠) ، غير ان هذه الاعمال يبررها امران ، اولهما ان الزنج كانوا في حالة حرب سافرة وقد وقفت الدولة وملاك الاراضي واهل المدن ضدهم وحاربوهم بكل قواهم ، فكان لا بد ان يلجأ الزنج بدورهم الى كل وسيلة تتيح لهم ان ينتقموا من اعدائهم ويضعفوا من قوتهم . وثانيهما ان روح العصر تبرر ما كان يجري من اعمال القسوة والعنف في الحروب ، وما اظن احدا يستطيع الادعاء بان النزعات الانسانية كانت هي الموجهة في

اية حرب او ثورة شهدتها العصور الوسطى سواء كان ذلك في الشرق ام في الغرب • لقد كانت اعمال القسوة والتعذيب والتشهير والتمثيل تجري في المعسكرين : معسكر الزنج ، ومعسكر العباسيين • غير ان هناك كثيرا من الشواهد ــ وقد ذكرنا بعضها ــ تدلل على ان صاحب الزنج تسامح في حالات كثيرة مع الابرياء والمحايدين كما فعل في قريتي القادسية والجعفرية •

مراجع وملاحظات (الفصل الثاني)

(١) ابو المحاسن : النجوم الزاهـــرة ج٣ ص ٢١ ، المسعـودي : ج٢ ص ٤٣٩ ، تاريخ ابن الوردي ج٦ ص ٢٣٣ .
(٢) الطبري ج٣ ص ١٨٥٧ ، ابن الاثير ج٧ ص ٩٧ .
(٣) شرح نهج البلاغة ج٨ ص ٣١٨ .
(٤) الطبري ج٣ ص ١٧٤٣ .
(٥) ابن الاثير ج٧ ص ١٣٩ .
(٦) ابن ابي الحديد ج٨ ص ٣١١ .
(٧) الطبري ج٣ ص ١٧٤٣
(٨) البلاذري ص ٨٥ .
(٩) الطبري ج١ ص ٨٣٦ .
(١٠) البلاذري ص ٨٥ .
(١١) ابن الجوزي : المنتظم ج٥ ص ٦٩ ، ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ج٣ ص ٤٨ .
(١٢) زهر الآداب ج١ ص ٢٩٨ .
(١٣) النجوم الزاهرة ج٣ ص ٢١ .
(١٤) البداية والنهاية ج١١ ص ٢٩ .
(١٥) الفخري في الآداب السلطانية ص ١٨٣ .
(١٦) شرح نهج البلاغة ج٨ ص ٣١١ .
(١٧) مروج الذهب ج٤ ص ١٩٤ .
(١٨) صورة الارض ج١ ص ٢٣٧ .
(١٩) Noldeke PP., 146-47.
(٢٠) Encyclopeadoa of Islam, Vol. IV, P., 1213 .
(٢١) يقول البيروني في الكلام على اعياد المسلمين «في السادس والعشرين

من رمضان خرج البرقعي بالبصرة وذكر انه علي بن محمد بن احمد ابن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب ، وقيل انه كان علي بن محمد عبد الرحيم بن عبد القيس . وحكي ان الحسن بن زيد صاحب طبرستان كتب اليه حين ظهر بالبصرة يسأله عن نسبه ليعرف له حقه فاجابه ليعنك من امري ما عناني من امرك والسلام» .
الآثار الباقية عن القرون الخالية ص ٣٣٢ .

(٢٢) الطبري ج٣ ص ١٧٤٩ ، ابن الوردي : تتمة المختصر ج١ ص ٢٣٣ .

(٢٣) الطبري ج٣ ص ١٧٤٣ ، ابن ابي الحديد ج٨ ص ٣١١ ، كتاب العيون الورقة ٧ أ ، ابن الوردي ج١ ص ٢٣٣ .

(٢٤) القيرواني : ذيل زهر الآداب ص ١٥٤ ، شرح نهج البلاغة ج٨ ص ٣١١ .

(٢٥) شرح نهج البلاغة ج٨ ص ٣١١ .
يقول الطبري (ج٣ ص ١٧٦٣) ان صاحب الزنج اخذ اصطرلابا من مشرق فقاس به الشمس ونظر في الوقت قبل ان يشن هجوما. وقال: (ج٣ ص ١٧٨١) ان صاحب الزنج كانت معه كتب واصطرلابات .

(٢٦) الطبري ج٣ ص ١٧٤٥ .

(٢٧) نفس المرجع ج٣ ١٧٤٤ ، ابن كثير ج١١ ص ١٩ .

(٢٨) انظر ياقوت : معجم البلدان ج١ ص ١٣٧ .

(٢٩) الطبري ج٣ ص ١٧٤٤ .

(٣٠) ابن ابي الحديد ج٨ ص ٣١٥ .

(٣١) احسن التقاسيم ص ١٣٠ .

(٣٢) الطبري ج٣ ص ١٧٤٤ ، البداية والنهاية ج١١ ص ١٩ .

(٣٣) الطبري ج٣ ص ١٧٤٥ ، البداية والنهاية ج١١ ص ١٩ .

(٣٤) شرح نهج البلاغة ج١١ ص ٣١٢ ، والطبري ج٣ ص ١٧٤٥ .

(٣٥) يقول البلاذري (فتوح البلدان ٣٧٤ ـ ٣٧٥) «كانت مهلبان قطيعة لعمر بن هبيرة اقطعه اياها يزيد بن عبد الملك حين قبض يزيد بن المهلب واخوته وولده ، وكانت للمغيرة بن المهلب ... وهي اليوم لآل سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب ، رفع الى ابي العباس امير المؤمنين بها فاقطعه اياها فخاصمه آل المهلب في امرها فقال : كانت للمغيرة ، فقالوا نحن نجيز ذلك مات المغيرة بن المهلب قبل ابيه فورثت ابنته النصف ، فلك ميراثك من امك ورجع الباقي الى ابيك

فهو بين الورثة . قال وللمغيرة ابن قالوا وما لك ولابن المغيرة انت لا ترثه انما هو خالك . فلم يعطهم شيئا . وهي الف وخمسمائة جريب» .

(٣٦) الطبري ج٣ ص ١٧٤٦ .

(٣٧) البداية والنهاية ج١١ ص ١٩ .

(٣٨) يدعوهم احمد علبي (ثورة الزنج وقائدها علي بن محمد ص ٩٠-٩١) «مجلس ثورة الزنج» .

(٣٩) الطبري ج٣ ص ١٧٤٧ ، ويسميها المسعودي (ج٤ ص ١٩٥) بئر نخل.

(٤٠) تسمية الانهار باسم الذين احتفروها كانت شائعة في البصرة . الاصطخري : مسالك الممالك ص ٧٩ ، انظر البلاذري ص ٣٥٤ ـ ٣٨٠ عن خطط البصرة وانهارها ، ياقوت ، معجم البلدان .

(٤١) Noldeke, P., 149.

(٤٢) البيروني : الآثار الباقية ص ٣٣٢ .

(٤٣) ابن ابي الحديد ج٣ ص ٣١١ .

(٤٤) القيرواني : ذيل زهر الآداب ص ١٥٤ .

(٤٥) ج٨ ص ٣١١ .

(٤٦) الطبري ج٣ ص ٢٠٩٩ .

(٤٧) انظر ذيل زهر الآداب ص ١٥٤ ، يقول صاحب كتاب العيون (الورقة ٧ ا) عن صاحب الزنج انه «كان شاعرا اديبا يعرف طرفا من النجوم ...»

(٤٨) ج٨ ص ٣١١ ، ومن الشعر المنسوب اليه :

وانا لتصبح اسيافنا اذا ما انتضين ليوم سفوك
منابرهن بطون الأكف واغمادهن رؤس الملوك

ومن شعره ايضا :

واذا تنازعني اقول لها قري موت يريحك او صعود المنبر
ما قد قضى سيكون فاصطبري له ولك الامان من الذي لم يقدر

(ابن ابي الحديد ج٨ ص ٣١١)

(٤٩) ذيل زهر الآداب ص ١٥٤ .

(٥٠) نفس المرجع ص ١٥٤ .

(٥١) الطبري ج٣ ص ١٧٥٦ .

(٥٢) نفس المرجع ج٣ ص ١٧٥٧ .

(٥٣) نفس المرجع ج٣ ص ١٧٦٥ ، ص ١٧٧٣ ومواضع اخرى .
(٥٤) نفس المرجع ج٣ ص ١٧٧٣ .
(٥٥) المسعودي : مروج الذهب ج٤ ص ٢٠٧ .
(٥٦) ج ٨ ص ٣١١ .
(٥٧) الطبري ج٣ ص ١٧٥٣ .
(٥٨) نفس المرجع ج٣ ص ١٧٥٨ .
(٥٩) نفس المرجع ج٣ ص ١٧٦٨ .
(٦٠) نفس المرجع ج٣ في مواضع مختلفة .

الفصل الثالث

ثورة الزنج ـ طبيعتها وأسسها العقائدية

طبيعة ثورة الزنج ـ
الاسس العقائدية لثورة الزنج

طبيعة ثورة الزنج :

ان البحث في طبيعة ثورة الزنج ، ومحاولة الوصول الى آراء قاطعة عن مبادئها وبرنامجها امر على جانب كبير من الصعوبة ، لان آراء المؤرخين تتضارب بشدة من ناحية ، ولان المعلومات في هذا المجال جد شحيحة من ناحية اخرى ، فضلا عن ان كثيرا من الاحكام التي اصدرها المؤرخون القدامى عن هذه الثورة ـ شأنهم في اية حركة ضد الخلافة ـ تتميز بطابع التحامل والتحيز . لقد افاض المؤرخون في الحديث عن ثورة الزنج من وجهتها العسكرية فأمدونا بادق التفاصيل واتفهها عن المعارك التي دارت بين الزنج والجيوش العباسية ، الى درجة ان الباحث يجد نفسه مضطرا الى اغفال واهمال الكثير من هذه التفاصيل غير المجدية في كثير من الاحيان . فاذا انتقل الباحث الى دراسة الاسس

الفكرية والاجتماعية لثورة الزنج، وجد ان الطريق شائك والسبيل وعر، فعليه ان يلجأ الى جمع الاشارات العابرة من هنا وهناك لتكوين فكرة واضحة عن هذا الموضوع .

اننا نهدف في هذا الفصل الى القاء ضوء على جملة قضايا ما زالت غامضة غير مدروسة ، فعلينا ان ندرس طبيعة «ثورة الزنج» ونقرر فيما اذا كانت ذات برنامج يهدف الى اصلاح شامل للنظام الاجتماعي القائم ، ام كانت مجرد حركة ضيقة ترمي الى تحسين احوال طبقة اجتماعية معينة . وعلينا كذلك ان نحدد علاقة هذه الثورة بالشيعة من ناحية وبالخوارج من ناحية ثانية وبالقرامطة من ناحية ثالثة .

ادعى صاحب الزنج النسب العلوي كما اسلفنا ليضفي على نفسه طابعا روحيا ويكسب حركته سندا شرعيا ، ذلك ان الناس اعتقدوا آنذاك بان تغيير النظم القائمة لن يتم الا على يد علوية تتصل باهل البيت ، وبهذا النسب يستطيع علي بن محمد ان يجذب اليه العامة ويجمع حوله الانصار . ويمكن القول ان هذا العصر ـ النصف الثاني من القرن الثالث ـ شهد اوج انتشار الدعوة الشيعية ورواجها ، ففي عام ٢٦٠ شهد العالم الاسلامي غيبة الامام المهدي وهو الامام الثاني عشر عند الامامية (الاثني عشرية) الذين ينتظرون عودته ليملأ الارض عدلا بعد ان ملئت جورا . كما شهد هذا العصر دعاية الشيعة الاسماعيلية وتأسيس الدولة الفاطمية في شمال افريقية . وفي هذا الوقت كان الصفارون يلعبون دورا كبيرا في تقوية المذهب الشيعي في بلاد فارس ، في الوقت الذي نشأت دولة شيعية في طبرستان الممتدة بين جبال البرز وساحل بحر قزوين الجنوبي تحت حكم الحسن بن زيد العلوي (١) ، وفي الوقت الذي راجت الدعاية الاسماعيلية وانبث القرامطة ينشرون مبادئهم المتطرفة في صفوف العامة تحت رداء من العقائد الشيعية المغالية . كل ذلك طبع اذهان الناس باعتقاد مؤداه ان الاصلاح المنشود

سيتم على ايدي العلويين ما داموا قد حملوا لواء المعارضة ضد الدولة ردحا طويلا من الزمن . فاذا فهمنا هذه الحقيقة ادركنا لم استند صاحب الزنج الى اسس روحية من هذا النمط .

لم تكن حركة الزنج الحركة الوحيدة التي استندت الى ادعاءات دينية في التاريخ الاسلامي ، بل يصح القول ان جميع الحركات الاجتماعية التي سبقتها وتلتها ـ طوال العصور الوسطى ـ اتخذت الدين ستارا لها يحجب اهدافها الاجتماعية . وثمة حقيقة كبرى في التاريخ الاسلامي الوسيط ، هي ان الدين لم ينفصل عن السياسة بل ظلا يسيران جنبا الى جنب . ذلك ان الخليفة كان يجمع في يديه السلطتين الروحية والزمنية ، على عكس ما نجد في الغرب ابان العصور الوسطى ، حيث كانت السلطة الروحية بيد البابا والزمنية بيد الامبراطور ، ومن هنا لا يستطيع الباحث في تاريخ المجتمع الاسلامي ان يفصل ما هو ديني عما هو دنيوي . وهذا هو السر في ان الخليفة بقي يتمتع بمكانة عظيمة في قلوب المسلمين ، حتى يوم اشتط بعض الخلفاء في انحرافهم عن جادة الدين وعن تعاليمه القويمة ، لانه ـ على الرغم من كل شيء ـ اعتبر منفذ الشريعة الاسلامية وممثلا للرسول ومفسرا للقرآن والسنة . ان هذه الحقيقة ادت الى نتيجتين مهمتين ، اولاهما : ان كل حركة قامت في التاريخ الاسلامي ـ مهما كان نصيبها من الحق والصواب ـ وصمت بانها زيغ وزندقة وخروج على الدين والدولة ، وثانيهما : ان الحركة ـ اية حركة ـ لم يكن يقدر لها النجاح ما لم تستند الى حجة دينية شرعية تبرر قيامها ضد النظام القائم . وينطبق هذا القول على حركات الخوارج والاسماعيلية والقرامطة والزنج وغيرها . لقد كانت هذه الحركات جميعها ذات اهداف وغايات واسس اجتماعية ، لكنها اتخذت الدين ستارا لها لكي تبرر برامجها في نظر الجماهير . ومن هنا عبرت ثورة الزنج عن روح العصر اشد التعبير ، ذلك العصر الذي امتلأ

بالدعايات الاجتماعية المتسترة باسم العدالة الدينية الداعية الى اعادة الشريعة الى ما كانت عليه ، مع انها لم تكن في الواقع سوى تأكيد ضرورة تحسين احوال الطبقات العامة ، وبتعبير آخر محاولة لتغيير النظام السائد .

ان الحركات التي تشابه ثورة الزنج في الدافع والهدف والطبيعة العامة كثيرة لا حصر لها ، ففي العصر الاموي استطاع المختار الثقفي ان يستغل فرصة الاضطراب الداخلي فيكسب نجاحا ملحوظا بموجب الحجج الدينية مستندا الى تأييد الطبقات العامة ـ وبخاصة الموالي ـ في الكوفة حيث بلغ التشيع اقصاه (٢) ، وحيث كان العرب ينظرون الى هؤلاء في شيء كثير من الازدراء ، ولم يرضوا ان يشاركوهم في ثمرات ما يفتحونه من البلدان (٣) . واذا شئنا الاستطراد وجدنا ان ثورة الحارث بن سريج في خراسان كانت من ذات الطابع ، فقد استغل هذا الرجل الورع تذمر الطبقات العامة فاشعل نار ثورة عنيفة في السنوات الاخيرة من الحكم الاموي ، وطبع حركته بطابع روحي ـ كالعادة ـ فزعم انه المهدي المنتظر الذي هيأه الله ليملأ الارض عدلا بعد ان ملئت جورا ، ونادى بضرورة الرجوع الى القرآن والسنة وانتخاب حكومة ترضى عنها غالبية المسلمين (٤) . واذا حاول الباحث ان يستقصي الثورات التي قامت ضد الامويين والعباسيين ، وجد انها كانت كثيرة جدا وانها جميعا استندت الى صبغة دينية تغلف اهدافها الحقيقية ، مع العلم ان هذه الثورات ازدادت شدة وعنفا منذ منتصف القرن الثالث الهجري (٥) .

فالخاصية الاولى في ثورة الزنج اذن ، انها دعت الى تحسين احوال العبيد ومعاملتهم ـ كما امر الله ورسوله ـ بالرفق والحسنى والعمل على تحريرهم باية وسيلة كانت . والحق ان صاحب الزنج ادرك بعمق انه ـ لكي يلاقي النجاح في حركته ـ يجب ان يستند الى مبدأ

شرعي مقبول ، ومن ثم نادى بتطبيق التعاليم الاسلامية الاولى التي اوصت بالعبيد خيراً. وقد عبر عن هذه الحقيقة حين خاطب اسياد العبيد ووكلاءهم قائلا : «قد اردت ضرب اعناقكم لما كنتم تأتون الى هؤلاء الغلمان ــ يعني الزنج ــ الذين استضعفتموهم وقهرتموهم وفعلتم بهم ما حرم الله عليكم ان تفعلوه بهم وجعلتم عليهم ما لا يطيقون (٦) ...» وما من شك في انه كان يشير الى ما ورد في القرآن والسنة من الآيات والاحاديث التي حثت على تحسين احوال العبيد ، وقد اوردنا طرفا منها في الفصل الاول .

لقد درس صاحب الزنج التنجيم وما يتصل به من التنبؤ والسحر و «الاصطرلابات (٧)» ، لان العامة ــ آنذاك ــ بل وحتى اليوم يؤمنون اشد الايمان بهذه التصورات ويعتقدون ان المرء يستطيع ان يكشف عن الغيب بهذه الطرق الغيبية ، وان للنجوم اشد الاثر على مصائر البشر . وهكذا ادعى صاحب الزنج ان جميع تصرفاته من حل وترحال وحرب وغزو انما كانت تلبية لهاتف خفي او وحي سماوي . فقد كان يتنبأ بخسوف القمر فيصدقه اتباعه (٨) . ومن الامثلة الطريفة في هذا المجال انه لما اراد دخول البصرة سنة ٢٥٧ هـ (٨٧٠ م) «نظر في حساب النجوم ووقف على انكساف القمر ... وقال : اجتهدت في الدعاء على اهل البصرة وابتهلت الى الله في تعجيل خرابها فخوطبت فقيل لي ان البصرة خبزة لك تأكلها من جوانبها فاذا انكسر نصف الرغيف خربت البصرة ، فأولت انكسار نصف الرغيف انكساف القمر المتوقع في هذه الايام (٩)» . ويروي المؤرخون انه كان يزعم لاصحابه بانه يعرف ما في الغيب وان الملائكة كانت تنصره وتشد ازره ، وقد زعم مرة انه رأى في احدى مواقعه العصبية طيورا بيضا تحارب اعداءه (١٠) . وفي مناسبة اخرى قال : «دعوت على اهل البصرة .. واجتهدت في الدعاء ، وسجدت وجعلت ادعو في سجودي فرفعت الى البصرة فرأيتها ورأيت

اصحابي يقاتلون فيها ورأيت بين السماء والارض رجلا واقفا في الهواء .. قد خفض يده اليسرى ورفع يده اليمنى يريد قلب البصرة باهلها ، فعلمت ان الملائكة تولت اخرابها دون اصحابي ... وان الملائكة لتنصرني وتؤيدني في حربي (١١) ...» . وهكذا يتشبه صاحب الزنج ـ ان صح ما قاله عنه المؤرخون ـ بالانبياء لكي يضفي على نفسه طابعا روحيا مقدسا .

لقد روى ابن ابي الحديد ان اهل البحرين احلوا صاحب الزنج من انفسهم محل النبي حتى جبي له الخراج هناك ، ويقال كذلك ان يهوديا خيبريا يدعى ماندويه جاء صاحب الزنج يوما فقبل يده وسجد له ثم سأله عن مسائل كثيرة فأجابه عنها ، فزعم هذا اليهودي انه يجد صفته ـ اي صفة صاحب الزنج ـ في التوراة بعد ان تبين علامات خاصة في بدنه (١٢) . فاذا صح هذا النص ـ ولا يبعد ان يكون مجرد تهمة الصقت بصاحب الزنج ـ فمعنى ذلك ان عليا بن محمد قلد الانبياء بل واستغل الاسرائيليات التي عرفت في تلك البيئة . ويتهم ابن الجوزي (١٣) صاحب الزنج بانه انتحل النبوة والرسالة وادعى العلم بالغيب ، ويستطرد قائلا ان ابا احمد الموفق دعا غريمه الى التوبة من انتحاله «ما لم يجعله الله له اهلا من النبوة والرسالة» ، على حين ينفي الطبري صفة النبوة عن صاحب الزنج ويروي (١٤) انه قال «لقد عرضت علي النبوة فأبيتها لان لها اعباء لا اطيق حملها» ، ومن ثم اكتفى بالامامة لانها ـ على حد قوله ـ اخف حملا واقل عبئا . ومهما يكن من امر فان النصوص التي بين ايدينا تظهر بوضوح الى اي حد استند صاحب الزنج الى الادعاءات الدينية والتصورات الغيبية وهو امر لا مفر منه في العصور الوسطى .

قلنا ن ثورة الزنج هي ثورة العبيد الافريقيين في البصرة وما حولها ضد اسيادهم في سنة ٢٥٥هـ (٨٦٩م) . وهذه الثورة ذات طرافة كبيرة من

ناحية طابعها ، وذات اهمية تاريخية بالنسبة لتأثيرها في تاريخ ذلك العصر . واذا اخذنا بنظر الاعتبار ان ذلك العصر قد شهد احداثا اجتماعية وفكرية وسياسية هائلة ، وان الخلافة العباسية كانت ـ وهي في حالة تفككها ـ تكافح ما تمخض عنه العصر من احداث كفاح المستميت ، ادركنا اي جهد بذلته الخلافة لايقاف هذا التيار الجارف من السخط الاجتماعي الذي لم تكن ثورة الزنج سوى رافد من روافده . اجل لقد كانت ثورة الزنج مجرد حلقة في هذه السلسلة المتصلة من الحركات التي عبرت عن القلق الاجتماعي من ناحية ، وعن السخط على النظم القائمة من ناحية ثانية ، وعن دخول المجتمع الاسلامي في مرحلة جديدة من التطور الاقتصادي والاجتماعي من ناحية ثالثة .

كانت ثورة الزنج حربا اجتماعية ذات طابع طبقي ، اي انها ثورة طبقة العبيد وانصاف العبيد ضد الملاكين من اصحاب الاراضي ، وهي على غرار ما شهدته روما من ثورات الرقيق في القرنين الثاني والاول قبل الميلاد (١٥) ، وعلى غرار ما نجده في التاريخ الحديث من حركات الطبقات المضطهدة ضد مضطهديها ، مثال ذلك الحركة التي تزعمها توسين لوفيرتور في هايتي (١٧٩٤ـ١٨٠١) (١٦) ، والعصيان الذي اثاره العمال الهنود في الناتال بزعامة غاندي (١٩٠٦ ـ ١٩١٣) (١٧) . بل ما زلنا نجد حتى اليوم حركات مماثلة اينما قام استغلال للجنس البشري على اساس غير مشروع .

يعتقد البعض (١٨) ان ثورة الزنج كانت حربا بين الاجناس ـ بين السود والبيض ـ اما انا فأخالف هذا الرأي ، واعتقد انها كانت حربا بين طبقة العبيد وانصاف العبيد والفلاحين والاعراب الساخطين على النظام الاجتماعي من جهة وبين مالكي الارض واصحاب العبيد والخلافة من جهة اخرى . ويؤيد هذا الرأي اننا نجد في جيش الزنج جماعات كبيرة من غير السود كالاعراب واهل القرى والعمال واصحاب الحرف .

بل ان الاعراب تعاونوا مع الزنج تعاونا وثيقا وكانوا أداة فعالة في تزويد الجيش الزنجي بالمؤن طوال مدة الثورة . ومن جهة اخرى نجد الجيوش العباسية التي حاربت الزنج تضم فرقا من السود الافريقيين الذين قاموا بدور بارز في قتال صاحب الزنج . ان هذه الحقائق تضفي على ثورة الزنج طابع العموم وتخرجها من كونها حركة الاقوام السود وحدهم ضد البيض ، وتجعلها حركة العبيد المسترقين وشبه المسترقين ضد اسيادهم .

نجد في الخطبة التي القاها علي بن محمد على العبيد يوم عيد الفطر سنة ٢٥٥ هـ، الاصول التي استند اليها برنامج حركته، والاهداف التي رمى الى تحقيقها . فقد ذكر ما كان عليه الزنج من الاحوال الاجتماعية السيئة ، وبشرهم بأنه المنقذ الذي هيأه الله لانقاذهم ، ووعدهم بأنه كان يريد ان يرفع اقدارهم ، ويملكهم العبيد والاموال والمنازل (١٩) . فالواضح من هذه الخطبة ان صاحب الزنج لم يقصد الى هدم العبودية كلية ، بل الى تحرير الزنج انفسهم فحسب . وقد بر علي بن محمد بوعده فكان يحرر العبيد الذين انضموا اليه جملة كلما قصد الى مكان او فتح مدينة او قرية ، لكنه ـ من ناحية ثانية ـ استرق اعداءه وعاملهم معاملة العبيد سواء بسواء . فقد ذكر المسعودي (٢٠) ان عسكر صاحب الزنج «كان ينادي فيه على المرأة من ولد الحسن والحسين والعباس وغيرهم من ولد هاشم وقريش وغيرهم من سائر العرب وابناء الناس ، تباع الجارية منهم بالدرهمين والثلاثة.. لكل زنجي منهم العشرة والعشرون والثلاثون ... » . ويروي هذا المؤرخ كذلك حادثة مؤداها ان امرأة علوية كانت لدى احد الزنج ، فسألت صاحب الزنج ان ينقلها الى غيره او يعتقها فعنفها قائلا : « هو مولاك وأولى بك من غيره (٢١) » . ومهما انطوت عليه هذه الاقوال من المبالغة الظاهرة ، فانه يجب ان نقرر بان حركة الزنج لم تعمل على ازالة

الرق ، بل حررت الزنج وحدهم واعتبرت اعداءهم اسرى حرب تحق عليهم العبودية • ويقال ان ابا احمد الموفق وجد آلاف الاسرى في سجون «المختارة» عاصمة الزنج حين استطاع احتلالها (٢٢) •

ولعل ما يبرر لصاحب الزنج هذه القسوة انه كان في حالة حرب مع طبقات المجتمع الاخرى من غير العبيد ومن انضم اليهم من حلفائهم، وانه اينما التفت وجد اعداء له ولحركته ، فعمد الى استرقاق اعدائه ليأمن خطرهم ويضعف همتهم ويظهر بمظهر القوة والغلبة أمامهم• واذا أمعنا النظر في اكثر الثورات قديما وحديثا وجدنا ان الهول والرعب وسفك الدماء امر يتصل بطبيعتها ، ويكفي ان تتذكر ان الثورة الفرنسية ــ وهي التي قامت على مبادىء الاخاء والحرية والمساواة ــ صاحبها كثير من الارهاب وسفك الدماء والتنكيل بالاعداء بشكل او بآخر • هذا من ناحية ومن ناحية ثانية اعتنق صاحب الزنج مذهب الخوارج الازراقة (٢٣) ــ كما سنرى ــ وهؤلاء يبيحون استرقاق اعدائهم من المسلمين وقتل اطفالهم ونسائهم باعتبارهم كفارا مارقين •

يقول طه حسين : «ومجمل القول ان حركة الزنج لم تكن بدعا في التاريخ الاسلامي ، فقد عرف المسلمون قبل ان ينتصف القرن الاول للهجرة سخط الساخطين على النظام السياسي والاجتماعي ، وثورة الثائرين بالنظام السياسي والاجتماعي ، ولقيت دولة بني امية كما لقيت دولة بني العباس من طلاب العدل السياسي والاجتماعي الوانا من العناء يعرفها الذين يدرسون تاريخ الخوارج ويتتبعون تطور مذاهبهم منذ كانت نظرية التحكيم» (٢٤) •

ومهما يكن من امر فالباحث لا يملك الا ان يعترف بان حركة الزنج كانت محدودة لا تنطوي على برنامج اجتماعي شامل، وانها ــ كما تدل خطبة صاحب الزنج ــ لم تهدف الى الغاء العبودية كلية • كما انها لم تحاول انشاء نوع من الاشتراكية كما يعتقد نظام الملك الذي

يقول (٢٥) : ان مبادىء صاحب الزنج هي نفس مبادىء مزدك (٢٦) . ان المزدكية زعمت انها تدعو الى المساواة بين الناس واعتبار الاموال ملكا مشاعا بينهم ، ولم تكن ثورة الزنج تدعو الى مثل هذا او الى شيء منه ، بل كانت رد فعل عنيف لما قاساه العبيد من الاضطهاد الاجتماعي، ومحاولة عنيفة للانتقام من سادتهم حتى ولو استدعى ذلك جر الاسياد الى العبودية . ومن هنا كانت الثورة موجهة في بدايتها ضد ملاك الاراضي وملاك العبيد ، لذلك وقف هؤلاء الملاك في وجهها وقاوموها اشد المقاومة . ولم تتدخل الدولة اول الامر لقمعها بل تركت اهل البصرة انفسهم يعالجون الموقف ، حتى اذا ما يئس هؤلاء من صد تيار الزنج العنيف كتبوا الى الخليفة يطلبون منه التدخل ، وعندها فقط ارسل قائده جعلان التركي على رأس جيش نظامي (٢٧) . وألحق ان ملاك العبيد بذلوا جهودا عظيمة لايقاف ثورة الزنج واستخدموا وسائل الاغراء مع علي بن محمد فعرضوا عليه الاموال الطائلة اذا ارجع اليهم غلمانهم (٢٨) ، كذلك عرض على علي بن محمد خمسة دنانير عن كل رأس من العبيد اذا ردهم الى مواليهم فرفض هذا الطلب بشدة(٢٩) مؤكدا انه لم يخرج لعرض من أعراض الدنيا ، بل غضبا لله ولما رأى عليه الناس من الفساد في الدين (٣٠) . غير ان الثورة ما لبثت ان استرعت انتباه الخلافة العباسية لما لاقته من النجاح من جهة ولالحاح اهل البصرة على الخليفة في ضرورة التدخل من جهة اخرى .

لقد انطوت ثورة الزنج على خسارة كبيرة لملاك الاراضي واصحاب العبيد ، لان قوام ربحهم وكيانهم المادي انما كانا يقومان على تسخير اعداد العبيد الضخمة في الزراعة واصلاح الاراضي بازالة الطبقة الملحية عنها ، وذلك دون مقابل يذكر . فذهاب هؤلاء العبيد يعني خسران ادوات الانتاج الرخيصة ، وتعريض الاقطاعيات الزراعية للخراب . ومن هنا اتسمت الحرب بين الزنج والملاكين بالحقد والعنف واستمرت دون

هوادة مدة تزيد على اربع عشرة سنة. ان استمرار حركة الزنج طوال هذه المدة أثر تأثيرا سيئا على اقتصاديات العراق الادنى ، لان غارات الزنج على البصرة وواسط والاهواز والمناطق المجاورة ادت بطبيعة الحال الى شلل الزراعة وعرقلة التجارة . لقد استطاع الزنج ان يحتلوا بين عامي ٢٥٥ ـ ٢٥٦ مدنا كبيرة الاهمية كالابلة وعبادان وجبي وفرضوا سلطانهم على مصب دجلة ، واستولوا على مقاطعات زراعية شاسعة ، فأثر ذلك على بغداد نفسها ، حيث انقطع اتصالها بالعراق الادنى مما الحق بالتجارة خسارة فادحة (٣١) ، وكلما اعاد قواد العباسيين هذه المواصلات قطعها الزنج من جديد ، حتى ان السفن النهرية لم تستطع السير في شط العرب مدة عشر سنوات ٢٥٥ـ٢٦٥ (٨٦٩ـ٨٧٨م) (٣٢). واذا علمنا ان البصرة كانت ميناء العراق الوحيد وعليها اعتمدت تجارة العباسيين الصادرة والواردة ادركنا اية خسارة فادحة تعرضت لها الدولة بعد دخول الزنج هذه المدينة ، واستطعنا ان نعلل الحماس الخارق الذي بذله ابو احمد الموفق في حربهم .

لقد كانت ثورة الزنج اول حركة تمخض عنها الوضع الاجتماعي الجديد في القرن الثالث ، ويبدو انها كانت الشرارة التي اشعلت نار الافكار الكامنة ، فلم تلبث السنين القادمة ان شهدت حركات اخرى مشابهة في الدافع والهدف مثل حركة القرامطة . والحق انه في الوقت الذي كانت حركة الزنج تجري أحداثها الدامية في الساحة الممتدة بين البصرة وواسط ، كان القرامطة ـ وهم فرع من الاسماعيلية ـ ينشرون دعوتهم بين سكان جنوبي العراق من العرب والانباط وجلهم من الفلاحين والصناع . وانه وان لم يقم تعاون بين صاحب الزنج وحمدان قرمط ـ كما سنرى ـ فان ثورة الزنج مهدت التربة لكي ينشر القرامطة دعوتهم على نطاق واسع ، لان الدعوتين وان اختلفتا في الاسلوب والبرنامج اتفقتا في ضرورة تغيير النظام القائم .

ان من اهم اسباب اخفاق هذه الحركة انها كانت حركة طبقية محدودة النطاق لا تنطوي على برنامج شامل واسس فكرية ثابتة ، فكان نجاحها رهينا ببقاء زعيمها وحماس أتباعه العبيد من ناحية ، وبضعف الخلافة وانشغالها من ناحية اخرى، خاصة وان هؤلاء العبيد المتأخرين ثقافيا واجتماعيا لم يكونوا يمتلكون الوعي والادراك الشاملين ، مما يفسر الكثير من الاعمال العفوية التي قاموا بها . ومن هنا لم تستطع هذه الدعوة ان تجذب الاحرار من اهل البصرة على نطاق واسع ، وان انضم الى صفوفها جماعات من الاعراب وأهل القرى . ولا شك ان عداء الاحرار من الطبقة الوسطى لحركة الزنج يفسره الشعور بمصالحهم، لان تحرير العبيد يعني بالنسبة لهم خسارة مادية كبيرة كما أسلفنا .

الاسس العقائدية لثورة الزنج :

يجمع اغلب المؤرخين على ان صاحب الزنج لم يكن علويا بل ادعى النسب العلوي ليضفي على ثورته طابعا شرعيا يبررها في نظر العامة، وهكذا انكر الطبري وابن ابي الحديد وأبو المحاسن والمسعودي وابن كثير وابن الطقطقي وغيرهم صحة نسبه العلوي وجزموا بنسبته الى قبيلة عبد القيس (٣٣) . غير ان هناك من ذهب الى القول بصحة نسب صاحب الزنج الى العلويين ومنهم الملطي والبيروني ، واريد ان اناقش هنا آراء هذين المؤرخين .

يقول الملطي (٣٤) في معرض كلامه على الشيعة الامامية : «... والفرقة الثامنة عشرة هم الزيدية اصحاب زيد بن علي رضي الله عنهما وهم اربع فرق ، فالاولى من الزيدية اعظمهم قولا (غلواً) وهم الذين يكفرون الصدر الاول وسائر من ينشأ (منهم) ابدا اذا خالفهم ويرون السيف والسبي واستهلاك الاموال وقتل الاطفال واستحلال

الفروج وليس في الامامية اكثر ضررا منهم في الناس ، وانما هو بعد ما يخرج الواحد منهم يضع السيف والحريق والنهب والسبي ولا يقصرون ولا يرعون وكان منهم علي بن محمد صاحب البصرة سبى العلويات والهاشميات والعربيات وباعهن مكشفات الرؤوس بدرهم ودرهمين ... واستباح دماء المسلمين وأموالهم ، وأهرق الدماء وقتل الاطفال وأحرق المصاحف والمساجد بتأول انهم مشركون ، وكان يقول (لا يلدوا الا فاجرا كفارا) . وكان يستحل كل ما حرّم الله» . ونلاحظ على هذا النص جملة ملاحظات هي : —

١ — في الكلام على صاحب الزنج نجد ان الشطر الاول من نص الملطي من قوله «وكان منهم علي بن محمد ...» حتى قوله «وقتل الاطفال ..» يتفق مع ما اورده جميع المؤرخين في وصف اعمال صاحب الزنج ، بل ان اقوال المسعودي في هذا الباب تطابق اقوال الملطي تماما. يقول المسعودي (٣٥) في وصف معسكر الزنج: «كان ينادي فيه على المرأة من ولد الحسن والحسين والعباس وغيرهم ... تباع الجارية منهم بالدرهمين والثلاثة ... » وهي تهمة الصقها جميع المؤرخين بحركة الزنج ، ولا ندري نصيبها من الصحة، لان الذين أرخوا الثورات الفكرية والاجتماعية في الاسلام كانوا يعبرون عن وجهة النظر الرسمية، معتبرين هذه الثورات خروجا على الدولة ومن ثم فهي خروج على الدين. ويتهم الملطي صاحب الزنج بانه «كان يستحل كل ما حرّم الله»، وفي سيرة علي بن محمد بعض الشواهد التي تدحض هذا القول ، فقد منع اصحابه من الغارة على القرى الآمنة ما دامت تقف على الحياد ، كما انه حرّم الخمرة على أتباعه (٣٦) بعد ان رأى اصحابه قد شغلوا بخمور وانبذة وجدوها بالقادسية . ويؤيد هذا الرأي ابن كثير الذي ذكر ان صاحب الزنج لم يكن «يتعرض لاموال الناس ولا يؤذي احدا انما كان يريد اخذ اموال السلطان» (٣٧) .

٢ ــ يقول الملطي ان صاحب الزنج احرق المصاحف والمساجد ، على حين لم تذكر المراجع المعاصرة شيئا من هذا القبيل ، ولو كان علي فعل ذلك حقا لما تردد المؤرخون الآخرون في ذكر هذه الحقيقة واتخاذها منفذا للهجوم عليه . كما ان قول الملطي يتعارض مع اهداف صاحب الزنج الذي ادعى انه كان يريد الرجوع الى الشرع واحياء تعاليم القرآن والسنة، بل اننا نجد ان شعار صاحب الزنج كان آيات من القرآن الكريم سجلها على رايته ونقشها على نقوده كهذه الآية (ان الله اشترى من المؤمنين ... الآية) (٣٨) .

٣ ــ يرى الملطي ان عليا بن محمد من الشيعة الزيدية ، ويبدو ان الملطي اخذ ادعاء علي بن محمد النسب العلوي على انه امر واقع فالصق بهذه الفرقة ما نسب الى الزنج . ويجدر بنا ان نشير الى ان تصرفات صاحب الزنج تجاه العلويين لم تكن توحي بانه منهم ، فقد ذكر البيروني (٣٩) ان الحسن بن زيد العلوي صاحب طبرستان كتب اليه حين ظهر بالبصرة يسأله عن نسبه ليعرف له حقه فأجابه : «ليعنك من امري ما عناني من امرك والسلام» . وهو جواب ينطوي على التملص بلا شك . كذلك يذكر ابو المحاسن (٤٠) : ان الزنج قتلوا عليا بن زيد العلوي صاحب الكوفة ، مما يدل على عدم وجود العطف والتعاون بين علي بن محمد والعلويين .

ويفند قول الملطي ما ذكره ابن ابي الحديد (٤١) من ان صاحب الزنج كاذب في ادعائه النسب الزيدي «لان الاجماع واقع على ان يحي بن زيد مات ولم يعقب ولم يولد له الا بنت واحدة ماتت وهي ترضع» .

ويقول البيروني (٤٢) : «وفي السادس والعشرين من رمضان خرج البرقعي بالبصرة » وهو على ما يرى موعد اعلان ثورة الزنج سنة ٢٥٥ غير ان هذا المؤرخ يعود فيشك في صحة نسب صاحب الزنج الى العلويين الزيدية ويرجح انه من عبد القيس .

نخرج من هذا الى ان صاحب الزنج ادعى النسب العلوي ليكتسب صفة شرعية من ناحية ولكي يجذب اليه العامة من ناحية ثانية ، الا انه عاد فنبذ مبادىء الشيعة لانها لم تحقق بغيته • فعقيدة الشيعة تقوم على مبدأ الوراثة ووجوب حصر الامامة في آل علي ، والزيدية منهم تدعو الى امامة من خرج من آل علي يدعو الى الكتاب والسنة ويدعو الى الجهاد (٤٣) ، ولعل عليا بن محمد اراد ان يفيد من هذا المبدأ ليستحق لقب الامامة • ان عقيدة الشيعة في حصر الامامة في آل علي بالنص الجلي (٤٤) ، لم تكن تلائم الزنج على الاطلاق ، ومن ثم فضل صاحب الزنج مذهب الخوارج الذي يقوم على انتخاب الافضل بين المسلمين للخلافة ولو كان عبدا حبشيا (٤٥) • ان هذا المذهب المغري وجد صدى عظيما في قلوب الطبقات العامة ، بعكس ما انطوى عليه المذهب الشيعي من الصوفية فيما يتعلق بالامامة وعصمة الأئمة وما اسبغ عليهم من الحكمة الالهية (٤٦) • وسنرى ان صاحب الزنج ــ وان ادعى النسب العلوي ــ نبذ هذه الافكار الشيعية العميقة ودعا الى اوضح المبادىء اعني مبدأ الخوارج • ذلك ان الزنج ــ وهم على هذه الدرجة من الجهل ــ لا يمكن ان يتحمسوا لحركة صوفية روحية مجردة تستند الى الوراثة (٤٧) ، بل كانوا على اتم استعداد للانضواء تحت لواء حركة عملية ثورية تجعلهم على قدم المساواة مع غيرهم من المسلمين ، بل وتضعهم في صف واحد مع النخبة من ذوي الحسب • غير ان هذا كله لا ينفي ان صاحب الزنج افاد فائدة كبيرة من العقائد الشيعية فقد اعتبر نفسه المهدي المنتظر الذي يريد ان يملأ الارض عدلا بعد ان ملئت جورا ، بدليل انه لقب نفسه «المهدي علي بن محمد» في القطعة النقدية النادرة المحفوظة في المتحف البريطاني (٤٨) •

اسلفنا القول ان صاحب الزنج اعتنق عقيدة الخوارج الذين مثلوا الحزب الجمهوري في الاسلام فقالوا بوجوب اختيار الخليفة من بين

الاكفاء من المسلمين بصرف النظر عن النسب واللون • وكان الخوارج في الاصل جماعة خرجت على الخليفة الرابع لقبوله التحكيم بعد صفين، ومن ثم كانت نشأتهم سياسية تنصب على رأيهم في اختيار الامام ، غير انهم ــ منذ عهد عبد الملك بن مروان ــ مزجوا آراءهم السياسية بالدين فاصبحت لديهم عقائد فلسفية ودينية خاصة • وظلت هذه الفرقة طوال تاريخها تتميز بالجرأة والعنف والصلابة ، وتنظر الى مخالفيها على انهم كعبدة الاوثان (٤٩) ، فرموهم بالكفر وعاملوهم معاملة الكفار • وقد اتخذ الخوارج شعارا لهم «ألا لاحكم الا الله» ونصبوا انفسهم حماة للضعفاء وحربا على الجائرين • على ان اهم ما ميز الخوارج نزعتهم الى المساواة حتى جوزوا انتخاب العبد لمنصب الخلافة (٥٠) ، ما دام يطبق الشريعة ويراعي العدالة ، فاذا ما انحرف عن جادة الصواب وجب خلعه وحق لعنه ، ومن هنا وقفوا في وجه الامويين والعباسيين باعتبارهم غير مؤتمرين بأوامر الله(٥١) • واشتهر الازارقة ــ الذين اعتنق صاحب الزنج مبادئهم ــ بتكفير عثمان وعلي وطلحة والزبير وعائشة وعبد الله بن عباس :(٥٢) ، كما كفروا القعدة ، وأباحوا قتل اطفال المخالفين ونسائهم (٣٥) • فالى اي حد اعتنق صاحب الزنج عقائد الخوارج ؟•

١ ــ يقول المسعودي (٥٤) : ان المهلبي ــ احد قواد الزنج ــ كان ينصب منبرا في البصرة ويترحم على ابي بكر وعمر ولا يذكر عثمان وعليا • ويلعن الخلفاء الامويين والعباسيين ، ويخلص المسعودي من ذلك الى القول بان صاحب الزنج كان يذهب الى رأي الازارقة من الخوارج • ويقول هذا المؤرخ (٥٥) : ان صاحب الزنج كان يرى الذنوب كلها شركا ، وبمعنى اخر اعتقد بان مرتكب الكبيرة كافر ، وهو مبدأ رئيس من مبادىء الخوارج (٥٦) • ويستطرد هذا المؤرخ مؤكدا رأيه (٥٧) «وظهر من فعله ــ اي صاحب الزنج ــ ما دل على تصديق ما رمي به ، انه كان يرى رأي الازارقة من الخوارج ، لان افعاله في

قتل النساء والاطفال وغيرهم من الشيخ الفاني وغيره ممن لا يستحق القتل يشهد بذلك » .

٢ ــ يقول صاحب الزنج في خطبة له «الله اكبر ، الله اكبر ، لا اله الا الله والله اكبر ، الا لاحكم الا الله» (٥٨) ، وكانت هذه العبارة صرخة الحرب التي نادى بها الخوارج منذ رفضوا التحكيم . وكانوا يعنون بها الا لا حكم الا السيف (٥٩) ، اي انهم كانوا يرون وجوب الثورة بالسلطان الجائر ، وهو المبدأ الذي استغله صاحب الزنج حين ألب العبيد على الخلافة العباسية .

٣ ــ يقول الطبرى (٦٠) ، ان صاحب الزنج ابتاع قطعة من الحرير كتب عليها بالخضرة والحمرة هذه الآية (ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن . ومن اوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) (٦١). ويريد صاحب الزنج ان يرمز بهذه الآية التي نقشها على لوائه، الى ان ساعة القضاء على الظلم قد أزفت وان المؤمنين وقد باعوا انفسهم لم يعودوا بعد عرضة للرق والعبودية (٦٢) . ومعنى ذلك ايضا ان ثورة الزنج كانت خارجية ، فقد باع الثائرون انفسهم لله يقاتلون في سبيله وهو نفس ما فعله الخوارج من قبل ومن بعد .

٤ ــ نشر الاستاذ ووكر (٦٣) قطعة نقدية ذهبية نادرة اصدرها صاحب الزنج سنة ٢٦١ وهي الان في المتحف البريطاني ، وتقف دليلا قويا على ان صاحب الزنج كان خارجيا . ويقول ووكر ان هذه القطعة تقف شاهدة على تلك الثورة المدمرة التي سببت خسارة مليون نسمة، كما ان هناك قطعة اخرى ذهبية نشرها الاستاذ كازانوفا (٦٤) وتوجد الان في باريس ، على ان القطعة التي اتحدث عنها اقدم تاريخا وفيما يلي نص ما كتب عليها :

الوجـه :

لا اله الا الله ـ الله وحده ـ لا شريك له ـ محمد بن ـ امـير المؤمنين .

الهامش الداخلي :

بسم الله ضرب هذا الدينر بالمدنة (هكذا) المختارة سنة احـدى وستين ومايتين (٦٥) .

الهامش الخارجي :

ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بأن لهم الجنـة يقاتلون بسبيل الله (هكذا) .

الظهـر :

علي ـ محمد ـ رسول ـ الله ـ المهدي علي بن محمد

الهامش :

ومن لم يحكم بما انزل (الله فاولائك هم الكا)فرون .

الا لا حكم الا الله ولا طاعة لمن (عدا) الله .

يقول الاستاذ ووكر في مقاله القيم (٦٦) : «ان المهدي كتب على رايته الآية القرآنية التي ذكرنا جزء منها والتي ظهرت في وجه هـذه القطعة النقدية ، وهذه مهارة من صاحب الزنج لانه يستطيع تفسير هذه الآية على انها تدعو الى تحرير اتباعه من العبودية وتمنحهـم المساواة بأسيادهم اذا حملوا السلاح في وجوههم وفي وجوه كل المسلمـين الفاسقين . ومن ناحية اخرى كانت هذه الآية الشعار الاثير المفضـل عند الخوارج وهو الحزب المناوىء للعلويين ، والذي اعتقد ان اتباعه باعوا انفسهم لله في سبيل الجنة وقد عرفوا بالشراة استنادا الى الآية (ان الله اشترى ... الآية) ، لهذا نستغرب ان يقتبس علي بـن محمد ـ الذي ادعى النسب العلوي ـ هذا الرمز الذي استخدمه اعداؤه . كما وجدت عقيدة الخوارج (الا لا حكم الا الله) قبولا لدى العبيـد

الزنج ... لقد اعتنق صاحب الزنج حقا مبدأ الخوارج ، وهذه القطعة النقدية تؤيد قولنا كل التأييد» .

وما دمنا قد ناقشنا مختلف الآراء حول المبادىء التي تبنتها ثورة الزنج فعلينا ان نناقش ـ في ختام هذا الفصل ـ رأيا للاستاذ ماسنيون يقول ان هناك علاقة بين «راشد القرماطي» ـ وهو احد قواد الزنج ـ وبين القرامطة ، ويستطرد قائلا «انه ـ اي صاحب الزنج ـ استطاع بمساعدة طحان وبائع ان ينال يمين الاخلاص من اتباعه على الطريقة القرمطية وهو يمين بالطلاق (٦٧)» . لقد ذكرنا في الفصل الاول ان «القرماطيين» هم طائفة من الزنج اكتسبت هذا الاسم من موطنها الاصلي في افريقية ، ولم يكن راشد سوى احد افراد هذه الطائفة ، ومن ثم تنتفي اية علاقة بينه وبين القرامطة وان تشابهت اللفظتان (قرماطي وقرمطي) . الا انه يبدو ان قرمط (٦٨) عرض على صاحب الزنج رغبته في محالفته قائلا له : «انا على مذهب ورأي ، ومعي مائة الف ضارب سيف ، فناظرني فان اتفقنا على المذهب ملت اليك بمن معي ، وان تكن الاخرى انصرفت عنك ، فتناظرا فاختلفت آراؤهما ، فانصرف عنه قرمط» . ان هذه الرواية يتفق عليها ثلاثة مؤرخين ثقات هم ابن الجوزي وابن الاثير وابن خلدون (٦٩) ، الا ان الاستاذ نولدكه يقلب الواقعة ويقول ان صاحب الزنج هو الذي عرض التعاون على قرمط . غير ان هذا رفض الاتفاق للتناقض والتنافر الموجود بين مبادئهما ـ اي بين مذهبي الخوارج والقرامطة ـ « بغض النظر عن الفائدة التي قد تنتج عن هذا التحالف من الناحية العسكرية على الاقل (٧٠)» . وهذا خطأ واضح من نولدكه اذا صح ان اي اتصال جرى بين الثائرين على الاطلاق بسبب كون حركة القرامطة انما نشطت بعد القضاء على ثورة الزنج، وان كان بعض المؤرخين الثقات يجزمون بان قرمط ظهر في سواد الكوفة قبل مقتل صاحب الزنج (٧١) . هذا فضلا عن عدم وجود برنامج فكري

واجتماعي شامل في حركة الزنج بعكس ما نجد لدى القرامطة الذين تبنوا نظاما دقيقا من هذا النوع • ونحن وان كنا مضطرين الى انكار قيام علاقة واضحة بين الحركتين ، لكننا نعتقد ان نوعا من التفاعل الفكري ـ غير التام ـ قام بينهما ، بحكم انهما كانتا متعاصرتين وان كلتيهما راجتا في اوساط الطبقات الدنيا في العراق الادنى • والحق ان ثورة الزنج مهدت الجو لانتشار القرمطة ، وهيأت الاذهان لقبولها ، كما انها شغلت الخلافة العباسية مدة تزيد على اربع عشرة سنة ، مما هيأ للقرامطة فرصة العمل على ترويج دعوتهم في سواد العراق •

مراجع وملاحظات (الفصل الثالث)

(١) Browne, ALitcrary History of Persia, Vol. I, PP., 348-352
انظر مروج الذهب ج٤ ص ١٩٩ ، كذلك انظر حسن ابراهيم حسن : الدولة الفاطمية ص ٣٥ — ٣٦ .

(٢) Noldeke, PP., 149-150.

(٣) فان فلوتن : السيادة العربية ص ٤٠ .

(٤) نفس المرجع ص ٦٢ .

(٥) بندلي جوزي : من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام ص ٥٥ .

(٦) الطبري ج٣ ص ١٧٥٠ .

(٧) ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة ج٨ ص ٣١١ .

(٨) مرآة الزمان (مخطوط) ورقة ١٨٨ أ .

(٩) الطبري ج٣ ص ١٨٤٨ .

(١٠) الطبري ج٣ ص ١٧٨٤ ، ابن ابي الحديد ج٨ ص ٣١٥ .

(١١) نفس المرجع ج٣ ص ١٨٥٧ .

(١٢) ج٨ ص ٣١١ ، ص ٣١٥ .

(١٣) المنتظم ج٥ ص ١٧ .

(١٤) الطبري ج٨ ص ٩ ، مرآة الزمان (مخطوط) ج٦ ورقة ١٨٨ .

(١٥) Cambridge Medieval History, Vol. IX, PP., 11-16
PP., 329-332.

(١٦) Encyclopedia Britannica, vol. 22, P., 330.

(١٧) انظر Ibid, vol. 16, PP., 131-133 ، فيما يتعلق بحركة الهنود في الناتال . فقد كانت الزراعة الاستوائية الكثيفة في الناتال تتطلب الايادي العاملة ، لذلك استعان المستعمرون بالهنود . ووصلت اول

دفعة من العمال الهنود سنة ١٨٦٠ ثم اخذت اعدادهم تتضخم ، واشتغلوا في جميع المهن ، فاصبحت بينهم وبين البيض منافسة حادة. لقد عمل الهنود في انواع التجارات والصناعات والحرف فقاوم البيض هجرتهم الى افريقيا الجنوبية . وكانت معاملة الهنود في الناتال خاصة سيئة جدا ، فاستنكروا هذه المعاملة وقاموا بمظاهرات وعصيانات في الناتال والترنسفال اشتدت عام ١٩١٣ وكان يتزعمهم غاندي . وبقي الكفاح مستمرا حتى عام ١٩٢٤ ، حين صدرت تشريعات تمنح الهنود حق الانتخاب ودخول المجالس ، وفي عام ١٩٢٧ توصل الى اتفاق بين حكومة اتحاد جنوبي افريقيا وحكومة الهند بصدد هذه المشكلة ، فكان ان تحسنت احوالهم بعض الشيء. وما زالت المشكلة الجنسية واللونية في افريقية الجنوبية تثير خواطر الراي العام العالمي حتى اليوم .

(١٨) Massignon, E. I. vol., IV P., 1213.

(١٩) الطبري ج٣ ص ١٧٥١ .

(٢٠) مروج الذهب ج٤ ص ٢٠٨ .

(٢١) نفس المرجع ج٤ ص ٢٠٨ .

(٢٢) الطبري ج٣ ص ١٩٦٣ .

(٢٣) هم اصحاب ابي راشد نافع بن الازرق الذين خرجوا معه من البصرة الى الاهواز فغلبوا على هذه المدينة وكورها وما ورائها من بلدان فارس وكرمان في ايام عبد الله بن الزبير . وقد كفروا عليا وعثمان وعائشة وعبدالله ابن عباس ، وكفروا القعدة واباحوا قتل اطفال المخالفين والنساء منهم وغير ذلك من المباديء كعدم جواز التقية وتكفير مرتكب الكبيرة .

الشهرستاني : الملل والنحل ج١ ص ١٦١ ـ ١٦٤ .

ويعتبر الازارقة اشد الفرق الخارجية غلوا فقد نظروا الى جميع من عداهم من المسلمين على انهم مشركون ومن ثم هاجروا عنهم من دار الشرك الى دار الهجرة وقد برروا لانفسهم من ثم اباحة دماء المسلمين واموالهم وقتل الرجال والنساء والاطفال . وتشددوا في اهمية الاعمال فاعتبروا مرتكب الكبيرة كافرا وعرضوا اعوانهم الجدد لامتحان عسير . وكان نافع متشددا يحبذ (الاستعراض) وطبق مبدا الانفصال عن «الجماعة» واخضع المهاجرة لامتحان قاس ولم يعترف بالتقية اي الانضمام الى راي الخوارج خوفا منهم دون ايمان

باطن صادق .
انظر :
الاسفراييني ، التبصير في الدين ص ٥٠ .
قلها وزن ، الخوارج والشيعة ص ٧٤ – ٧٥ .
(٢٤) طه حسين ، الكاتب المصري (مايو ١٩٤٦) ص ٥٥٤ .
(٢٥) سياسة نامة ص ١٦٩ .
(٢٦) المزدكية تنسب الى مزدك الذي ظهر في ايام قباذ سنة ٤٨٧ ، وكان قاضي القضاة فدعا الى الثنوية وقال باشتراك الناس في الاموال ، وآمن به قباذ وكثر اتباعه . ويقول الباحثون ان الحركة المزدكية تختلف عن الاشتراكية الحديثة في طبيعتها الدينية ، وان مزدك يعتقد ان الله يقر المساواة بين البشر ويريدها لكن الصفات الشريرة هي التي افسدتها فهو يطمح الى اعادتها . وقد حرم مزدك اكل اللحوم واراقة الدماء ، واعتقد – اسوة بالزرادشتية والمانوية – بالاصلين النور والظلمة . وقد انقلب قباذ على المزدكيين في آخر سنيه فأفنى انصار مزدك وقتل هذا ايضا سنة ٥٢٣ ويقال سنة ٥٢٩ م . لكن المذهب نفسه لم يفن ويقول نظام الملك انه اعتنق وروّج من قبل الاسماعيلية .
انظر البغدادي : الفرق بين الفرق ١٦٢ – ١٦٣ .
ابن حزم : الفصل في الملل والاهواء والنحل ج٣ ص ٨٦ .
البيروني : الآثار الباقية ص ٢٠٩ .
سياسة نامة ص ١٦٩ ، Browne, P., 170-72.
(٢٧) الطبري ج٣ ص ١٧٨٦ .
(٢٨) نفس المرجع ج٣ ص ١٧٥٠ .
(٢٩) الطبري ج٣ ص ١٧٥٦ .
(٣٠) نفس المرجع ج٣ ص ١٧٥٦ .
(٣١) Noldeke, P., 158.
(٣٢) ابن الاثير : ج٧ ص ١٤٠ ، ابن كثير ج١١ ص ٤١ .
(٣٣) الطبري ج٨ ص ٢ ، ابو المحاسن ج٣ ص ٢١ ، الفخري ص ١٨٣ ، ابن كثير ج١١ ص ٢٩ ، ابن ابي الحديد ج٨ ص ٣١١ .
(٣٤) التنبيه والرد (مخطوط) ورقة ٣١ – ٣٣ .
(٣٥) مروج الذهب ج٤ ص ٢٠٨ .
(٣٦) الطبري ج٣ ص ١٧٦٣ .

(٣٧) البداية والنهاية ج١١ ص ١٩ .
(٣٨) سورة التوبة آية ١١١ .
(٣٩) الآثار الباقية ص ٣٣٢ .
(٤٠) النجوم الزاهرة ج٣ ص ٣١ .
(٤١) ج٨ ص ٣١٨ .
(٤٢) الآثار الباقية ص ٣٣٢ .
(٤٣) ابن حزم : الفصل في الملل ج٤ ص ٩٣ .
(٤٤) نفس المرجع والجزء ص ٩٣ ، كاشف الغطاء : اصل الشيعة ص ٦٦
(٤٥) احمد امين : فجر الاسلام ص ٣١٧ .
(٤٦) فان فلوتن : السيادة العربية ص ٧٧ .
(٤٧) Noldeke, P., 152.
(٤٨) A Rare Coin of the Zanj, P., 651 .
(٤٩) حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام ج٣ ص ٣٧٢ .
(٥٠) احمد امين : فجر الاسلام ص ٣١٧ .
(٥١) المسعودي : مروج الذهب ج٤ ص ٢٠٧ .
(٥٢) الشهرستاني : الملل والنحل ج١ ص ١٦٤ .
(٥٣) نفس المرجع ج١ ص ١٦٤ .
(٥٤) مروج الذهب ج٤ ص ٢٠٧ .
(٥٥) ج٤ ص ١٩٥ .
(٥٦) السيادة العربية ص ٧٢ .
(٥٧) مروج الذهب ج٤ ص ١٩٤ .
(٥٨) نفس المرجع ج٤ ص ١٩٥ .
(٥٩) السيادة العربية ص ٦٩ .
(٦٠) ج٣ ص ١٧٤٨ .
(٦١) التوبة آية ١١١ .
(٦٢) Muir, the Caliphate, P., 548.
(٦٣) A Rare Coin of the Zanj, PP., 651-655.
(٦٤) Revue Numismatique, PP., 510-516.
(٦٥) في هذا اثبات للرواية الاكيدة في ان ثـورة الزنج بدات سنة ٢٥٥ وليس سنة ٢٧٠ كما يتوهم المسعودي .
(٦٦) A Rare Coin, PP., 651-55.

(٦٧) Encyclopedia of Islam, vol, IV, P., 1213.

(٦٨) يقول اليماني (كشف اسرار الباطنية ص ١٨) انه سمي قرمط لانه كان يقرمط في سيره اذا مشى (يعني يقارب بين خطواته) ومنهم من يقول انه كان احمر البشرة فلقب بقرمط وكرمت الاجر في لغة الروم فعرب . على ان الراجح ان الكلمة معربة من (كرميتة) بمعنى فلاح .

(٦٩) المنتظم ج٥ ص ١١٢ – ١١٣ ، الكامل ج٧ ص ٤٤٩ ، العبر ج٤ ص ٨٣٤ .

(٧٠) Noldeke, P., 152.

(٧١) ابن الاثير ج٧ ص ٤٤٩ ، ابن خلدون م٤ ص ١٨٣ .

الفصل الرابع

حرب الزنج ـ قبل الموفق

جغرافية المنطقة واثرها في الحرب ـ غارات الزنج على البصرة ـ احتلال الزنج الابلة وعبادان والاهواز ـ احتلال البصرة ـ فترة الانتقال ـ الزنج والصفارون .

جغرافية المنطقة واثرها في الحرب :

وقعت حوادث «ثورة الزنج» في المنطقة الواقعة بين مصب دجلة العوراء (شط العرب الحالي) وبين واسط ، لذلك يجدر بنا ان نلقي نظرة على جغرافية هذه المنطقة في تلك الحقبة ، لان في الوضع الجغرافي هذا تفسيرا لطابع القتال الذي ميز الثورة ، وتعليلا لعجز الدولة العباسية عن قمعها بسرعة حتى دامت اكثر من اربع عشرة سنة . مع العلم ان وجه الارض لجنوبي العراق قد تغير تماما منذ الحقبة موضوع البحث ، ومن ثم يصعب تعيين كثير من المواقع التي يرد ذكرها في هذه الحرب على وجه الدقة ، وان كان بعضها ما زال قائما حتى اليوم بنفس الاسم .

كان مجرى الفرات الاصلي فوق خرائب بابل بمسافة قليلة ، ثم

اتخذ المجرى الايمن او الغربي: ، وبعد ان كان يمر بالكوفة تتبدد مياهه في البطيحة وهي المستنقع الكبير الخطير الاثر في الجغرافية الطبيعية والسياسية لتلك الايام (١) • كان الفرات يكون عند مجراه الادنى منطقة بحيرات ومستنقعات تتصل بالبحر بعدد من القنوات التي تتأثر بالمد (٢) ، اما دجلة فبعد ان كان يصل الى موضع الكوت الحالية (وهي في موضع بلدة ماذرايا القديمة) ، ينحرف جنوبا فيتسع في واسط حيث يكون النهر المعروف بشط الحي (٣) ، ويبدو ان هذا لم يكن مجرى دجلة بل كان مجراه يمر بواسط (٤) التي يسمي الاعراب خرائبها الان المنارة (٥) ، ثم يتغلغل النهر تحت واسط بقليل في البطيحة • على أن دجلة يختلف عن الفرات من هذه الناحية ، اذ يبقى مجراه متصلا بسلسلة من الاهوار الصالحة للملاحة ، ثم تجري المياه المتجمعة في المستنقع الكبير ــ البطيحة ــ في مجرى يتصل مباشرة بصدر الشط الذي يصل اليه المد ، وبعد ان يعبر البصرة يصب في الخليج العربي• اما في الوقت الحاضر فيتجه دجلة بعد عبوره الكوت شرقا بدل ان يجري نحو واسط، ويظل متجها شرقا ، لكنه يتجه بعد دورة طويلة نحو القرنة حيث يلتقي بالفرات فيكونان شط العرب ، ولا ندري متى حصل هذا التبدل والراجح انه كان في القرن السادس عشر تدريجيا (٦) •

كانت المنطقة الجنوبية من العراق مليئة بالمستنقعات والمسطحات المائية التي كانت اهمها تقع قرب البصرة (التي كانت الى الغرب من البصرة الحديثة) وكان الرافد الرئيس لدجلة اذ ذاك هو ما يسمى الان بشط الحي ، وكان القسم الادنى لدجلة يتصل بالرافد الذي كانت تقع عليه البصرة بعدد كبير من القنوات ، بعضها يصلح لملاحة السفن الكبيرة، وكلها يدخلها المد آنذاك • وان الفيضانات الكثيرة والسداد المكسورة أحالت كثيرا من الاراضي الى مستنقعات على حين نجد ان اراضي اخرى تكونت بفعل التصريف وبناء السدود (٧) • لقد اهمل القسم

الادنى من العراق واخرب بفعل العوامل الطبيعية «بحيث استحال ذلك القطر الباسم الى آخر وحشى غابي من جراء المستنقعات ، وفي بعض الاجزاء غيرت الانهار مجاريها ، ومن ثم يصعب على الباحث ان يتتبع بوضوح التفاصيل الطوبوغرافية التي تمدنا بهـا المراجـع في وصف الحملات ضد علي بن محمد» (٨) .

وقعت اكثر حوادث حرب الزنج في منطقة البصرة المطلة على شط العرب وهو ما كان يسمى بدجلة العوراء ، وكـانت دجلة «تصب الى دجلة البصرة التي تدعى العوراء في انهـار متشعبة ومن عمود مجراها الذي كان باقي مائها يجري فيه وهو كبعض تلك الانهار (٩)» . وكانت تتفرع من شط العرب قناتان كبيرتان تلتقيان فتكونان قناة واحدة تسير نحو الجنوب ، ومنهما تفرعت ترع كثيرة امتدت في جميع الجهات . اما القناة العليا وهي الشمالية الشرقية فتسمى نهر معقل ، واما الثانية وهي الجنوبية الغربية فتسمى نهر الابلة (١٠) ، ومنهما كانت تتكون جزيرة كبيرة مستطيلة تقع البصرة على اقصر ضلع منها (١١) ، وقد نسب نهر معقل الى معقل بن يسار المزني الذي يقال ان النهر اجرى على يديه في ايام ولاية زياد بن ابيه ، وكان معقل هذا من الصحابة ويروى ان النهر سمي باسمه تبركا (١٢) . اما نهر الابلة فنسب الـى ميناء الابلة الذي كان يقع على شاطىء دجلة العوراء في زاوية الخليج العربي ، وكان النهر يتجه نحو البصرة وقد حفره زياد بن ابيه (١٣) ، ويروي البلاذري (١٤) أن أهل البصرة ظلوا يشربون من ماء الابلة لعذوبته حتى قدم سليمان بن علي البصرة «واتخذ المغيثة وعمل مسنياتها على البطيحة فحجز الماء عن نهر الدير وصرفه الى نهر ابن عمر وانفق علـى المغيثة الف الف درهم فقال : شكا اهل البصرة الى سليمان ملوحة الماء وكثرة ما يأتيهم مـن ماء البحر فسكر القندل فعذب ماؤهم» .

كانت البصرة تشتهر بكثرة انهارها حتى قيل انها بلغت مائة الف

وعشرين الف نهر (١٥) • وعلى الرغم مما في هذا العدد من المبالغة البينة فان الانهار والقنوات والجداول المتفرعة من شط العرب على جانبيه ، والنهيرات الفرعية التي حفرت لاغراض الري ما زالت حتى اليوم كثيرة جدا لا يمكن تقدير عددها • وسوف يلاحظ القارىء ان كثيرا من اسماء الانهار تتردد اثناء الحديث عن حرب الزنج وبخاصة الانهار الجنوبية المحاذية لمدينة الابلة ، وهي على الغالب جداول فرعية سميت اما بالنسبة للاشخاص الذين احتفروها ، او نسبة الى الجهة التي تجري فيها (١٦) •

ومن اهم الانهار الآخذة من شط العرب (دجلة العوراء) من الشمال الى الجنوب هي : نهر ابي الاسد وعلى بعد فرسخين منه (اي ١٢ كم) نهر المرأة ، وبعده بثلاثة فراسخ نهر الدير ، وبعده بستة فراسخ بثق شيرين (١٧) وبعده بفرسخين نهر معقل (١٨) ، وبعده بأربعة فراسخ نهر الابلة (يقول ناصر خسرو ان بين الابلة ومعقل فرسخا واحدا) (١٩) ، وبعده بأربعة فراسخ نهر اليهودي (٢٠) ، وبعده بفرسخ نهر ابي الخصيب (٢١) ، وبعده بفرسخ نهر الامير وبعده بفرسخين نهر القندل • ثم نجد نهر سيحان والبنات الذي نسب الى بنات زياد والمرغاب الذي حفره بشير المرغاب في العصر الاموي • وفي الجانب الشرقي نجد انهارا اخرى منها المبارك والريان وبيان (٢٢) •

اما البطيحة فهو الاسم الذي اطلق على الاهوار الواقعة بين البصرة وواسط وكانت قديما قرى متصلة وارضا عامرة ، غير ان فيضان دجلة والفرات اغرقها فاختفت اغلب الارض وتغلب الماء (٢٣) • ويقول الاصطخري (٢٤) انه كانت في حدود البصرة «آجام كثيرة وبطائح» تسير فيها القوارب الصغيرة ، ثم تراجعت عنها المياه بعد ما بنيت البصرة وشقت الانهار فغلب الماء على المناطق المنخفضة فاصبحت اشبه بالمستنقعات ، وكانت هذه المستنقعات او الاهوار تتصل ببعضها حتى تصب جميعا في دجلة العوراء (٢٥) • ويرجع البلاذري (٢٦) زمن تكون

البطيحة الى ايام قباذ بن فيروز (٤٨٧ ــ ٥٣١ م) حيث انبثق في اسفل كسكر (٢٧) بثق عظيم ، فأغفل امره حتى اغرقت مياهه كثيرا من الاراضي العامرة ، وفي عهد انوشروان ردمت بعض هذه المستنقعات فعمرت كثير من الاراضي . غير انه حصل بين سنتي ٦ــ٧ هـ (٦٢٨ م) فيضان طاغ في نهري دجلة والفرات فانكسرت السدود ، واغرقت المياه منطقة البطائح وعبثا حاول ابرويز ان ينقذ الاراضي الزراعية من الغرق ، وحدث فيضان آخر ايام الفتوحات الاسلامية للعراق فاتسعت البطيحة وعظمت ، وعلى الرغم من ان الامويين استخرجوا بعض الاراضي بالبطائح ايام معاوية والوليد وهشام كانت تدر عليهم غلة وفيرة ، الا ان محاولة جدية لم تبذل لوقاية هذه الاراضي في ايام الفيضان ، بل ان المشاكل الداخلية والمصالح السياسية كثيرا ما ادت الى الوقوف موقفا سلبيا من الفيضانات في تلك المنطقة كما حصل ايام الحجاج (٢٨) .

ساعد هذا الوضع الجغرافي الذي ألممنا به على جعل حرب الزنج واجبا شاقا بالنسبة للجيوش العباسية ، لان هذه الجيوش الضخمة ذات التجهيزات الثقيلة كان يصعب عليها التنقل السريع في تلك البقاع التي تكتنفها المسطحات المائية وتخترقها مئات القنوات ، والتي تمتلىء بالحلفاء والبردي والقصب .

ان هذه «الطوبوغرافية» المعقدة جعلت الحرب حربا غير منظمة يصعب فيها تقابل الفريقين المتحاربين وجها لوجه ، ومن ثم غدت حرب كمائن وعصابات مائعة متنقلة من مكان الى اخر بسرعة عجيبة مما ساعد على اطالة أمدها وجعل قمعها امرا عسيرا على الخلافة . لقد شهدت هذه البقعة قبل ثورة الزنج بحوالي اربعين سنة عصيانا قام به الزط ــ وهم من هنود فارس ــ ضد الدولة العباسية ، لم يهدأ الا بعد مجهودات جبارة بذلها المأمون والمعتصم ، مع ان الزط لم يكونوا يوازون الزنج لا في العدد ولا في الشجاعة ، وفي وقت كانت الخلافة في عصرها

الذهبي (٢٩) • ويجب ان نضع نصب اعيننا ملاحظة مهمة حين تتحدث عن اعمال الزنج الحربية وهي ان هذه الطبيعة كانت في صالحهم ، فقد كانوا يحاربون على تربة اعتادوها جيدا وخبروها طويلا لاشتغالهم عليها• وبينما كان الزنج يقسمون انفسهم الى عصابات قليلة العدد خفيفة الاسلحة سريعة الحركة ، كان العباسيون على شكل فرق ضخمة ثقيلة السلاح اعتادت الحرب على ارض صلدة • ومن هنا قاسى العباسيون متاعب جمة ، بمن فيهم ابو احمد الموفق نفسه الذي تعب كثيرا من «ضيق المواضع التي كان يحارب فيها وصعوبتها وكثرة الخنادق والانهار بها (٣٠)» •

ومن امثلة الصعوبات التي كان يلاقيها العباسيون في هذه الحرب ما يرويه الطبري (٣١) عن استغلال الزنج لهذه الطبيعة المعقدة وكيف كانوا يجرون المياه على السباخ التي يسلكها اصحاب الموفق كيلا يجدوا الى سلوكها سبيلا ، وكيف كانوا يحفرون خنادق في مواضع عدة يحولون بها دون تقدم الجيوش العباسية • وكان الموفق يضطر الى اضاعة كثير من وقته وجهده في طم وردم الخنادق والانهار والمواضع الضيقة «كي تصلح فيها مسالك الخيل والرجالة» (٣٢) • ونجد الموفق — في حوادث سنة ٢٦٩ (٨٨٢ م) — يقاسي مشقة في العبور الى معسكر الزنج لصعوبة سير الجيوش ، فيأمر بقطع النخيل واصلاح الارض وبناء الاستحكامات وحفر الخنادق (٣٣) •

هذا الى أن النخيل كثيف في هذه المنطقة المحيطة بشط العرب ، التي ما تزال تعد من اكثف مناطق غابات النخيل في العالم ، فساعدت هذه الكثافة في الاشجار الزنج على ان ينظموا انفسهم في جماعات صغيرة العدد تكمن بين الاشجار تتربص بقوات العباسيين الدوائر ، فتأخذها على حين غرة ، وتمدنا المراجع بأمثلة كثيرة على براعة الزنج في نصب هذه الكمائن بين اشجار النخيل وفي القنوات الممتلئة بالنباتات

ليلا ونهارا ، حتى اذا ما لاح لهم جيش عباسي او سفينة تحمل الميرة ، انقضوا من مكمنهم بخفة مدهشة (٣٤) ، وقد طالما قاسى الجيش العباسي من «تبييت» الزنج له على حين غرة ، مما كان يربك مؤخرته ويسبب له الهزيمة .

واستخدم الزنج الكشافة والطلائع التي كانت تنبث بعيدا في مواضع متفرقة لتأتي باخبار حركات الجيوش العباسية ، وكان صاحب الزنج يلم بجميع اخبار العباسيين وهو في موضعه بفضل جواسيسه وكشافته ، فيرسم الخطط الآنية للقاء العباسيين ، او تحاشى لقائهم حسبما توحيه مصلحته . ومن الطريف ان صاحب الزنج كان يتخذ جواسيس ينقلون له كل ما يحدث داخل معسكر العباسيين ، فقد اخبره رجلان من اهل عبادان بخبر الحريق الذي نشب في معسكر ابي احمد الموفق سنة ٢٥٨ (٣٥) .

كذلك استغل الزنج خبرتهم في الانهار فبرهنوا على براعة في «حرب الماء» ــ ان صح التعبير ــ وقد ساعدتهم الطبيعة كثيرا ، فكانت الرياح تهب وتعصف في بعض الايام في شط العرب فتتعذر الحرب على العباسيين ، وينتهز الزنج فرصة شلل حركة عدوهم فيستولون على السفن التي تربكها الرياح ، واذا ما القى ركاب هذه السفن بانفسهم في الماء تبعهم الزنج وفتكوا بهم قتلا واسرا واغراقا (٣٦) ، لان الزنج كانوا يجيدون العوم والسباحة بحكم اقامتهم الطويلة في تلك المناطق . ومجمل القول ان العباسيين قاسوا كثيرا من «كثرة الادغال في ذلك الموضع ، وصعوبة المسالك ، وان الزنج على التوغل الى المواضع الموحشة اقدر وهو عليهم اسهل » (٣٧) .

غارات الزنج على البصرة :

بدأت حركة الزنج في ليلة السبت ٢٨ وقيل ٢٦ رمضان سنة ٢٥٥ هـ

(١٠ سبتمبر ٨٦٩ م) ، في عهد الخليفة المهتدي بالله محمد بن الواثق (٢٥٥ ــ ٢٥٦) • وعلى الرغم من ان المهتدي كان من اعظم خلفاء هذه الحقبة واشدهم رغبة في الاصلاح ، الا انه كان في شغل شاغل بصراعه الرهيب مع القواد الاتراك الذين اصبحوا منذ اغتيالهم المتوكل سنة ٢٤٧ (٨٦١ م) القوة الموجهة للسياسة الداخلية والخارجية وعلى رأسهم موسى بن بغا وصالح بن وصيف وبايكباك ، حتى انهم لم يجدوا رادعا يردعهم عن تعذيب الخليفة المهتدي وقتله بصورة مذلة لا لامر سوى أنه حاول ــ عن طريق استعانته بالعامة ــ ايقاف نفوذ الاتراك عند حده (٣٨) •

بدأت الحركة بخروج علي بن محمد في فرات البصرة حيث كان يقيم في موضع يدعى قصر القرشي في برنخل ، وكان اول ما فعله انه قبض على خمسين عبدا لرجل يدعى العطار كانوا في طريقهم الى عملهم في كسح السباخ ، ثم اتجه الى موضع آخر فاخذ منه خمسمائة غلام ، وهكذا طفق يتجول في المنطقة المجاورة طوال يومه يتصيد العبيد «حتى اجتمع اليه بشر كثير من غلمان الشورجيين (٣٩)» • وكان بينهم جماعة من وجهاء الزنج الذين اصبحوا فيما بعد قوادا ممتازين في جيش الثورة منهم ابو حديد وزريق وابو الخنجر وطريف وصبيح الاعسر وراشد المغربي وراشد القرماطي (٤٠) • وكان لا بد لعلي بن محمد ان يعمل على كسب ثقة هؤلاء العبيد المذعورين فألقى فيهم خطبته الاولى التي وضح فيها برنامجه على النحو الذي مر بنا • وحين حاول وكلاء اصحاب العبيد ان يغروا صاحب الزنج بالمال ليطلق سراح عبيدهم ، امر ببطح هؤلاء الوكلاء ودعا غلمانهم الى ضربهم بعصي جريد النخل (٤١) ، وهكذا انتقم العبيد لاول مرة من سادتهم الذين طالما اهانوهم واضطهدوهم ، ومن ذلك اليوم بدأ العداء على اشده بين الملاكين ونوابهم من ناحية وعلي بن محمد واتباعه الزنج من

ناحية اخرى .

ولما اصبح عدد اتباع علي ضخما اخذ ينظمهم على شكل فرق ويضع عليهم قوادا ورؤساء ، ووعد كل من يأتي بتابع جديد ان يضمه اليه ويجعله تحت قيادته . وبرزت امام قائد الزنج مشكلة خطيرة هي الحاجة الملحة الى السلاح ، فقد كان معسكره في هذا الوقت لا يحوي غير ثلاثة اسياف (٤٢) ، بل لقد كان اصحابه عزلا الى حد ان احدهم استعمل طبق الطعام كسلاح رمى به عدوه (٤٣) . كما ان جيش الثورة كان يعوزه المال للصرف على شؤون الحرب والتموين . ولكي يحل علي هذه المشكلة لجأ الى الاغارة على القرى المجاورة ، فهاجم قرية الجعفرية حيث عثر على مائتين وخمسين دينارا والف درهم «فكان هذا اول ما صار اليه» (٤٤) . كما انه حصل على ثلاثة براذين منحها لقواده، اما هو فقد كان يركب فرسا اهدي اليه . وفي هذه القرية نفسها حصل الزنج على كثير من الاسلحة من السيوف والآلات والتراس (٤٥) . وفي ذات الوقت استمر عدد الزنج يتضخم الى درجة ان عليا زج بستة آلاف جندي في موقعة واحدة (٤٦) .

برهن صاحب الزنج على عبقرية في القيادة وبعد نظر في رسم الخطط الحربية ، ففي هذا الوقت المبكر حشد كل مواهبه لكسب النصر، فاستخدم الجواسيس والكشافة لارتياد المناطق المجاورة ودراسة حال اعدائه ، ووزعهم توزيعا جيدا على المناطق «الاستراتيجية» . كذلك اتبع حرب الاعصاب وسيلة لاضعاف اعدائه ، فكان اذا احتل قرية من القرى حمل رؤوس القتلى على البغال ، خاصة وقد كان مذهب الازارقة ـ كما اسلفنا ـ يبرر قتل الاسرى باعتبارهم كفارا ، على حين كان يحتفظ بالنساء والاطفال بمثابة غنائم (٤٧) . غير اننا يجب ان نعترف بان صاحب الزنج لم يكن يهاجم القرى المسالمة ، بل كان يتحقق من كون اهلها اعداء ثبت عداؤهم ، حتى لقد رفض مهاجمة قرية القادسية ما دامت لم تتعمد

ايذاءه(٤٨) • ويقول ابن كثير (٤٩): انه لم يكن يتعرض «لاموال الناس ولا يؤذي احدا وانما يريد اخذ اموال السلطان» • وتوضح لنا القصة التالية اسلوب صاحب الزنج في الدعاية من ناحية وان حركته كانت موجهة ضد ملاك العبيد والدولة فحسب من ناحية ثانية : مرت الف وتسعمائة سفينة فيها حجاج ارادوا سلوك طريق البصرة فناظرهم حتى غروب الشمس «فجعلوا يصدقونه في جميع قوله وقالوا لو كان معنا فضل نفقة لاقمنا معك فردهم الى سفنهم ، فلما اصبحوا اخرجهم فأحلفهم ألا يخبروا احدا بعدة اصحابه وان يقللوا امره عند من سألهم عنه ، وعرضوا عليه بساطا كان معهم فأبدله ببساط كان معه ، واستحلفهم انه لا مال للسلطان معهم ولا تجارة ، فقالوا معنا رجل من اصحاب السلطان فأمر باحضاره فاحضر ، فحلف الرجل انه ليس من اصحاب السلطان وانه رجل معه نقل اراد به البصرة ••• فخلى سبيله واطلق الحجاج فذهبوا (٥٠)» •

واستطاع علي أن يعرف بوساطة جواسيسه ان اهل البصرة جهزوا جيشا من المتطوعة لقتاله ، لكنه استطاع ان يمزق هذا الجيش الذي كان يقوده جماعة من اعوان الخلافة كرميس والحميري • وحاول رميس ان يشتري ذمة صاحب الزنج لكن هذا رفض بشدة ، ودارت بين الفريقين وقعة اخرى ، وانضم اهل القرى ــ وبخاصة الطبقات العليا ــ ضد صاحب الزنج دفاعا عن مصالحهم وأملا في استرجاع عبيدهم • ونلاحظ ان اهم المتطوعة في جيشي رميس والحميري كانوا من قرى المفتح ومن الابلة وفرات البصرة ومعهم جماعة من الدبيلا وهم عبيد بجوار البصرة من اصل هندي درافيدي (٥١) كانوا فيما يبدو من المحاربين الخطرين بدليل ان صاحب الزنج كان يعطي لمن يقتل واحدا منهم «دينارا خفيفا (٥٢)» • واخذت قوة الزنج تزيد وساعدهم يشتد بما اجتمع لديهم من مال وجوهر وحلى واواني وسلاح واسرى ، كما استطاعوا

ان يهزموا جيشا كبيرا من اربعة آلاف محارب كان يقوده تركي يدعى ابا هلال ، ولم يمض غير قليل حتى هزمـوا جيشا ثالثا (٥٣) • غير ان جيش الزنج لاقى هزيمة قاسية في ١٢ مـن ذي القعدة سنة ٢٥٥ (٢٣ تشرين الاول ٨٦٩ م) اي بعد ستة اسابيع من بدايـة الثورة ، ولم ينج علي نفسه من الموت الا باعجوبة (٥٤) • على ان البصريين لم يفيدوا من هذا النصر كثيرا ، لان صاحب الزنج ما لبث ان جمع شمل اصحابه واعاد تنظيمهم ، بحيث استطاعوا في اليوم التالي ان ينقضوا على مؤخرة جيش البصريين الذي كان يتقدم بمحاذاة النهر ، مستفيدين من الكمائن التي نصبوها على الضفتين • واسر الزنج بعض السفن ، واستماتوا في القتال، وسببوا للقسم الثاني من الجيش البصري الذي سلك طريق البر هزيمة اشد وانكى • وكان هذا اول لقاء جدي مع اهل البصرة وقد ظل حيا في ذاكرتهم ، حتى ذكره الناس في اشعارهم ودعوه بـ «يوم الشذا (٥٥)» • وقد كان عدد القتلى من البصريين في هذه الموقعة (في ذي القعدة) كبيرا جدا حتى ملأت رؤوسهم سفينة كبيرة (٥٦) ، وكان من بين القتلى كثير من افراد الاسرة العباسة نفسها • اما تأثير هذه الهزيمة على معنوية اهل البصرة فقد كان عظيما بحيث اصابهم الفزع والرعب ، فأمسكوا عن حرب الزنج وكتبوا الى الخليفة يلحون عليه في ضرورة التدخل (٥٧) •

وقد لبى الخليفة نداء اهل البصرة فأرسل القائد التركي جعلان ، ومن ثم تحولت حرب الزنج من حرب محلية بين العبيد واهل البصرة الى حرب عامة تدخلت فيها السلطة المركزية • غـير ان جعلان برهن علـى ضعف عجيب ، فقد بقي ستة اشهر مخندقا قبـالة معسكر الزنج وعلى مبعدة ثلاثة اميال فقط دون ان يخطو خطوة ايجابية • اما علي بن محمد فلم يقف مكتوف اليدين ، بل اخفى جماعة من اصحابه بيتوا لجعلان ليلا واخذوا عليه السبل فأوقعوا في جيشه اشد الرعب وقتلوا منه عددا ليس بالقليل (٥٨) ، ولم يلبث الخليفة ان عزل جعلان عن مهمة حرب الزنج •

اما هؤلاء فقد كسبوا نصرا جديدا حين استولوا على اسطول مكون من اربع وعشرين سفينة في طريقه الى البصرة • وذهبت في هـذه الموقعة النهرية ضحايا كثيرة ، على حين كانت غنائم الزنج من الاموال والسبايا لا تعد ولا تحصى • وكان هـذا الفوز «غنيمة باردة» كما عبر صاحب الزنج نفسه ، الذي حث اتباعه على مهاجمة تلك السفن مدعيا ان صوتا من السماء خاطبه ان : «قد اطلك فتح عظيم (٥٩)» •

احتلال الزنج الابلة وعبادان والاهواز :

هاجم الزنج بعد ان اشتد ساعدهم الابلة (Apologus) ، وهي الميناء التجاري العظيم الذي كان يقع على شاطىء شط العرب في زاوية الخليج العربي (٦٠) ، على بعد اربع ساعات من البصرة القديمة ، وذلك في ٢٥ رجب سنة ٢٥٦ هـ (٢٩ حزيران سنة ٨٧٠ م) • ودخل الزنج المدينة اثر معركة عنيفة قصيرة جرت في البر والبحر ، وكان دخولهم اياها مصحوبا بمجزرة هائلة ، فقد قتل وغرق من اهلها الكثير ، وذهبت بيوت المدينة المبنية من خشب الساج (٦١) طعمة للنيران • وكسب علي بن محمد كميات هائلة من السلاح وحرر العبيد هناك واستولى على حصن المدينة •

وأهمية الابلة واضحة فقد كانت مدينة خصيبة عامرة وتعد اكبر المدن المحيطة بالبصرة ، وكانت تقع على النهر المسمى بها ، ويروي البلاذري (٦٢) ان ابا موسى الاشعري مد نهر الابلة من موضع الاجانة (وهي خور يبعد ثلاثة فراسخ عن البصرة اي نحو ١٨ كيلومترا) الى البصرة ، ثم انظم جزء من هذا النهر فحفره زياد بن ابيه حتى بلغ به البصرة ، وبذلك اصبح طول النهر اربعة فراسخ • وفيها قصور واسواق ومساجد واربطة «وهي من الجمال بحيث لا يمكن حدها او وصفها (٦٣)» • وكان شط العرب يقع الى الشرق من هذه المدينة •

كان لدخول الزنج الابلة بهذه السهولة ، ابلغ الاثر على عبادان ،

فقد بلغ الرعب باهلها اقصاه (٦٤) • وعبادان بلدة صغيرة تقع على جزيرة في مصب نهر شط العرب الحالي قرب البحر (٦٥) • وقد فتح اهلها ابواب مدينتهم واستسلموا للمغيرين دون قيد او شرط ، فدخلها علي بن محمد وحرر من كان بها من العبيد والحقهم بجيشه ، واستولى على ما فيها من السلاح فوزعه على اصحابه (٦٦) •

ولما استسلمت عبادان طمع صاحب الزنج في الاهواز ، فهاجم جبي وهي بلدة من اعمال خوزستان (٦٧) ، فانهارت سريعا وانفتح الطريق امام الزنج الى الاهواز ، وهي عاصمة المنطقة التي كانت تقع على نهر كارون الحالي • ويبدو ان واليها سعيد بن يكسين ادرك انه لا قبل له بلقاء الزنج فانسحب بجنده ، على حين فضل ابراهيم بن المدبر صاحب الخراج المقاومة ، فكان مصيره ان اسر وصودرت امواله ومتاعه وعبيده ، وبذلك سقطت الاهواز في يوم الاثنين ١٢ رمضان سنة ٢٥٦ (١٤ آب سنة ٨٧٠ م) (٦٨) •

وهكذا استطاع علي بن محمد في اقل من سنة واحدة ان يخضع لسلطانه مدنا عظيمة الاهمية ، ويسيطر على مصب دجلة ، فأثرت هذه الاحداث الخطيرة على بغداد التي اختلت مواصلاتها مع هذه المقاطعات مما عرض التجارة لاضرار بالغة • اما البصرة فصعقت من مصير الابلة واهتزت له «فانتقل كثير من اهلها عنها وتفرقوا في بلدان شتى وكثرت الاراجيف من عوامها (٦٩)» •

لم تكن الامور تصل الى هذا الحد لو لم تكن سامراء عاصمة الخلافة تقاسي اضطرابا داخليا شديدا • ففي الوقت الذي كانت الابلة تهوى تحت معاول الزنج ، كان الاتراك يتآمرون على الخليفة السيء الطالع المهتدي بعد حكم قصير لم يبلغ السنة الواحدة • وعلى الرغم من ان الخليفة الجديد احمد المعتمد على الله بن المتوكل (٢٥٦ — ٢٧٩ هـ) لم يكن بالشخصية القوية التي تتطلبها هذه الظروف ، فان الخلافة دخلت

في مرحلة من القوة والانتعاش بفضل اخيه ابي احمد الموفق طلحة ، الذي اصبح الحاكم الحقيقي تاركا للمعتمد القابه ومظاهره فحسب (٧٠). وقد استطاع ابو احمد بالفعل ان يعيد الى الخلافة هيبتها في المناطق المركزية على الاقل ، وان يقف في وجه الزنج ـ كما سنرى ـ وقفة عنيدة .

وبدأ الموفق اعماله ضد الزنج بارسال جيش يقوده غلامه سعيد بن صالح الحاجب في رجب سنة ٢٥٧ (بداية صيف سنة ٨٧١ م) (٧١) . واستطاع الحاجب ان يكبد الزنج خسائر فادحة اول الامر حين هزم جيشا زنجيا كان يعسكر على نهر المرغاب المتفرع من نهر معقل ، غير انه اصيب بجراح خطيرة ارغمته على ان ينسحب الى موضع يقال له هطمة بفرات البصرة ليستجم ويعيد تنظيم جيشه (٧٢) . والحق ان الحاجب تفوق خلال شهري رجب وشعبان على الزنج بفضل المتطوعة من سكان فرات البصرة من الرجال والنساء (٧٣) . غير ان الزنج ما لبثوا ان باغتوا جيش الخلافة في هجوم ليلي بارع فأحرقوا معسكره وقتلوا الكثيرين ، وكان مصير الحاجب ان عزل متخليا عن منصب القيادة لمنصور بن جعفر الخياط (٧٤) . على ان منصور الخياط لم يكن احسن حظا من سلفه ، فانه على الرغم من محاولته ضرب حصار اقتصادي على الزنج لمنع الميرة عنهم ، فان هؤلاء نصبوا له كمينا وقتلوا من جيشه عددا هائلا ، بحيث حملت خمسمائة رأس في معسكر الزنج في معقل كاعلان عن هزيمة القائد العباسي (٧٥) .

اما في الاهواز فقد استطاع القائد الزنجي علي بن ابان المهلبي ان ينتصر على القوات العباسية في وقعات كثيرة ، وقتل شاهين بن بسطام من كبار الموظفين هناك . والحق المهلبي هذا النصر بنصر آخر حين سار الى البصرة بامر صاحب الزنج فقطع مواصلاتها بدجلة ولم يمض على اعادة القوات العباسية لها وقت طويل (٧٦) .

احتلال البصرة :

يبدو ان هدف صاحب الزنج الرئيس كان احتلال البصرة ، ولما كان هذا المشروع الضخم يستدعي كثيرا من الاستعدادات والجهود ، فانه وضع خطة غاية في الاحكام تتلخص في قطع مواصلات هذه المدينة بدجلة وفرض الحصار الاقتصادي الشديد عليها ، وعزلها عن المناطق المجاورة عزلا تاما ، ومحاولة استغلال الضغائن والعصبيات التي كانت تمزق اهلها شر ممزق . وقد نجح الزنج في عزل البصرة وحصارها وخربوا ما حولها من المدن والقرى تمهيدا لدخولها . ومما ساعد الزنج في مشروعهم ان الحامية التي كانت في المدينة ضئيلة العدد وقد مزقتها الضغائن الحزبية والحزازات العصبية التي طالما ثارت بين السعديين والبلاليين الاتراك ، ويبدو ان المدينة كانت تعاني عصبية طائفية بين الربعيين وهم شيعة وبين السعديين من السنة كما يروي المؤرخون (٧٧). وقد زاد الامر سوء ان البصرة اخذت تقاسي الغلاء وندرة الاقوات ، فقد عض الجوع «اهل البصرة وكثر الوباء بها واستمرت الحرب فيها بين الحزبين المعروفين بالبلالية والسعدية (٧٨)» .

كانت الظاهرة الرئيسة في «حرب البصرة» هي محاولة كل من الفريقين الحصول على الميرة الكافية ومنعها عن الفريق الاخر . ويروي شاهد عيان ان صاحب الزنج كان يستعين بالاعراب في هذا المجال ، فيوجه الاموال الى البادية لاغراء زعماء القبائل على امداد جيشه بالتموين (٧٩) . اما القائد العباسي منصور الخياط فقد شغل نفسه بايصال الميرة الى المدينة التي عضها الجوع وأضر بأهلها ، ويبدو ان هذا العمل استنزف كل جهوده فلم يستطع ان يضع خطة عسكرية تحول بين الزنج ودخول البصرة . لقد حشد صاحب الزنج خيرة قواده لفتح البصرة ، فأسند القيادة العليا الى علي بن أبان يساعده يحي بن محمد،

ووفق الاول الى عرقلة مواصلات البصرة فعاد اهلها الى ما كانوا عليه من الضيق (٨٠) • ومن ثم صمم الجيش الزنجي على مهاجمة المدينة في يوم الجمعة ١٧ شوال سنة ٢٥٧ (٧ ايلول سنة ٨٧١ م) ، فدخلها قواده من ثلاث جهات (بني سعد ونهر عدي وقصر أنس الذي يؤدي الى الجسر) • وجرت الاعمال المعتادة من قتل وحرق طوال يومي الجمعة والسبت • ثم انسحب علي بن أبان من المدينة خوف الكمناء ، لكنه أعاد الكرة يوم الاثنين فدخلها • وانتقم الزنج من اهلها شر انتقام ، واعمل العبيد المتعطشون للثأر سيوفهم في جموع اهل البصرة «فكان السيف يعمل فيهم وأصواتهم مرتفعة بالشهادة ، وعظم الخطب وعمها القتل والنهب والاحراق ، وقتلوا كل من رأوا بها من اهل اليسار وأخذوا ماله (٨١) ••• » • وأحدقت النار بالمدينة من كل جانب فالتهمت كل شيء مرت به «من انسان وبهيمة وأثاث ومتاع (٨٢) » •

كان احتلال البصرة نصرا مؤزرا للزنج وكارثة مؤلمة للخلافة ، ذلك ان هذه المدينة كانت عين العراق وميناءه النهري الوحيد، ومعنى السيطرة عليها قطع التجارة العباسية الصادرة والواردة، وتهديد جميع المناطق المجاورة • وقد اسهبت المراجع في وصف المآسي التي لحقت بهذه المدينة من جراء الاحتلال الزنجي ، حتى ليبدو انها تخربت الى حد كبير وفقدت كثيرا من معالمها العمرانية منذ ذلك اليوم ، بل ما زال المثل السائر «بعد خراب البصرة» حيا في ذاكرة البصريين • ويقال ان ضحايا هذه الموقعة كانوا ٣٠٠ الف وهو أقل تقدير لعدد القتلى من اهل البصرة في هذه المجزرة (٨٣) • ويروي المسعودي (٨٤) ان كثيرا من اهل هذه المدينة اختفوا في الدور والآبار «فكانوا يظهرون بالليل فيأخذون الكلاب فيذبحونها ويأكلونها والفيران والسنانير فأفنوها حتى لم يقدروا منها على شيء • فكانوا اذا مات الواحد منهم أكلوه، وعدموا مع ذلك الماء العذب» • ويروي هذا المؤرخ قصة اقرب الى الخيال ،

ونحن وان كنا نشك كثيرا بما جاء فيها ، الا اننا نثبتها هنا لانها تعبر عن الصورة التي خلفتها حرب الزنج في اذهان الاجيال التالية • يقول المسعودي (٨٥) : «ذكر عن امرأة منهم ـ اي اهل البصرة ـ انها حضرت امرأة تنازع ومعها اختها وقد احتوشوها ينتظرون ان تموت فيأكلون لحمها • قالت المرأة: فما ماتت حتى ابتدرنا فقطعناها وأكلناها• ولقد حضرت اختها وقد جاءت على النهر وهي تبكي ومعها رأس اختها فقيل لها: ويحك ما لك تبكين ؟ فقالت : اجتمعوا على اختي فما تركوها حتى تموت موتا حسنا حتى قطعوها ، فظلموني فلم يعطوني من لحمها شيئا الا رأسها هذا وهي تشتكي ظلمهم لها في اختها ••• » •

وقد اوحت حادثة «خراب البصرة» لابن الرومي بقصيدة رائعة(٨٦) ـ على ما حوته من المبالغة ـ تقف وثيقة تاريخية بالغة الاهمية في تصوير ما كانت عليه البصرة في القرن الثالث من العمران والتقدم وما آلت اليه من الانحطاط والخراب • لقد كانت هذه المدينة ـ على حد قول ابن الرومي ـ معدن الخيرات وقبة الاسلام وفرضة البلدان، مزدحمة بالناس كثيرة الضجة والصخب والضوضاء ، وهي ذات ابنية انيقة ودور عامرة وأسواق نشيطة بالبيع والشراء ، وسفن تجري في النهر حافلة بالبضائع والركاب •

اين ضوضاء ذلك الخلق فيها ... اين ذاك البنيان ذو الاحكام
بدلت تلكم القصور تلالا ... من رماد ومن تراب ركام
سلط البثق والحريق عليها ... فتداعت أركانها بانهدام
بل الما بساحة المسجد الجا ... مع ان كنتما ذوي المام
فاسألاه ـ ولا جواب لديه ـ ... اين عباده الطوال القيام

يمدنا ابن الرومي بصورة تاريخية زاهية للهجوم المباغت الذي قام

به الزنج على البصرة ، وهو وان طفحت قصيدته بالعداء للزنج من ناحية وبغلبة المبالغة الشعرية على الحقيقة التاريخية من ناحية ثانية ، الا ان الباحث لا يملك الا ان يستشهد ببعض ابياتها التي رسمت صورة دقيقة لاهل البصرة وقد باغتهم هجوم العبيد الذين دخلوا المدينة «كأنهم قطع الليل» فأشعلوا النار فيها من «يمين وشمال ومن خلف وأمام» • ونجد هاهنا شاربا غص بشرابه ، وطاعما غص بطعامه ، وهاربا تعثر في هربه فراح ضحية للحسام • ونبصر اخا يندب اخاه الصريع ، وأبا يشهد بعينيه مصرع فلذات كبده ، ورضيعا قتل «قبل الفطام» • ثم يصور ابن الرومي ــ مع المبالغة والتعصب الواضحين ــ العذارى الابكار وقد قادهن الزنج سافرات الوجوه داميات الاقدام كسبايا حرب يوزعن بين الجند الغالبين • وبعد ان ينتهي الشاعر من وصف المدينة المخربة يخرج الى غرضه الخفي وهو الدعوة الى الثأر من صاحب الزنج الذي قاد «العبيد الطغام» الذين «انتهكوا محارم الاسلام» • ومهما يكن من امر فان هذه القصيدة تصور وجهة النظر المعادية للزنج ، وتوقفنا على ما لقيته البصرة من تخريب وتدمير نتيجة هذه الاحداث •

والحق ان صاحب الزنج كن للبصريين أشد العداء، وطالما عبر عن نقمته عليهم ورغبته في الانتقام منهم لاسباب عديدة• فقد كانت البصرة آنذاك مركزا لطبقة كبيرة من الاغنياء الذين كونوا ثرواتهم الطائلة من استثمار العبيد في الزراعة ومن اشتغالهم في التجارة (٨٧) • وقد مر بنا ان مالكي العبيد كانوا جلهم من هؤلاء البصريين ، من ثم كانت ثورة الزنج موجهة ضد هذه الطبقة بالدرجة الاولى • وقد وقفت الطبقة العليا من اهل البصرة ضد ثورة الزنج منذ البداية ، فانه لم يكد يمضي على بدء الحركة سوى خمسين يوما حتى قاد حماد الساجي المتطوعة واهل حي المسجد الجامع وجماعة من الهاشميين والقرشيين لقتال الزنج (٨٨) • كذلك انضم اهل المفتح والقرى المتصلة بها الى رميس

وعقيل ـ من موظفي الدولة ـ لحرب الزنج (٨٩) ، وظل اهل البصرة يقاومون صاحب الزنج ويظهرون له العداء حتى نهاية الثورة ، فـلا نعجب اذا كان انتقام الزنج من البصريين رهيبا الى هذا الحد . كما ان اولي الامر في المدينة لم يقفوا موقفا جديا في صد الزنج حتى ان اهل البصرة طلبوا شخصا مسؤولا يحاربون تحت قيادته فلـم يجدوا لان الموظفين الكبار تخلوا عن المسؤولية وهربوا خارج المدينة (٩١) . وقد اعترف الطبري (٩٢) بأن «وجوه اهل البصرة وسلطانها المقيم بها كانوا من الغبا عن حقيقة خبر الخائن ـ يعنـي صاحب الزنج ـ على مـا وصفت ...» . ومن الامثلة الطريفة فيهذا المجال ان ابراهيمبن محمد المعروف ببريه من كبار الموظفين وهارون بـن عبد الرحيم الشيعـي صاحب البريد كانا مطمئنين الى ان العرب لن يساندوا الزنج في حرب البصرة وان مـن جمعهم علي بـن محمد من العرب لـم يزيدوا علـى تسعة اشخاص ! هذا في الوقت الذي دخل الزنج البصرة وفي مقدمتهم فرقة كبيرة من الفرسان العرب الذين كان لهم دور كبير في احتـلال المدينة (٩٣) .

فترة الانتقـال :

في يوم الاثنين ٢٠ ربيع الاول سنة ٢٥٨ عقد المعتمد لاخيه ابـي احمد الموفق طلحة على ديار مضر وقنسرين والعواصم ، وفي يـوم الخميس اول ربيع الاخر وجهه هو ومفلح ـ بعد ان خلع عليهما ـ الى البصرة لحرب الزنج (٩٤) . وهذا دليل على ان الخلافة بدأت تشعـر بخطر الزنج بعد ان ظهر عجز القواد الصغار عن ايقاف تقدمهم ، وبدا ان الرجل الوحيد الذي يستطيع انقاذ الموقف هو ولي العهد الذي قاد جيشا ضخما لم ير «احسن عدة ، وأكمل سلاحا وعتادا وأكثر عـددا

وجمعا (٩٥)» منه. وقد اوقع هذا الجيش اللجب الرعب في قلوب الزنج، وكادت عزيمتهم ان تنهار ، لولا ان ادرك زعيمهم الخطر فارسل يستدعي علي بن أبان من الاهواز ، فوافاه فيمن معه من الجند وحصل ان قتل مفلح الساعد الايمن للموفق فاختل نظام الجيش العباسي ، ولحقته الهزيمة فانسحب ابو احمد الى الابلة ليعيد تنظيم صفوفه (٩٦) .

وفي موقعة اخرى جرت في الاهواز جرح وأسر احد قواد الزنج الكبار وهو يحي البحراني وأخذ الى سامراء حيث ضُرب بالسياط على مرأى من الناس وقطعت يداه ورجلاه ثم ذبح واحرق (٩٧) . ويروي الطبري (٩٨) قصة أسر يحي بن محمد البحراني بأسلوب جذاب ، فيقول ان البحراني لاقى العباسيين وهو في نفر قليل فأخذ درقته وسيفه واحتزم بمنديل وأخذ يحارب ببسالة نادرة حتى اصابته ثلاثة سهام في عضديه وساقه اليسرى ، ولما رأى تعذر القتال وهو في هذه الحالة ركب سفينة لاحد اصحابه البيض و«اقعد معه فيها متطببا يقال له عباد يُعرف بأبي جيش» وحاول ان يعود الى معسكر صاحب الزنج ، غير ان قواه انهارت بمجرد ان وصل الى الضفة الغربية للنهر ، حيث سلمه الطبيب ــ ويقال جماعة من المارة ــ الى العباسيين . وكانت نهاية البحراني القتل والحرق، فقد امر المعتمد ببناء دكة بالجير ــ وهو موضع في سامراء ــ وجلس الخليفة يتفرج على العقوبة القاسية التي فرضت على عدوه اللدود «فضرب بين يديه مائتي سوط بتمامها ثم قُطعت يداه ورجلاه ... ثم خبط بالسيوف ثم ذبح وأحرق» .

لقي جيش ابي احمد عنتا شديدا في تلك الجهات الحارة المليئة بالاهوار وتفشت بين جنده الاوبئة والامراض وكثر فيهم الموت ، فبقي مقيما في الابلة حتى تحسن وضع جنده وبرأوا مما اصابهم من المرض فعاد الى باذاورد ــ وهي مدينة بين البصرة وواسط (٩٩) ــ ، حيث اصلح سفنه وجدد اسلحته وعبأ جنده تعبئة جديدة ليعيد الكرة على

عدوه (١٠٠) .

التحم الفريقان عند نهر ابي الخصيب التحاما مستعرا كان من اثره ان قتل وجرح عدد عديد من كلا الجانبين ، وعلى الرغم من ان الموفق اصاب تقدما ونجاحا في بعض الاحيان ، الا ان الاخفاق كان نصيبه في النهاية . ذلك ان الزنج جمعوا كل قواتهم وبثوا الكمائن بين الادغال لتصيد اصحاب الموفق ، ولم يشعر هذا الا وقد اصبح مخيمه طعمة للنيران ، ووجد الامير العباسي نفسه مضطرا الى التراجع الى واسط ، حيث انفض عنه من كان معه من اصحابه (١٠١) . اما هو فعاد الى سامراء يوم الجمعة ٢٦ ربيع الاول سنة ٢٥٩ (كانون الثاني سنة ٨٧٣م) تاركا المولد خلفا له في واسط ، وبذلك تبددت احلام هذه الحملة .

وبانسحاب الموفق تحرر الزنج من خطر داهم ، وأخذوا يغيرون على المدن والقرى ، وارسل علي بن محمد قوات كبيرة الى الاهواز بقيادة علي بن أبان وسليمان بن جامع، فلم تثبت قوا تالوالي اصغجون الا قليلا امام هذا الجيش الكثيف ، ثم دخل علي بن أبان الاهواز في ٦ رجب سنة ٢٥٩ (مايس ٨٧٣ م) (١٠٢) . على ان حملات الزنج في هذه النواحي لم تكن بقصد الاحتلال الدائم ، بل في سبيل ضمان التموين والحصول على الغنائم ، وربما راودت صاحب الزنج احيانا احلام ذهبية بالفتوح على نطاق واسع ، لكنه كان يدرك في النهاية ان سلامته وسلامة أتباعه رهينة بالقبوع في مستنقعاتهم وخنادقهم الحصينة بين الادغال والقنوات فحسب (١٠٣) . وهذا دليل على تروي علي بن محمد ويقظته وحسابه لكل امر حسابه ، وكأنه كان يسير بحركته خطوة خطوة وفق اسلوب دقيق يتسيز دائما بالمحافظة على خط الرجعة وسلامة الخطوط الخلفية من ناحية وعدم بعثرة قواته بعيدا من ناحية ثانية .

ولم تلبث الخلافة ان ارسلت هذه المرة شخصية قوية هو موسى بن بغا التركي الذي يعد من ألمع قواد هذا العصر . كان بغا ابو موسى

من قواد المعتصم وقد اتاحت له شجاعته ومقدرته ان يتزوج من بيت الخلافة ويصل الى اعلى مقام . بدأ موسى حياته العسكرية بداية موفقة واستغل الظروف السائدة حتى وصل الى منصب القيادة. وعند مغادرته سامراء في ١٧ ذي القعدة سنة ٢٥٩ (ايلول سنة ٨٧٣ م) شيّعه الخليفة نفسه وخلع عليه . وكان يساعد موسى عدة قواد هم عبد الرحمن مفلح الذي ارسل الى الاهواز واسحق بن كنداج الذي اسندت اليه جبهة البصرة وابراهيم بن سيما الذي تحصن في باذاورد (١٠٤) . ودارت عدة معارك صغيرة مع الزنج برهن فيها هؤلاء على حسن استغلالهم لطبيعة الارض والاستفادة من حرب الكمائن في الآجام والقصب والحلفاء . وحاولت الجيوش العباسية الضغط على الزنج من عدة جهات وقطع التموين عنهم ، لكنها اخفقت في هذه العملية . وعلى الرغم من انتصار قواد الخليفة في عدة مواقع فرعية فقد ظلت الحرب مائعة أشبه ما تكون بحرب العصابات ، واستمرت سجالا بضعة عشر شهرا اتخذ موسى خلالها واسط مركزا له حتى عزل عن حرب الزنج وتولاها مسرور البلخي (١٠٥) .

الزنج والصفارون :

تمر هنا فترة من الزمن لا نسمع خلالها عن امر الزنج شيئا ، ويبدو ان حركة الصفارين هي التي شغلت بال الخلافة آنذاك . فقد ظهر على مسرح التاريخ ثائر جديد هو يعقوب بن الليث الصفار ، الذي كان يتمتع بارادة حديدية وعقل نافذ ، سرعان ما مكناه من ان يصبح سيد بلاد فارس في وقت جد قصير . ففي سنة ٢٥٩ (٨٧٢ م) استولى يعقوب على نيسابور وكان قبل ذلك قد استولى على سجستان وهراة وبوشنج (١٠٦) ، وفي سنة ٢٦٠ (٨٧٣ م) دخل طبرستان ، ومن ثم

اخذت أطماعه تسفر عن نفسها ، مما ادى الى انتباه الخلافة الى خطره حتى اصدر مرسوم بلعنه على منابر الامصار وهو اسلوب في الدعاية كان له أبعد الاثر في قلوب العامة . على ان ذلك لم يحل بين الصفار وبين تحقيق خطته ، فأرغم الخليفة على ان يعترف له بولاية خراسان وفارس وطبرستان وجرجان والري واذربيجان وقزوين، ثم دخل رامهرمز في خوزستان سنة ٢٦٢ (٨٧٥ م) مما أطمعه في ان «يعبر الى باب السلطان (١٠٧) » ، ويبدو ان مطامع الصفار لم تقف عند حد الاستقلال بفارس فانه لم يلبث ان دخل واسط ووصل الى دير العاقول بين المدائن والنعمانية اي لم يبق بينه وبين بغداد سوى خمسة عشر فرسخا (حوالي ٤٥ ميلا) ، مما اضطر الخليفة الى الخروج بنفسه لمحاولة صده ، وهذا اسلوب اخر في الدعاية ادى الى استنكار جند الصفار انفسهم حرب الخليفة فانسحبوا من الميدان مما ادى الى هزيمة قائدهم سنة ٢٦٢ (١٠٨) .

ان قيام الصفار بهذه الحركة الخطرة وتكوينه دولة فارسية في المشرق ، أفادا الزنج كثيرا ، لان الموفق ركز كل همه لحرب الصفار، فاستغل الزنج فرصة انسحاب قوات الخلافة من دجلة الادنى ومدوا نفوذهم الى الشمال بمعاونة القبائل العربية المستقرة في البطائح جنوب واسط . ومما ساعد على نجاح الزنج استقالة موسى بن بغا من واجب حربهم بل ومن ولاية المشرق جميعا ، مما اتاح لهم ان يعيدوا الكرة في الهجوم على الاهواز ، فدخلوها للمرة الثالثة وأفرطوا في القتل حتى قيل ان عدد القتلى بلغ خمسين الفا (١٠٩) .

وقد عقدت هدنة بين صاحب الزنج وعامل الصفار على الاهواز وهو رجل كردي يدعى محمد بن عبيد الله ، وتم هذا الحلف فعلا واتفق الثائران على حرب قوات الخليفة في تلك الجهات سنة ٢٦٢ . غير ان العلاقات لم تلبث ان فسدت لان الحلف لم يكن ينطوي ـ منذ

البداية ـ على الاخلاص (١١٠) ، ومن ثم استطاعت قوات الدولة هزيمة الزنج وجرح قائدهم علي بن ابان . الا ان الموفق لم يستطع الافادة من هذا النصر لانشغاله بحرب الصفارين ، مما مكن الزنج من ان يجمعوا شملهم وينالوا تفوقا ملحوظا في تلك الجهات .

ادرك الزنج قيمة التحالف مع الصفارين فألحوا على يعقوب في عقد حلف جدّي . فقد استلم يعقوب الصفار ، بعد ان انسحب الى جنديسابور ، رسالة من صاحب الزنج يحثه فيها على الرجوع الى بغداد ويعده بالمساعدة ، الا انه رفض التعاون لاختلاف الاهداف والمباديء (١١١) . ويبدو ان يعقوب نظر الى الزنج على انهم مارقون من جهة ولانه كان ذا نزعة فردية ومن ثم فضل العمل وحده . غير ان الضرورة العسكرية ادت الى هدنة طبيعية بين الطرفين دون اتفاق معين (١١٢) . على ان موت يعقوب في ذي القعدة سنة ٢٦٥ (حزيران سنة٨٧٩ م) ، قلب الامور رأسا على عقب ، لان خلفه وأخاه عمرو كان أقل كفاءة وصلابة منه ، فاستطاع الموفق اقناعه بعقد الصلح ومنحه كثيرا من الامتيازات ليتفرغ لحملته الكبرى على الزنج ، وبذلك ضمن الموفق تأييد الصفارين ، ومن ذلك اليوم اخذت كفة الدولة العباسية ترجح في حربها مع الزنج (١١٣) .

العراق
في القرن الثالث الهجري
الانهار
الخليج
البطائح
مراكز المدن
موقع بغداد
نهر الثرثار
دور
نهر العظيم
نهر دجيل
د جيل القديم
نهر عيسى
نهر الصرصر
الفرات
النهروان
بغداد
نهر الملك
نهر كوثى
جدجوايا
بولى
جا
كربلا
قصر ابن هبيرة
النيل
ماذرايا
نهر سابور
الحلة
شط اليدعة
الكوفة
النجف
القادسية
نهر
الحيرة
نهر الصلح
واسط
جند يسابور
تستر
الاهواز
الدورق
رجيل
الرصافة
الجامدة
المذار
عبدسى
القرنة
البصرة
دجلة
العمراء
هور
البطيحة
ميل
مقياس الرسم

مراجع وملاحظات (الفصل الرابع)

(١) لسترانج : بغداد في عهد الخلافة العباسية ج١ ص ١٥ .

(٢) Noldeke P., 148 .

(٣) Le Strange, The lands of Eastern Caliphate, P., 26 .

(٤) لسترانج : بغداد في عهد الخلافة العباسية ج١ ص ١٥ .

(٥) Fouad Safar, wasit, P., 6 .

(٦) Le Strange, The Lands of Eas. Cal. P., 26.

(٧) Ibid, P., 41 .

(٨) Noldeke, P., 148.

(٩) البلاذري : فتوح البلدان ص ٣٠٠ . ظل دجلة العوراء يدعى بهذا الاسم طيلة القرون الاربعة الهجرية الاولى ، وكان اول من دعاه باسم شط العرب الرحالة ناصر خسرو في زيارته الى البصرة في سنة ٤٤٣ هـ (١٠٥١ م) .

(١٠) الاصطخري : مسالك الممالك ص ٧٩ .

(١١) ناصر خسرو : سفر نامة ص ٩٥ .

(١٢) البلاذري : فتوح البلدان ص ٣٦٦ .

(١٣) ياقوت : معجم البلدان ج١ ص ٨٩–٩٠ .

(١٤) البلاذري ص ٣٧٨ .

(١٥) يقول الاصطخري (ص ٨٠) : «وذكر اهل الاخبار ان انهار البصرة عدت ايام بلال بن ابي بردة فزادت على مائة الف نهر وعشرين الف تجري فيها الزوارق . وقد كنت انكر ما ذكر من عدد هذه الانهار في ايام بلال بن ابي بردة حتى رايت كثيرا من تلك البقاع . فربما رايت في مقدار رمية سهم عددا من الانهار صغارا تجري في كلها

زواريق صغار ، ولكل نهر اسم ينسب به الى صاحبه الذي احتفره او الى الناحية التي يصب فيها واشباه ذلك من الاسامي فجوزت ان يكون ذلك في طول هذه المسافة وعرضها» .
ومن الجدير بالذكر ان منطقة البصرة تحفل حتى اليوم بآلاف من النهيرات الصغيرة شقت داخل بساتين النخيل لاروائها وتسمى (الشاخات) .

(١٦) يلاحظ ان كثيرا من انهار البصرة نسبت الى الاشخاص بالالف والنون وهي لغة بصرية مثال ذلك : حمدان ، عبدليان ، مغيرتان ، حمرانان ، محمدان ، مهلبان ، زيادان ، الخ . انظر البلاذري ص ٣٦٥ — ٣٧٨ .

(١٧) انظر البلاذري عن انهار البصرة ص ٣٦٥ — ٣٧٨ .

(١٨) ياقوت ج٤ ص ٨٤٥ .

(١٩) يقول الاصطخري (ص ٨١) «ولها ـاي الابلةـ نهر يعرف بنهر الابلة طوله اربعة فراسخ ما بين البصرة والابلة .. والابلة علىَ هذا البحر. وعلى ركن الابلة في نهر الابلة خور عظيم الخطر .. يعرف بخور الابلة .. والابلة مدينة صغيرة خصبة عامرة حد لها نهر الابلة الى البصرة وحد لها دجلة التي يتشعب منها هذا النهر عاطفا عليها وينتهي عمودها الى البحر بعبدان .
وقد جرت عدة محاولات حديثة لتحديد موضع الابلة لم تسفر عن نتائج وثيقة بعد . وما زالت قضية تحديد موضع الابلة مثارا لجدل لن يضع له حدا سوى اجراء تنقيبات اثرية في منطقة العشار والخورة وقرية كوت الزين (مقابل المحمرة) ، باعتبار ان هذه المواضع الثلاثة هي التي يخمن الباحثون انها مدينة الابلة القديمة .
انظر : الشيخ عبد القادر باش اعيان: البصرة في ادوارها التاريخية ص ٨ ، مجلة لغة العرب ج٣ ص ٦٣ (بحث لابراهيم فصيح) ، الدكتور مصطفى جواد : مجلة سومر ج٩ ص ١٦٦ ، بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، سومر م ٨ ج١ ص ٢٤٩ ، الدكتور صالح احمد العلي ، سومر م٨ ج١ ص ٨٢ .

(٢٠) يقال انه منسوب الى طبيب يهودي عاش في البصرة في القرن الثاني .

(٢١) البلاذري ص ٣٧٠ .

(٢٢) سهراب ، عجائب الاقاليم ص ١٣٦ ، انظر الدكتور صالح احمد

العلي ، خلط البصرة (مجلة سومر م٢ و٩ ج١ و٢) . حول تحديد مواضع انهار البصرة . وكذلك الدكتور طارق الكاتب ، شط العرب وشط البصرة والتاريخ (بصرة ١٩٧١) .

(٢٣) معجم البلدان ج٢ ص ٢٢٢ .

(٢٤) الاصطخري ص ٨١–٨٢ .

(٢٥) البلاذري ص ٣٠٢ .

(٢٦) نفس المرجع ص ٣٠٠

(٢٧) نفس المرجع ص ٣٠٠ .

(٢٨) نفس المرجع ص ٣٠٠ – ٣٠٢ . يقول ياقوت «البطيحة بالفتح ثم الكسر وجمعها البطايح ... وتبطح السيل اذا اتسع في الارض وبذلك سميت بطايح واسط لان المياه تبطحت فيها اي سالت واتسعت في الارض ، وهي ارض واسعة بين واسط والبصرة وكانت قديما قرى متصلة وارضا عامرة» . ثم يتحدث عن الفيضانات التي حدثت في ايام كسرى ابرويز «فتبطح الماء في تلك الديار والعمارات والمزارع فطرد اهلها عنها» (معجم البلدان ج١ ص ٦٦٨) .

(٢٩) Noldeke, P., 152.

الزط JATS قبيلة هندية سماها المؤرخون العرب الزط . ويختلف في كيفية مجيئهم الى العراق فيقال ان الحجاج نقلهم من السند الى البطيحة ، ويقال ايضا ان بهرام جور في رحلته الى الهند جلب معه الى فارس ١٢ الفا من اللور او الغجر . اما البلاذري فيقول انهم من بلاد السند وكانوا يربون الجاموس فأتى بهم الحجاج واسكنهم البطيحة (ص ٣٨٣) . اما المسعودي (التنبيه ٣٠٧) فيقول ان الزط هربوا من مجاعة اصابتهم في الهند وتنقلوا في كرمان وفارس والاهواز حتى حلوا بالبطيحة . انظر كذلك : S-A-ALI, A Short His-Sar, P., 283

(٣٠) الطبري ج٣ ص ٢٠٨٦ .

(٣١) ج٣ ص ٢٠٤١ .

(٣٢) نفس المرجع ج٣ ص ٢٠٤٢ .

(٣٣) نفس المرجع ج٣ ص ٢٠٣٠ .

(٣٤) نفس المرجع ج٣ ص ١٩٩١ و٢٠٣٠ .

(٣٥) نفس المرجع ج٣ ص ١٨٧٢ .

(٣٦) نفس المرجع ج٣ ص ٢٠٣١ .

(٣٧) نفس المرجع ج٣ ص ٢٠٣١ .
(٣٨) مروج الذهب ج٤ ص ١٨٤–١٨٧ .
(٣٩) ج٣ ص ١٧٤٩ .
(٤٠) الطبري ج٣ ص ١٧٤٩ ، ابن ابي الحديد ج٨ ص ٣١٣ .
(٤١) الطبري ج٣ ص ١٧٥٠ .
(٤٢) ابن كثير : البداية والنهاية ج١١ ص ١٩ .
(٤٣) الطبري ج٣ ص ١٧٥٢ .
(٤٤) نفس المرجع ج٣ ص ١٧٥٤ .
(٤٥) نفس المرجع ج٣ ص ١٧٥٤ .
(٤٦) ابن ابي الحديد ج٨ ص ٣١٤ .
(٤٧) الشهرستاني : الملل والنحل ج١ ص ١٦٤ .
(٤٨) الطبري ج٣ ص ١٧٥٣ .
(٤٩) ابن كثير ج١١ ص ١٩ .
(٥٠) الطبري ج٣ ص ١٧٦٨ .
(٥١) معجم الطبري :
(٥٢) الطبري ج٣ ص ١٧٦٤ .
(٥٣) نفس المرجع ج٣ ص ١٧٦٥ .
(٥٤) Noldeke, P., 155 .
(٥٥) الطبري ج٣ ص ١٧٨٥ ، ابن ابي الحديد ج٨ ص ٣١٥ .
(٥٦) الطبري ج٣ ص ١٧٨٥ .
(٥٧) ابن ابي الحديد ج٨ ص ٣١٤ .
(٥٨) الطبري ج٣ ص ١٨٣٥ .
(٥٩) نفس المرجع ج٣ ص ١٨٣٦ .
(٦٠) ياقوت : معجم البلدان ج١ ص ٨٩ .
(٦١) ابن الاثير ج٧ ص ٩٤ ، تاريخ ابن الوردي ج١ ص ٢٣٤ .
(٦٢) البلاذري ص ٣٦٥ .
(٦٣) ناصر خسرو : سفر نامة ص ٩٩ .
(٦٤) ابن الاثير ج٧ ص ٩٤ .
(٦٥) معجم البلدان ج٦ ص ١٠٤–١٠٥ .
(٦٦) الطبري ج٣ ص ١٨٣٧ .
(٦٧) معجم البلدان ج٢ ص ٤١ .
(٦٨) تاريخ ابن الوردي ج١ ص ٢٣٤ .

(٦٩) الطبري ج٣ ص ١٨٣٨ .
(٧٠) ابن الطقطقي : الفخري ص ١٨٣ .
(٧١) ابن ابي الحديد ج٨ ص ٣١٥ .
(٧٢) الطبري ج٣ ص ١٨٤٢ .
(٧٣) ابن ابي الحديد ج٨ ص ٣١٦ .
(٧٤) ابن الاثير ج٣ ص ٩٦ .
(٧٥) الطبري ج٣ ص ١٨٤٤ .
(٧٦) ابن ابي الحديد ج٨ ص ٣١٦ .
(٧٧) المقدسي : احسن التقاسيم ص ١٣٠ .
(٧٨) الطبري ج٣ ص ١٨٥٢ .
(٧٩) الطبري ج٣ ص ١٨٥١ . يقول ابـن ابي الحديد (ج٨ ص ٣١٧) : «ثم ندب ـاي صاحب الزنجـ محمد بن يزيد الدارمي وهو احد من كان صحبه بالبحرين للخروج الى الاعراب واستنفار من قدر عليـه منهم فاتاه منهم بخلق كثير» .
(٨٠) نفس المرجع ج٣ ص ١٨٤٧ .
(٨١) ابن الاثير ج٧ ص ٩٧ .
(٨٢) الطبري ج٣ ص ١٨٥٥ .
(٨٣) النجوم الزاهرة ج٣ ص ٤٨ .
(٨٤) المسعودي ج٤ ص ٢٠٧ .
(٨٥) نفس المرجع ج٤ ص ٢٠٨ .
(٨٦) ديوان ابن الرومي ص ٤١٩ـ٤٢٧ .
(٨٧) Pellat, Le Milieu Basrien, P., 234 .
(٨٨) الطبري ج٣ ص ١٧٨٣ .
(٨٩) نفس المرجع ج٣ ص ١٧٦٠ .
(٩٠) (المسعودي ج٤ ص ٢٠٧) . قدر عدد القتلى في البصرة بـ ٣٠٠ الف نسمـة .
(٩١) الطبري ج٣ ص ١٨٥١ ـ ١٨٥٢ .
(٩٢) نفس المرجع ج٣ ص ١٨٥٢ .
(٩٣) نفس المرجع ج٣ ص ١٨٥٢ .
(٩٤) نفس المرجع ج٣ ص ١٨٦٥ .
(٩٥) الطبري ج٣ ص ١٨٦٢ .
(٩٦) نفس المرجع ج٣ ص ١٨٦٥ .
(٩٧) الطبري ج٣ ص ١٨٧٠ .

(٩٨) الطبري ج٣ ص ١٨٦٨–١٨٦٩ .
(٩٩) معجم البلدان ج٢ ص ٣١ .
(١٠٠) الطبري ج٣ ص ١٨٧١ .
(١٠١) ابن الاثير ج٧ ص ١٠٢ .
(١٠٢) نفس المرجع ج٧ ص ١٠٢ .
(١٠٣) Noldeke, P., 161 .
(١٠٤) الطبري ج٣ ص ١٨٧٧ .
(١٠٥) نفس المرجع ج٣ ص ١٨٨٠ ، ابن الاثير ج٧ ص ١٠٣ .
(١٠٦) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج٢ ص ٣١٢ . الصفارون اسرة فقيرة من سجستان نسمع عنها اول ما نسمع حين برز فيها اخوان يعملان بصناعة الصفر هما يعقوب بن الليث وعمرو في سنة ٢٥٣ (٨٦٧م) . وقد ارتفع شأن الاخوين اسوة بكثير من الطموحين والمغامرين ، واستطاع يعقوب في سنة ٢٥٣ ان يفرض نفوذه على سجستان بعد ان بدد شمل الخوارج فيها ، واظهر التمسك بطاعة الخليفة ، وملك سجستان ثم ملك هراة وبوشخ وغير ذلك من الاطراف البعيدة مستغلا انشغال الخلافة بحرب الزنج .
ابن الاثير ج٧ ص ١٨٤–١٨٥ .
ابن خلدون م٤ ص ٨٦٦ وما بعدها .
(١٠٧) الطبري ج٣ ص ١٨٩٢ .
(١٠٨) ابن الاثير ج٧ ص ١١٥ .
(١٠٩) Noldeke, P., 261 .
(١١٠) الطبري ج٣ ص ١٩٠٨ .
(١١١) ابن خلدون ، العبر م٤ ص ٦٩٤ ، يقول المسعودي (مروج الذهب ج٤ ص ٢٠١) ان يعقوب بن الليث الصفار قال في مسيره الى العراق ابياتا تظهر انه خرج منكرا على المعتمد ومن معه من الموالي اضاعتهم للدين واهمالهم امر صاحب الزنج فقال :

خراسان احويها واعمال فارس
وما انا من ملك العراق بايس
اذا ما امور الدين ضاعت واهملت
ورقت فصارت كالرسوم الدوارس
.. الخ

(١١٢) Noldeke, P., 261 .
(١١٣) انظر ابن الاثير : ج٧ ص ٤١٤ ، ابن خلدون م٤ ص ٦٩٩ .

الفصل الخامس

أبو أحمد الموفق وحرب الزنج

ابو احمد الموفق ـ نقطة التحول في حرب الزنج ـ الموفق يحتل المنيعة والمنصورة والاهواز ـ سقوط المختارة .

ابو احمد الموفق :

كانت نتيجة طلبات الاتراك في ان يتولى امرة الجيش احد اخوة الخليفة والا يرأسهم واحد منهم ، لما كان بينهم من الخلاف ، ان ولى المعتمد أخاه أبا احمد طلحة بن المتوكل أمرة الجيش في صفر سنة ٢٥٧ • وفي يوم الاثنين ٢٠ ربيع الاول سنة ٢٥٨ عقد له على ديار مضر وقنسرين والعواصم ، ثم ولاه الكوفة وطريق مكة والحرمين واليمن وبغداد والسواد وكور دجلة والبصرة والاهواز وفارس • وفي ربيع الثاني خلع عليه الخليفة وسيره لحرب الزنج كقائد اعلى كما مر بنا (١)• ولم يلبث الموفق ان نال حظوة اخرى حين ولي العهد بعد جعفر المفوض بن المعتمد ، كما اضيفت اليه ولايات جديدة كأصبهان وقم والكرج

والدينور وكسكر والري وزنجان وخراسان وطبرستان وكرمان وسجستان والسند ، وعقد لكل من الاميرين الموفق والمفوض لواءآن اسود وابيض (٢) .

ولما كان الخليفة المعتمد شخصية غاية في الضعف والخور ، فقد غدا الموفق هو الغالب على امور الدولة جميعا . ويقول صاحب الفخري (٣) في ذلك : «وكانت دولة المعتمد دولة عجيبة الوضع ، كان هو واخوه الموفق طلحة كالشريكين في الخلافة للمعتمد الخطبة والسكة والتسمي بأمرة المؤمنين ، ولاخيه طلحة الامر والنهي وقود العساكر ومحاربة الاعداء ومرابطة الثغور وترتيب الوزراء والامراء . وكان المعتمد مشغولا عن ذلك بلذاته» . وبكلمة اخرى اصبح الموفق حاكم الدولة الفعلي الذي جمع بين يديه جميع السلطات الادارية والمالية والعسكرية . بل لقد حجر الموفق على الخليفة اللاهي وقيد تصرفاته الى حد انه احتاج الى ثلاثمائة دينار فلم يجدها ، وقال هذا الشعر المتألم الذي يرينا كيف انحدرت الخلافة من عليائها فاصبح الخلفاء مجرد اداة بيد من له السلطان الفعلي :

أليس من العجائب ان مثلي ... يرى ما قل ممتنعا عليه
وتؤخذ باسمه الدنيا جميعا ... وما من ذاك شيء في يديه
اليه تحمل الاموال طرا ... ويمنع بعض ما يجبى اليه (٤)

لقد كان الموفق صاحب عزيمة ثابتة وميل للغلبة والتنفذ ، وعلى يديه تمت الامور الهامة في هذا العهد (٥) . ولم يكن كخصمه صاحب الزنج من عامة الناس ، بل كان من سلالة الخلفاء فأبوه المتوكل وأمه ام ولد رومية تدعى أسحر (٦) . وكان امراء البيت المالك في عهده قد استناموا الى اللذة وأغرقوا في الترف وأفرطوا في انتهاب اللذات

وتبذير الاموال فأدركهم الوهن ، والقوا امورهم الى الجواري والخدم يصرفونها كيفما شاءوا • ومن هنا كان ابو احمد فلتة بين اقرانه في الحزم والعزم والشجاعة النادرة والجد المتواصل • كان ابو احمد رجلا موفور النشاط لا يعرف الهدوء ولا الاستقرار ، فكان يصرف شؤون الادارة الداخلية ، ويحارب اعداءه الزنج في البصرة ويقاوم توسع الطولونيين في الغرب ، ويجهد في دفع خطر الصفارين الذي طرق ابواب بغداد • وكان مثلا نادرا في اليقظة والحزم ، رصد حركات ولده ابي العباس (الخليفة المعتضد فيما بعد) ، وضيق الخناق على اخيه المعتمد ، وراقب شخصيات الدولة من الاتراك مراقبة شديدة حتى تضاءل نفوذهم وطواهم تحت جناحيه • وكان في اخر حياته عليلا مدنفا من شدة ما لاقى من التعب والمشقة ، وقد أعياه داء النقرس فلم يركن الى الراحة والدعة بل اشرف على شؤون الحرب وهو محمول على محفة من خشب يحمله اربعون رجلا بالتناوب (٧) • ولعل خير ما يعبر عن همته قوله لحماليه ذات يوم «قد ضجرتم من حملي، بودي انا اكون كواحد منكم احمل على رأسي وآكل وأنا في عافية» (٨) •

وكان الزنج قد استغلوا فرصة انشغال ابي احمد بحرب الصفار وخلو منطقة دجلة الادنى من القوات العباسية ، فأخذوا يغيرون على القرى والنواحي • وعلم الزنج ان البطيحة خالية من رجال السلطان لانصراف مسرور وجيشه عنها هربا من تقدم يعقوب الصفار نحو واسط ، فتوجهت قواتهم نحو البطيحة ودستميسان (٩) ، وأخذوا يتوسعون حول هذه الارجاء تساعدهم بعض القبائل العربية المستقرة في المستنقعات جنوب واسط (١٠) •

واستطاع سليمان بن جامع قائد الزنج ان يدخل واسط سنة ٢٦٤ فهجر السكان مدينتهم وخرجوا حفاة الاقدام هائمين على وجوههم فزعين «يأخذ احدهم عمامته ورداءه فيشد بها رجليه ويمشي ، وضربت

هذه المدينة بالنار (١١) » . ورافق هذا الاحتلال غارات خاطفة على القرى المجاورة كقرية حسان والحوانيت وتل رمانا وطهيثا والرصافة ، ادت الى كثير من التلف والاضرار في تلك الجهات(١٢) . وحصلت عدة اشتباكات بين سليمان بن جامع وقواد الدولة كان النصر فيها يتأرجح بين الفريقين ، غير ان الزنج كسبوا في سنة ٢٦٥ (٨٧٩ م) نصرا مؤزرا بدخولهم النعمانية فأحرقوا سوقها وأكثر منازلها ، وبلغوا جرجرايا من اعمال النهروان الاسفل بين واسط وبغداد (١٣) ، اي على بعد أقل من سبعين ميلا تحت بغداد ، بحيث فر السكان المذعورون الى العاصمة (١٤) .

وبينما كانت هذه الاحداث تترى ، كان الموفق في مكة حيث نفاه اليها الخليفة المهتدي ، فاستدعاه المعتمد حين عظم نفوذ الزنج وبان خطرهم . وهذا يدل على امرين ، اولهما : ان المعتمد كان يدرك انه لا يستطيع بنفسه ان يبعد الخطر الذي يهدد الخلافة ، وثانيهما : انه كان يقدر الموفق حق قدره ويعرف له كفاءته العسكرية التي سرعان ما اسفرت عنها الايام القادمة . والحق ان الموفق ما لبث ان غلب على الخليفة نفسه ـ كما أسلفنا ـ وأنعش آمال الاسرة العباسية في امكان تحقيق الاصلاح الاداري ، ذلك الاصلاح الذي لم يكن ممكنا على يد المعتمد الذي انشغل بغير تدبير المملكة وانقاد للهوه ولذاته مما جلب عليه نقمة المعاصرين وسخطهم (١٥) .

كانت المهمة التي انيطت بالموفق شاقة عسيرة ، فقد نفذت موارد الدولة من جراء حرب الزنج وتثاقل الناس عن دفع الضرائب ، واضطرب المشرق وتقاعس ولاته عن الانصياع للسلطان ودفع ما عليهم من الخراج (١٦) . واضطر الموفق الى الالتجاء لابن طولون يشكو اليه حاجته الى المال ، خاصة وقد تأخرت اموال مصر (١٧) . وقد ارسل الموفق في هذه المهمة تحريرا خادم المتوكل الذي طلب الى ابن طولون

حمل الاموال والطراز والرقيق والخيل والشمع . وفي الوقت نفسه كتب المعتمد سرا الى ابن طولون يقول «ان الذي حرك اخراج تحرير اليك ابو احمد وقد انفذ تحريرا عينا عليك ومعه كتب الى سائر قوادك بالتضريب عليك (١٨) » . وهذا دليل واضح على ان الانسجام لم يعد قائما بين الخليفة وأخيه . اما ابن طولون ـ الذي كان يعلم ايهما الحاكم الحقيقي ـ فقد بعث مع رسول الموفق بمبلغ كبير من المال وشيّعه بنفسه الى العريش . غير ان الموفق لم يكتف بما ارسله ابن طولون فكتب اليه كتابا جافا شديد اللهجة يطلب منه المزيد ، وحاول ان يتخذ اجراء لعزله عن ولاية مصر ، وهكذا اصبحت الخصومة لا مناص منها بين الحليفين السابقين . ومما زاد العداوة اشتعالا ذلك الكتاب العنيف الذي رد به ابن طولون يقول : ان في ولايته مائة الف جندي قد يستعين بهم في حرب الموفق ان أعوزه الامر ، ويستطرد قائلا : انه يستكثر من العدد والعمال لصيانة ولايته والدفاع عنها (١٩).

وأوعز ابو احمد الى موسى بن بغا بعزل ابن طولون عن مصر وتقليدها ماجور التركي والي دمشق (٢٠) ، وحين رفض هذا الاخير ان يقف في وجه ابن طولون سار ابن بغا بنفسه الى الرقة لقتاله (٢١) ، واتخذ ابن طولون للامر عدته فبنى حصنا منيعا في الجزيرة وجهز اسطولا حربيا ضخما (٢٢) . وأقام ابن بغا بالرقة عشرة اشهر يستعد للقتال غير ان ظروفه كانت سيئة فعاد الى العراق ، حيث توفي معتلا سنة ٢٦٣ .

ازداد نفوذ ابن طولون وتوسعت مملكته بعد ان استتب له الامر في الثغور الشامية . وحدث ان توفي ماجور والي الشام فاستولى ابن طولون على الرملة ودمشق وحمص بين سنتي ٢٦٤ـ٢٦٥ ، ودخل انطاكية ثم استولى على طرسوس (٢٣) . وحين استقر في دمشق ورده كتاب من المعتمد ينبئه بعزمه على الالتجاء اليه (٢٤) . ان قصة التجاء

الخليفة الى ابن طولون تدلنا على مقدار ما كان يعانيـــه من العنت والضيق ، لذلك انتهز المعتمد فرصة انشغال الملوفق بحرب الزنج فخرج من سامراء متظاهرا بالصيد في جمادي الاول سنة ٢٦٩ ، وأقام يتصيد بالكحيل ثم اتجه نحو الرقة حيث ارسل ابن طولون من ينتظره هناك. غير ان عامل الموصل اسحق بن كنداج قبض عليه وحملـه الى سامراء محجورا عليه (٢٥) ، وظل من ذلك اليوم تحت رقابة اخيه الصارمة لا يملك من امره قليلا او كثيرا حتى قال :

اصبحت لا أملك دفعـــا لمـــا ... أســام من خسف ومن ذلـة
تمضي أمور الناس دوني ولا ... يشعرنـي في ذكرهـــا قلتي
اذا اشتهيت الشـــيء ولوا به ... عني وقالوا ها هنـا علتي(٢٦)

واستغل ابن طولون حجر الموفق على الخليفة فأثار حفيظه الرأي العام ضده ، ووفق الى عقد اجتماع خطير حضره القضاة والفقهاء قرر خلع الموفق عن ولاية العهد ودعوة الناس الى حربه ، غير ان هذا القرار كان مناورة سياسية فحسب لم تؤد الى نتيجة ايجابية .

يفيض المؤرخون في وصف محاسن الموفق ومحامـده فيذكرون الشيء الكثير عن حيويته ونشاطه وشجاعته ، ويقولون انه كان عادلا حسن السيرة يجلس للمظالم فينصف الناس ، وانـه كان عالما بالادب والنسب وسياسة الملك (٢٧) . ولا ندري كيف نوفق بين كل ذلك وبين ما يرويه المؤرخون من انه امر كاتبه ذات يوم بصنع ثلاثين الف ثوب من جنس ثوب كان يعجبه (٢٨) ، في الوقت الذي كانت خزينة الدولـة تشكو العوز (٢٩) .

نقطة التحول في حرب الزنج :

نستطيع ان نعتبر سنة ٢٦٦ (٨٧٩ م) بداية قوة العباسيين وأفول

نجم الزنج كقوة عظيمة هددت مناطق حيوية من املاك الخلافة العباسية طوال العشر سنوات الماضية .

ان انتهاء امر الصفارين ترك للموفق مجالا لتركيز قواه لخوض معركة رهيبة مع الزنج استخدم فيها كل ما في طوق الدولة من العدد والعدد . وكان الزنج قد دخلوا واسطا والنعمانية واصبحوا على بعد سبعين ميلا جنوب بغداد ، اي انهم اخذوا يهددون العاصمة فعلا . على ان المد اخذ يتجه اتجاها اخر بعد سنة ٢٦٥ ، حين حشد الموفق كل موارد الدولة لانهاء هذه «الثورة السوداء» .

ان الاستعداد لحملة حاسمة ضد الزنج يتطلب خصائص غير عادية في قائدها ، اذ يجب ان يتحلى بالحذر فضلا عن الشجاعة ، بجانب ضمان التموين الكافي والاموال الطائلة للصرف على الجند ، والبراعة في الدعاية ، والحذق في معرفة «طوبوغرافية» الارض ، وتوفير العدد الكافي من المهندسين المدنيين لنصب القناطر والجسور وهدم الاسوار.

لم يحضر الموفق بنفسه لحرب الزنج الا بعد مرور عام تقريبا ، بل اوكل هذا الواجب ــ واجب طرد الزنج من المقاطعات الواقعة قرب واسط ــ الى ابنه ابي العباس في ربيع الآخر سنة ٢٦٦ . واستعرض ابو احمد جيش ابنه وأبدى رضاه التام ، وكان هذا الجيش يتكوّن من عشرة آلاف من الفرسان والرجالة «في احسن زي وأجمل هيئة وأكمل عدة (٣٠) » . وكان يرافق الجيش اسطول مكوّن من الشذوات والسميريات وهي من السفن الحربية بجانب عدد وفير من المعابر وكلها متقنة الصنع . وكانت هذه السفن ذات المجاذيف مختلفة في الحجم وفي الغرض ، اما الكبرى فاستخدمت للمواصلات وكقلاع عائمة ، وأما الصغرى (وقسم منها يحمل عشرين جذافا وآخر اربعين) فاستخدمت للهجوم الخاطف (٣١) . ومن ثم تحرك ابو العباس نحو جرجرايا بعد ان عبّأ جيشه تعبئة دقيقة ثم استقر في فم الصلح ــ وهو

نهر كبير فوق واسط (٣٢) ــ على مقربة من العدو .

كان ابو العباس شابا في الثالثة والعشرين من عمره ، لذلك لم يقدره الزنج حق قدره وظنوا انه فتى حدث فاستصغروا شأنه (٣٣) . غير انه استطاع ان يجبر قائد الزنج سليمان بن جامع على الانسحاب والتقهقر في اول اصطدام جرى له معه، وأبى الا ان يصلي صلاة الجمعة في واسط حيث استأمن اليه خلق كثير (٣٤) . وقرر ابو العباس ان يتخذ لنفسه معسكرا أسفل واسط ليأمن الزنج من فوقه ، وكان بعض قواده قد اشاروا عليه باتخاذ مقامه فوق واسط فامتنع عن ذلك وأعرض عن مشورتهم . اما الزنج فقد اخذوا بدورهم يعدون انفسهم للموقعة القادمة فحشد سليمان بن جامع اصحابه وقسمهم ثلاث فرق ، سلكت كل واحدة منها طريقا . غير ان جواسيس ابي العباس نقلوا اليه خطة الزنج هذه ، وأخبروه عن الكمائن التي أعدوها لاصطياد جند العباسيين . والحق ان زهاء عشرة آلاف زنجي كمنوا في برتمرتا ومثل هذا العدد في قس هثا ، ومن ثم دارت الهزيمة على الزنج في الموقعة التي جرت ما بين قرية الرمل والرصافة وانسحبوا الى طهيثا ، على حين عاد ابو العباس الى معسكره في العمر قرب واسط (٣٥) . وظل الزنج عشرين يوما بعيدين عن الميدان مكتفين بارسال طلائعهم كل ثلاثة ايام وعلى رأسها الجبائي لمعرفة حركات الجيش العباسي . كذلك لجأ هذا القائد الزنجي الى حيلة بارعة للايقاع بجند ابي العباس ، فحفر آبارا عند نهر سنداد غطاها بسفافيد من الحديد تعلوها صحائف البواري (٣٦) على طول الطريق الذي يسلكه الفرسان ، وقد لقي العباسيون متاعب شديدة من هذه الكمائن واضطروا الى تحاشي الطريق (٣٧) . ويبدو ان سليمان بن جامع شعر بقوة الجيش العباسي بدليل انه امتنع عن الحرب مدة شهر اخر وارسل الى صاحب الزنج يطلب امداده بسميريات « لكل واحدة منهن اربعون مجذافا ، فوافاه من ذلك في مقدار عشرين يوما

اربعون سميرية في كل سميرية مقاتلان ومع ملاحيها السيوف والرماح والتراس (٣٨) » .

ويبدو ان قوة الزنج ازدادت الى حد كبير ، فقد اخذوا يظهرون في الميدان كل يوم ، وكانت خطتهم ـ مدة شهرين ـ تتلخص في الاغارة السريعة والانسحاب السريع ، يلجأون ـ خلال ذلك ـ الى ازالة القناطر واحراق السفن العباسية . وقد لقي الجيش العباسي أشد العنت من هذه الغارات ، وحين اوغل ابو العباس في نهر مازرون ووصل الى قرية الحجاجية ـ من قرى واسط ـ ليتعرف الطرق التي تسلكها سفن الزنج ، تكاثر حوله هؤلاء من كل جهة حتى بلغ عددهم الفين وانسحب بعد ان تعرضت حياته للخطر (٣٩) . وقسم الزنج قواتهم الى ثلاث فرق تحصنت الاولى بقيادة سليمان بن جامع في طهيثا والثانية بقيادة الشعراني في سوق الخميس والثالثة بقيادة نصر السندي بالصينية، وظلوا يقومون من هذه الجهات بغارات على المناطق المجاورة ، غير ان الجيش العباسي استطاع بعد حرب قصيرة ان يستولي على الصينية ويجلي الزنج عنها (٤٠) . كما ان أبا العباس اوقع بفرقة زنجية اخرى بعبدسي كان يقودها ثابت بن ابي دلف ولؤلؤ ، وقد أسر الاول وقتل الثاني واستولى العباسيون على هذه الناحية . لكن العباسيين اخفقوا في محاولتهم احتلال مدينة المنيعة التي كان الزنج قد بنوها كعاصمة زنجية في سوق الخميس في نواحي واسط (٤١) .

وانه على الرغم من الشجاعة التي اظهرها ابو العباس في هذه الحرب ، وعلى الرغم من انه كسب بعض الانتصارات المحلية واستولى على كثير من المواضع والقرى واستنقذ كثيرا من الاسرى والسبايا ، واستولى على بعض سفن عدوه وحصل على اموال وغنائم وفيرة ، فان الحرب ظلت مائعة دون نتيجة حاسمة حتى حضر ابو احمد الموفق بنفسه في ١١ صفر سنة ٢٦٧ (تشرين الاول ٨٨٠ م) لادارة دفة القتال .

الموفق يحتل المنيعة والمنصورة والاهواز :

تناهى الى ابي احمد ان صاحب الزنج امر قواده بتركيز كل قواتهم وقذفها في وجه ابي العباس دفعة واحدة ، فغادر بغداد في سنة ٢٦٧ لنجدة ابنه في جيش ضخم واسطول مكوّن من الشذوات والسميريات والمعابر (٤٢) . وسار محاذيا دجلة مارا بالمواضع التالية : بغداد ـ الفرك ـ رومية المدائن (٤٣) ـ السيب ـ دير العاقول ـ جرجرايا ـ قني ـ جبل ـ الصلح ـ واسط . وعلى مقربة من واسط تلقاه ابنه فنقل اليه انباء الحرب وأخبار الميدان وعلى ضوئها اخذ يرسم الخطة الحربية القادمة (٤٤) .

كان هدف الموفق ان يحتل المنيعة مركز الزنج قرب واسط على نهر يتفرع من دجلة يدعى براطق ، وفي المكان الذي يسمى «سوق الخميس (٤٥)» . وكانت المنيعة محصنة بسور عظيم يحيط بها ويمتد مسافة فرسخين (ستة اميال) . وتتلخص خطة الموفق لاحتلال هذه الملدينة في انه سار في النهر باسطوله وجعل الفرسان يحاذونه على الشاطىء الشرقي لدجلة ، حتى اذا ما وصل الى نهر براطق بث الفرسان على جانبيه ، وأمر ابنه ان يتقدم بالسفن على حين تبعه هو «في الشذا بعامة الجيش»، اما الرجالة فقد ساروا على الضفتين الى جانب الفرسان. وتقابل الفريقان على ابواب «المنيعة» فانهزم الزنج ودخل الجيش العباسي المدينة في ٨ ربيع الاخر سنة ٢٦٧ (٤٦) ، وفي اليوم التالي أباح الموفق المدينة المحتلة لجنده فنهبوا ما فيها من أمتعة وأموال ، وهدم سورها وطم خنادقها وأحرق ما كان بقي فيها من سفن الزنج (٤٧). وقد آلمت هذه الكارثة صاحب الزنج اشد الايلام ، حتى عبر عن عظم الكارثة بقوله وهو يصف الكتاب الذي جاء بالنبأ انه «ورد بقاصمة الظهر (٤٨) » . وعاد الموفق الى معسكره ببر مساور بعد ان استولى

على ما في الرساتيق والقرى التي كانت في يد الشعراني من غـــلات الحنطة والشعير والرز فباعه وصرف ثمنه في اعطيات مواليه وغلمانـه وجنـده (٤٩) .

ثم تقدم الموفق الى طهيثا حيث تقع المنصورة وهي الحصن الثاني للزنج ، الذي بناه سليمان بن جامع ، وسلك نهر بردودا المؤدي اليها ، وقد اصطحب معه كثيرا من العمال والآلات التي تسد بها الانهار وتصلح الطرق وذلك في ربيع الاخر سنة ٢٦٧ . ومن الجدير بالذكر ان الموفق كان يحرص في كل تقدم على تأمين مواصلاته وضمان مؤخرته مما يجعل مهاجمته من الخلف امرا مستحيلا ، بالاضافة الى عنايته الدائمة ببناء السدود واستخدام الانهار ، حتى كان المهندسون المدنيون يلعبون دورا مهما في حركات جيشه (٥٠) . وفي ٢٧ ربيع الاخر دخـل الموفـق واصحابه طهيثا ، وفي خلال الموقعة قتل الجبائي وكان من اعظم قواد صاحب الزنج واكثرهم طاعة له (٥١) . واستخدم الموفق في هذه المعركة كل حذقه وبراعته في التنظيم الحربي ، فعبأ اصحابه وجعلهـم كتائب يتلو بعضها بعضا فرسانا ورجالة ، وسيّر معه السفن في النهر الـذي يخترق مدينة طهيثا وهو نهر المنذر . وحين بلغ سور المدينـة رتب اصحابه كلا في موضعه استعدادا للهجوم المقبل . وكان سليمان بـن جامع قد حفر أمام مدينة المنصورة خمسة خنادق وجعل أمام كل خندق سورا ، لكن هذا التحصين لم يقف في وجه الموفق فلم يلبث ان اقتحم المدينة (٥٢) . اما سليمان بن جامع قائد الزنج فقد فر في نفر مـن اصحابه واستنقذ الموفق عددا كبيرا من الاسرى قدّره الطبري (٥٣) بعشرة آلاف وابن الجوزي (٥٤) بخمسة عشر الفا ، وأقام ابو احمـد بطهيثا سبعة عشر يوما وأمر بهدم سور المدينة وردم أنهارها (٥٥) .

ترك الموفق جزء من جيشه في واسط تحت امرة ابنه هارون وسار الى الاهواز حيث سبقه ابو العباس الى هناك . وحين بلغ هذا الخبر

صاحب الزنج كتب الى المهلبي ـ وكان في الاهواز مع ثلاثين الفا ـ يأمره بان يترك كل ما معه من المؤن والمتاع ويتوجه اليه في الحال . ولما كان صاحب الزنج ينوي تركيز كل قواته في مكان واحد فقد امر بهبوذ بن عبد الوهاب بترك اعماله في الفندم (٥٦) والباسيان (٥٧) والتوجه اليه . ومن ثم وقع كل ما في هذه المناطق من الحبوب والتمر والمواشي في يد الموفق ، فكان في ذلك قوة له وضعف للزنج ، لانهم اخذوا منذ الان يقاسون قلة الغذاء وصعوبة التموين . واستطاع الموفق في الوقت نفسه فتح السدود والسكور التي شيدها الزنج في دجلة العوراء والانهار الاخرى لعرقلة سير السفن ، ثم دخل جنديسابور ومنها الى تستر حيث ارجع السيادة العباسية الى هذه النواحي ، كما اتصل بمحمد بن عبيد الله الثائر الكردي وعقد معه صلحا فأمن جانبه. وهكذا اخذت مدن الاهواز تنهار سريعا امام هجمات الموفق فاستولى على المنطقة كلها « وكشف الزنج عنها (٥٨) » .

رحل الموفق عن قصر المأمون في الجانب الغربي من دجيل الاهواز متجها نحو «فرات البصرة» وهو مركز رئيس من مراكز الزنج، مارا بقورج العباس والجعفرية والبشير حتى وصل نهر المبارك احد الانهار المتفرعة من شط العرب يوم السبت ١٥ رجب سنة ٢٦٧ (١٨ شباط ٨٨١ م) . وكان قد امر ولديه ابا العباس وهارون ان يسبقاه الى هذا الموضع لكي يجابه الزنج بقواته كلها في ملحمة فاصلة . وكان اول ما فعل الموفق بعد ان استقر في معسكره الجديد قرب البصرة ان كتب الى صاحب الزنج يدعوه الى « التوبة والانابة الى الله تعالى مما ركب من سفك الدماء وانتهاك المحارم وخراب البلدان والامصار واستحلال الفروج والاموال وانتحال ما لم يجعله الله له اهلا من النبوة والرسالة ، ويعلمه ان التوبة له مبسوطة والامان له موجود . فان هو نزع عما هو عليه من الامور التي يسخطها الله ودخل في جماعة المسلمين محا ذلك ما سلف

من عظيم جرائمه وكان له به الحظ الجزيل في دنياه (٥٩) » • غير ان الموفق لم يستلم اي رد على هذا الكتاب الذي لا بد وقد زاد من اصرار صاحب الزنج على المضي في حركته ، خاصة وقد طفح بالتحدي والتهجم •

اهتم الموفق بمشكلة التموين اهتماما عظيما ، لانه كان يعلم حق العلم ان اغداق الطعام والارزاق على جنده هو دافع حيوي يدفعهم الى المضي في هذه الحرب بحماس في تلك المناطق الوعرة • لذلك كتب الى النواحي يطلب الميرة ، فلم تلبث القوافل ان وافت بها ، مما حسن احوال الجنود ودوابهم (٦٠) • وانهالت على ابي احمد ــ كما يقول المؤرخون ــ كثير من الكتب يطلب فيها الزنج الامان، ووافاه الف زنجي فضمهم الى جيشه واجرى لهم الارزاق •

اقتصر سلطان الزنج منذ الان على مدينة المختارة وما جاورها من أرجاء ابي الخصيب ، وقبل ان يشن الموفق هجومه عليها قرر ان يتخذ لنفسه معسكرا حصينا على مقربة من حاضرة الزنج • وفي ٢٤ رجب اختار مكانا على ضفة نهر جطي من الانهار المتفرعة من شط العرب (من جانبه الشرقي) ، فرحل اليه الناس واصلحت الطرق وانشئت القناطر (٦١) ، وظل ابو احمد في هذا الموضع يعد العدة دون حرب حتى ١٤ شعبان سنة ٢٦٧ • ويبدو ان هذا المعسكر لم يكن صالحا لادارة الحركات العسكرية ضد قاعدة الزنج فانتقل ابو احمد في منتصف شعبان الى معسكر جديد بازاء مدينة الزنج على ضفة شط العرب ، وبنى هنا مدينة دعاها الموفقية (٦٢) ، لكي يكون على مقربة من الزنج، ولكي يستطيع ضرب حصار اقتصادي على «المختارة» فيقطع عنها المؤن ويحولها الى معسكره (٦٣) •

ولكي يضمن الموفق التموين ، شجع التجارة وكتب الى عماله يأمرهم بارسال الصناع والتجار بالاموال والبضائع ، ومن ثم نمت

الموفقية وكثرت فيها الاسواق والمنازل وازدحمت بالسكـــان (٦٤) • كذلك اخذ العمال يحملون الضرائب الى بيت المال الذي اوجده الموفق في مدينته هذه • وفي الوقت نفسه بعث برسله الى سيراف وجنابا من مدن الخليج العربي يطلب الاكثار من بناء السفن ، لكي يستخدمهـا في الحرب والتموين والحصار• كذلك انتدب الموظفين الاكفاء والكتّاب والمحاسبين المهرة للعمل في دواوين مركزه الجديد هذا (٦٥) •

ازدهرت مدينة الموفقية بسرعة ، فلم يكد يمضي شهر واحد حتى اخذت القوافل والسفن تحمل كميات هائلة من الذخائر والمؤن والامتعة اليها • وقدم التجار يحملون صنوف التجارات والبضائع ، فشيـدت الاسواق الواسعة وامتلأت بالباعة والمتجهزين من كل مكان (٦٦) • واتهزت السفن فرصة اعادة الموفق المواصلات النهرية بعد ان قطعهـا الزنج نحو عشر سنوات ، فأخذت تتدفق على نواحي البصرة بكثرة • كذلك بنى الموفق مسجدا جامعا كبيرا وأمـــر الناس باقامة الصلاة فيه (٦٧) ، واتخذ دورا لضرب النقود فأصدر الدنانير والدراهم لكي تستخدم في التبادل التجاري (٦٨) • لقد ضمت هذه الحاضرة الجديدة «جميع المرافق وسيق اليها صنوف المنافع حتى كان ساكنوها لا يفتقدون بها شيئا مما يوجد في الامصار العظيمة القديمة • وحملت الاموال وأدر للناس العطاء في اوقاته فاتسعوا وحسنت احوالهم ورغب الناس جميعا في المصير الى المدينة الموفقية والمقام فيها » (٦٩) •

ووزع ابو احمد قواته في هذا المعسكر توزيعا دقيقا فجعل نصيرا عند نهر جوي كور ، وزيرك التركي ما بين نهر ابي الخصيب ونهـــر المغيرة • اما مضارب ابي احمد وأبنيته فكانت عند دير جابيل ، ووضع فرقة كبيرة مكونة من الاتراك والخزر والروم والديالمة والطبريةوالمغاربة والزنج على نهر هطمة بقيادة مولاه راشد ، كذلك ترك فرقة يقودهـا مسرور البلخي على نهر سنداذان ، وأخرى يقودها الفضل ومحمد ابنا

موسى بن بغا على نهر هالة ، على حين رابط موسى دالجويه وبغراج التركي على نهر جطي • ومعنى ذلك ان الموفق وزع جيشه في منطقة واسعة جدا تكون «كماشة» تحيط بمدينة الزنج ، مما سهل حصارها ومنع وصول التموين اليها (٧٠) • غير ان الزنج أثبتوا بأنهم خصم لدود رغم كل هذه التدابير ، فقد اغاروا ذات ليلة على احدى هذه الفرق العباسية ونكلوا بها وأسروا جماعة من جندها ، مما دعا الموفق الى ان يشدد الرقابة والحراسة على اطراف معسكره ، كذلك قاسى الموفق أشد المتاعب من الكمائن التي طالما برع الزنج في نصبها للفرق العباسية بين الادغال والنخيل ، فقد كانت الفرق الزنجية تتصدى للسفن القادمة بالميرة من الاهواز ليلا فتستولي عليها ، على الرغم من هذه الاجراءات الدقيقة التي اتخذها الموفق (٧١) • بل ان الزنج كثيرا ما استولوا على طرق المواصلات التي تنقل عبرها القوات العباسية ، وكثيرا ما هاجموا مؤخرة الجيش العباسي •

على ان خطة الموفق التي كانت ترمي الى فرض « الحصار الاقتصادي» على الزنج اخذت تأتي أكلها على مر الايام ، وقد ادت حراسة القوات العباسية لضفاف الانهار وطرق المواصلات الى وصول الاساطيل من الخليج العربي ، مما ادى الى كثرة المؤن في المعسكر العباسي وندرتها في معسكر الزنج • وما حلت سنة ٢٦٨ حتى اخذ الزنج يقاسون المجاعة وندرة الاقوات مما ادى الى شل قوتهم واضعاف صفوفهم على نحو ما سنرى •

سقوط المختارة :

استغرق حصار المختارة عاصمة الزنج المدة الواقعة بين سنتي ٢٦٧–٢٧٠ اي حتى نهاية الثورة • ففي ذي الحجة سنة ٢٦٧ (سنة

٨٨١ م) قام ابو احمد بهجوم على هذه المدينة ، واستطاعت قواته ان تشق طريقها اليها وتعمل فيها التخريب الا انها انسحبت في نفس الليلة. وكانت المشكلة التي تعترض الموفق في محاولته احتلال المختارة انها محصنة بالاسوار التي كان يعلوها الزنج بالمجانيق والعرادات والمقاليع، فضلا عن انها كانت محصنة بنهر ابي الخصيب «وهو نهر عريض غزير الماء» (٧٢) ، كان اصحاب الموفق يجدون صعوبة في اقتحامه . وفي هذا الهجوم استطاع الجند العباسيون ان يثلموا عدة ثلمات في سور مدينة الزنج بمعاولهم وآلاتهم . وعلى الرغم من ان اصحاب الموفق اوغلوا في المختارة حتى وصلوا الى ميدانها الرئيس واستطاعوا ان يقتلوا ويحرقوا المنازل والاسواق ، فانهم عادوا مع الغروب يحملون معهم رؤوس القتلى . وفي ١٦ ربيع الاخر سنة ٢٦٨ عبر الموفق الى المختارة مصطحبا ابنه ابا العباس وخيرة قواده وضم الى كل منهم المهندسين والعمال وأمرهم ان يعملوا على هدم السور دون ان يدخلوا المدينة . ورافق هذه الحملة كثير من السفن المكتظة بالرماة لحماية مؤخرة المهاجمين ، وكانت خطة الموفق تهدف الى الاحاطة بالمدينة من جميع أطرافها فأرسل ابنه ابا العباس الى ركن من اركانها وقصد هو موضعا من السور بين نهر منكي ونهر ابن سمعان وأرسل قائده صاعدا الى فوهة نهر جوي كور يساعده زيرك ، على حين كلف مسرورا البلخي بأن يتجه ناحية نهر الغربي . وقد وفقت هذه الفرق الى هدم عدة مواضع من سور «المختارة» ودخل العباسيون المدينة فعلا غير عابئين بنصيحة قائدهم الاعلى ، وتوغلوا في طرقها ومسالكها يحرقون ويخربون . الا ان جند العباسيين تشعبت بهم المسالك فخرج عليهم الزنج من مكانهم فتقهقر اصحاب ابي احمد نحو شط العرب لا يلوون على شيء بعد ان تكبدوا خسائر فادحة في الارواح والاموال والاسلحة. ومما يدل على عظم الكارثة التي لحقت بالجيش العباسي ان الموفق

جمع جنده «وعذلهم على ما كان منهم من مخالفة امره والافتيات عليه في رأيه وتدبيره وتوعدهم بأغلظ العقوبة ان عادوا لخلاف امره» (٧٣).

ادرك الموفق انه من المتعذر عليه العبور الى معسكر صاحب الزنج في الاوقات التي تهب فيها الريح وتتحرك امواج شط العرب ، ففكر ان يتخذ له معسكرا جديدا في الجانب الغربي من هذا النهر بين دير جابيل ونهر المغيرة وأمر بقطع النخيل وتحصين الموضع بالخنادق والاسوار ليأمن غارات عدوه . وقد جزع علي بن محمد لقرب معسكر الموفق من مدينته ، فأمر اصحابه ان يعرقلوا اعمال البناء ، واستغل هبوب الريح وعصفها فرمى جيش الموفق الذي انتقل الى الجانب الغربي بكل قواته وسبب له هزيمة منكرة ، فلم ير الموفق بدا من هجر معسكره الجديد والاكتفاء بمحاولة هدم السور . والحق ان خطة ابي احمد اقتصرت في هذه المرحلة على غارات خاطفة تهدف الى ازالة القناطر وتخريب الجسور التي تصل المختارة بما جاورها ، وازالة وسائل الدفاع مستخدما السلالم والمناشير وآلات الحصار والنار اليونانية والرصاص المذاب بمساعدة الحراقات (سفن النار) (٧٤) . واستطاع الجند العباسيون ازالة قنطرتين كبيرتين على نهر منكي كان يسلكها الزنج لمهاجمة مؤخرة جيش الموفق ، وحمل ابو احمد على سور المدينة فهدم جزء منه حتى وصل الى داري ابن سمعان وسليمان بن جامع من كبار قواد الزنج فهدمهما وانتهب اصحابه ما فيهما ، كذلك هدم سوق المدينة المطلة على شط العرب التي دعاها الزنج «الميمونة» (٧٥) .

ركز الموفق همه في هدم المسجد الجامع في المختارة ، فدافع عنه الزنج دفاع المستميت ووقفوا صفوفا متراصة يتلقون الطعنات والضربات «حتى لقد كانوا يقفون الموقف فيصيب احدهم السهم او الطعنة او الضربة فيسقط فيجذبه الذي الى جنبه ويقف موقفه اشفاقا

من ان يخلو موقف رجل منهم فيدخل الخلل على سائر اصحابه» (٧٦)، غير ان العباسيين استطاعوا بعد عدة ايام وبفضل عدد كبير من السلالم وآلات الحصار ان يهدوا المسجد ويحملوا منبره الى الموفقية فرحين جذلين . واستمر الموفق يهدم السور ما بين داري انكلاي والجبائي (من زعماء الزنج) ، كما انهارت دواوين الزنج وانتهبت خزائنهم ، وكان ذلك في يوم ذي ضباب كثيف حتى لم يعد الرجل يرى صاحبه (٧٧) .

وحين قدر الموفق ان النصر بات قاب قوسين او ادنى ، اصابه سهم في صدره اطلقه عليه عبد رومي يدعى قرطاس في ٢٥ جمادي الاولى سنة ٢٦٩ ، مما عاقه عن القيادة فتقهقر الى الموفقية . وهكذا اضطربت شؤون القيادة العباسية ، وتوقفت العمليات الحربية فترة اتاحت للزنج ان يستجموا ويعيدوا تنظيم صفوفهم . وما كاد الموفق يتماثل للشفاء في شعبان ٢٦٩ ويعاود حرب الزنج ، حتى جاءته الاخبار بهرب المعتمد من سامر ملتجئا الى ابن طولون ، ومن ثم انصرف عن الحرب ليحبط خطة الخليفة واستطاع اعادته الى عاصمته كما تقدم .

ظلت قلعة الزنج الرئيسة ـ المختارة ـ تقاوم ثلاث سنوات كوامل الحصار المضروب عليها من جانب الموفق، والحق ان الجراح التي اصابت الموفق أخرت امر احتلال المختارة فصلا كاملا (٧٨) . ولا ريب ان جواسيس صاحب الزنج اخبروه بحراجة موقف الموفق فأعاد ما تهدم من سور المدينة وعبأ قواته تعبئة جديدة (٧٩) .

وفي شعبان ٢٦٩ (٨٨٣ م) هاجم الموفق المختارة من جديد بعد ان تخلص من مشاكله ، فتمكن اصحابه من احراق بعض قصور صاحب الزنج وانتابها . وكاد موقف الزنج يسوء للغاية لولا ان عمد قائدهم الى الحيلة فأجرى الماء على الاراضي التي كان يسلكها الجيش العباسي، كما حفر الخنادق ليعيق تقدم الجيش المهاجم، واهتم باشادة التحصينات حول قصره بصورة خاصة. وقد حاول الموفق ردم هذه الخنادق فدارت

بين الفريقين حرب عنيفة كثر فيها القتلى والجرحى. وبذل الزنج قصارى جهدهم لدفع الخطر عن دار زعيمهم خاصة وعن مدينتهم عامة، واستعانوا بالحجـــارة والنشاب والمقاليع والمجانيـــق والعرادات والرصاص المذاب (٨٠) .

ولكي يتلافى الموفق هذا المأزق الحرج اعد ظلالا من خشب للسفن الصغيرة وألبسها جلود الجواميس التي غطيت بالخيش المطلي بصنوف العقاقير والادوية التي لا تشتعل فيها النار ، ثم ملئت هذه السفن بالرماة والنفاطين وارسلت لانجاز عملية احـــراق دار صاحب الزنج (٨١) . ونجحت هذه الخطة فعلا فقد اقتربت السفن من دار محمد بن يحـــي الكرنبائي وهي بجوار دار صاحب الزنج في الضفة الشرقية من نهر ابي الخصيب عند التقائه بشط العرب ، واحرقت هذه الدار ثم القيت النيران على قصر علي بن محمد وما جاوره من البيوت فالتهمتها وأتت على ما كانت تحويه من الامتعة والاثاث ، ثم انتهب العباسيون ما لم تأت عليه النار «من الامتعة الفاخرة والذهب والفضة والجوهر والحلي» (٨٢) . اما صاحب الزنج فهرب لا يلوي على شيء مخلفا داره ودور اصحابـه طعمة للنيران والنهب (٨٣) . وللمرة الثانية أفلت النصر من يد الموفق حين جرح جرحا خطيرا (٨٤) ، ثم مرض بداء النقرس مدة شهريـــن تقريبا فتوقفت الحرب . واستطاع الزنج تحصين مواضعهـــم (٨٥) ، فأعادوا القناطر وأنشأوا السدود في نهر ابي الخصيب لمنع السفـــن العباسية من التقدم ، كما بنوا جسرين ضخمين على هذا النهر ، الا ان الموفق استطاع ازالة القناطر والابراج الحجرية من فوهة ابي الخصيب بمجرد ان أبل من مرضه (٨٦) .

كثرت في هذه المرحلة حوادث استئمان الزنج الى الموفق ، فقد لجأ اليه سنة ٢٦٨ جعفر بن احمد السجان ومعه جماعة كبيرة (٨٧) ، وفـــي سنة ٢٦٩ استأمن محمد بن سمعان كاتب صاحب الزنـــج

ووزيره (٨٨)، بل قيل ان (انكلاي) ابن صاحب الزنج نفسه طلب الامان لولا ان أثناه ابوه عن عزمه (٨٩) ، وأرسل سليمان بن موسى الشعراني — من قواد الزنج البارزين — يطلب الامان فتبعه جمع كبير • ويروى ان الموفق اتبع مع هؤلاء سياسة لينة سخية فضمهم الى قواده واكرم وفادتهم وأظهرهم امام جند الزنج بمظهر فخم كأسلوب من اساليب الدعاية ، كان له اثر بعيد على معنويتهم ، فترك كثير منهم معسكرهم لاجئين الى الجيش العباسي جماعات (٩٠) • ومن اهم اللاجئين في هذه المرحلة شبل بن سالم احد قواد الزنج ، وقد اسند اليه الموفق مهمة مهاجمة معسكر الزنج في فرقة المستأمنين (٩١) • ترى ما هو السبب الذي يعلل هذه الظاهرة ؟

لقد تكتلت جميع القوى وتكاتفت للعمل على قمع ثورة الزنج والقضاء عليها ، فهناك اصحاب الاراضي وملاك العبيد الذين ظلوا حتى النهاية يصرون على اسنانهم غيظا ويبذلون شتى المساعي لاحباط هذه الحركة التي هددت مصالحهم في الصميم ، وهناك المتطوعون الذين نظروا الى الثورة على انها زندقة وزيغ ديني وان التطوع للقضاء عليها يعني «الجهاد» في سبيل الدين • كل هؤلاء بجانب قوى الدولة الهائلة ومواردها الضخمة وعددها وعتادها وما تملكه من وسائل القمع والدعاية • على ان قطع سبل التموين عن الزنج وتعريضهم للجوع القاتل كان عاملا جديا في اضعاف صفوفهم • لقد منع الموفق الاعراب من نقل المؤن الى الزنج ، وحال دون جلب السمك الى عاصمتهم (٩٢)• وهكذا اخذ السود — ومن معهم من البيض — يشعرون على مر الايام بقلة الطعام ، كما انقطع ورود الخبز اليهم ، حتى اذا ما أهلت سنة٢٦٨ كان الحصار الاقتصادي قد اشتدت وطأته مما دفع الكثيرين من الزنج الى الاستئمان • لقد بذل صاحب الزنج كل ما في طوقه من الجهد في سبيل توفير الغذاء للثوار ، غير ان الموفق قطع عليه جميع السبل حتى

شمل الحصار البر والبحر والنهر «فلم يكن لهم ـ اي الزنج ـ من سبيل الى بر ولا بحر فضاقت عليهم المذاهب واشتد عليهم الحصار»(٩٣). وكان جماعة من أعراب بني تميم ممن ساعدوا الزنج في دخول البصرة يحملون الى المختارة الطعام والابل والغنم ، فهاجمهم رشيق غلام ابي العباس واستولى على كل ما كانوا يحملونه ، وبذلك سدت على الزنج جميع مسالك التموين . ونكل الموفق بهؤلاء الاعراب ومثل ببعضهم أشد التمثيل لكي يكف الباقون عن مساعدة الزنج في الحصول على القوت . وسرعان ما ظهر اثر هذا الحصار في الجيش الزنجي كأشد ما يكون «فأضر بهم الحصار وأضعف أبدانهم فكان الاسير منهم يؤسر والمستأمن يستأمن فيسئل عن عهده بالخبز فيعجب من ذلك ويذكر ان عهده بالخبز منذ سنة وسنتين» (٩٤) . ويروي ابن الجوزي (٩٥) ـ على ما في كلامه من المبالغة والتهويل ـ ان الزنج اكلوا لحوم البشر لشدة جوعهم ونبشوا القبور فأكلوا لحوم الموتى . وحين ادرك ابو احمد اي نجاح حققته طريقة «التجويع» هذه اخذ يتابعها كأسلوب رئيس من اساليب حربه، حتى انضم اليه كثير من الجياع الذين تفرقوا في القرى والانهار يبحثون عن القوت من السمك والتمر ، بل ان ابا احمد اخذ يتصيدهم اسرا وقتلا . ونحن وان كنا لا نستطيع ان ننكر ان كثيرا من الزنج قد استأمنوا الى الجيش العباسي فعلا ، الا ان العدد لم يكن كما ذكر المؤرخون ، كما اننا لا يمكن ان نعتبر اولئك الذين تصيدهم ابو احمد مستأمنين ، بل مجرد اسرى حرب .

اخذ الموفق يقوم بهجمات سريعة خاطفة قبيل هجومه النهائي على المختارة ، وذلك لالقاء الرعب في قلوب الزنج المحاصرين الذين نال منهم الجوع والاعياء الى حد كبير . وحين تهدمت منازل صاحب الزنج تحول من غرب نهر ابي الخصيب الى شرقيه ، فهاجم الموفق هذا الموضع الجديد وأحرق بعض الدور والسوق الرئيسة . وعندها ادرك الموفق

ان موعد الهجوم النهائي قد آن أوانه فأخذ يعد العدة لهذه النهايـــة المترقبة التي انتظرها بفارغ صبر .

وفي ذي القعدة سنة ٢٦٩ عزم الموفق على احتلال مدينة الزنـج بالجانب الشرقي من نهر ابي الخصيب بعد ان اصبحت كومة مـــن الانقاض على اثر حوادث الحرق والهدم المتعددة التي اصابتها على يد العباسيين ، فأمر باعداد الاسطول من دجلة والبطيحة وجميع النواحي القريبة وكون قوة من البحارة تبلغ عشرة آلاف يتناولون راتبا شهريا من بيت المال ووزعهم على الشذوات والسميريات والرقيات وجميعها من السفن الحربية الضخمة بالاضافة الى سفن التموين ونقـــل الركاب والمعابر وعدا الجريبيات والزواريق التي ملئت بالملاحين. ثم قسم الموفق المشاة الى فرق يقود كلا منها قائد كبير ، فتولى ابو العباس قيادة فرقة من ثمانية آلاف أنيط بها واجب مهاجمة الجانب الغربي من ابـــي الخصيب ، وقاد راشد عشرين الفا لمهاجمة الجانب الشرقي ، وأوعز الى فرقة ثالثة بالسير بمحاذاة نهر ابي شاكر اسفل ابي الخصيب ، وفرقـة رابعة بان ترابط على فوهة نهر جوي كور اسفل ابي الخصيب ايضا. اما الفرسان فقد جعلهم وراء المشاة ، وأمر الجميع بالزحف نحو قصر صاحب الزنج الذي كان مركز المقاومة الرئيس . وبدأ الزحف فـــي عشية يوم الاثنين ٧ ذي القعدة برا ونهرا وكان مجموع الجيش الزاحف من الفرسان والمشاة خمسين الفا ، على حين بلغ الاسطول مائة وخمسين سفينة . وفي اليوم التالي استمر القتال واشتبك الفريقان في معركـة حامية الوطيس انتهت بدخول العباسيين دار صاحب الزنج واحراقها بعد ان دافع عنها علي بن محمد وصحبه دفاع المستميت ، ونهب ما كان قد بقي فيها من المتاع وحملت نساء صاحب الزنج وأولاده وبناته الـــى الموفقية (٩٦) ، حيث لا بد ان يكونوا قد لقوا مصيرا سيئا وان اغفل المؤرخون ذلك .

لجأ صاحب الزنج وجماعته الى قلعة اخرى هي دار المهلبي ـ احد قواده ـ وهناك دارت معركة حامية اخرى استغرقت نهارا كاملا انتهت باتتصار العباسيين انتصارا جزئيا بعد ان كادوا يتعرضون للهزيمة • لكن الزنج نالوا ضربة مؤلمة حين تسللت خمس سفن عباسية الى مؤخرة المعسكر الزنجي بنهر ابي الخصيب فأحرقت مخازن التموين التي كانت اخر مورد يتقوت منه الجيش المحاصر «فضعف امره ـ اي صاحب الزنج ـ وداخله الضعف» (٩٧) • ويبدو ان ابا احمد ادرك انه كان يحارب خصما قويا عنيدا فطلب نجدة من العاصمة وصلت بقيادة كاتبه صاعد بن مخلد في ٢ ذي الحجة ، وكانت مكونة من عشرة آلاف محارب • كما ان لؤلؤا احد قواد ابن طولون المنشقين عليه قدم لنصرة ابي احمد في جيش عرمرم من الفراغنة والاتراك والروم والبربر والسودان يوم الخميس ٢ محرم سنة ٢٧٠ ، واستقبل الموفق هذا الجيش بحفاوة بالغة وانعم على قواده واغرقهم بالهدايا (٩٨) • ونلاحظ دائما انسخاء ابياحمد واغداقه علىالجند يكونخطا من الخطوطالرئيسة في سياسته العسكرية ، ونستطيع ان نقدر تأثير هذه السياسة اذا قارنا حالة الجند العباسيين الجيدة من ناحية الغذاء والكساء والعتاد بحالة الزنج الذين عضهم الجوع واودى بقواهم • والحق أنه كان للفرقة التي قدم بها لؤلؤ اثر عظيم في انتصار العباسيين حتى لقد نسب الى لؤلؤ قتل صاحب الزنج وكسب النصر النهائي ، وعبَّر احد الشعراء عن ذلك بقوله :

كيفما شئتم فقولوا انما النصر للولو (٩٩)

وتتابعت على ابي احمد الاموال والمير من البلدان حتى رخصت الاسعار في الموفقية ، وزادت هذه الرفاهية من حماس الجند العباسيين •

ولما كانت حركة الزنج قد وصمت بانها خروج على الدولة التي اعتبرت ممثلة للشرع وحامية للدين ، فقد اخذت النجدات تترى على المعسكر العباسي من كل حدب وصوب ، فتطوع احمد بن دينار عامل آيذج ونواحيها (من كور الاهواز) مع جيش كبير من الفرسان والمشاة . كما تطوع الفا رجل من اهل البحرين بقيادة رجل من عبد القيس وهي القبيلة التي ينتمي اليها صاحب الزنج كما اسلفنا ، وظل المتطوعون من فارس وغيرها يتتابعون دون انقطاع (١٠٠) . والغريب ان حركة التطوع لم تبدأ يوم كانت ثورة الزنج في عنفوانها ، وحين عجزت الدولة عن ايقاف تيارها ، بل كانت بعد ان اتضح مصير هذه الثورة وتبددت قواها ، وهو امر سهل التعليل اذا علمنا ان العمال وحكام الاقاليم كان يهمهم ان ينالوا عطف الدولة ورضاها بعد ان ادركوا رجحان كفتها .

أعد الموفق الاسطول ونظم المشاة واكثر من الفرسان لفائدتهم المحققة في تلك المواضع الوعرة الضيقة المسالك . ونشر جيشه على جبهة واسعة ، ثم امر الجميع بالزحف في وقت معا نحو مركز صاحب الزنج حين تعطي الاشارة وهي تحريك علم اسود والنفخ في بوق ضخم الصوت (١٠١) . واحتشد الزنج للقاء الجيش الزاحف ودارت بين الفريقين رحى معركة رهيبة برهن فيها الزنج على شدة الشكيمة والرغبة القوية في المقاومة ، وقد وقع كثير من الصرعى من الفريقين ، وكان النصر للجيش العباسي في النهاية بعد ان اسر اهل علي بن ابان واخواه الخليل ومحمد واهل سليمان بن جامع الذين نقلوا الى الموفقية . كما أسر الكثير من جنود الجيش الزنجي (١٠٢) . وكان ميدان هذه المعركة نهر جوي كور (الذي يدعى اليوم في ابي الخصيب جيكور) ، واستولى العباسيون على مدينة الزنج واطلق من كان فيها من الأسرى . ولاذ صاحب الزنج وقواده بموضع على نهر السفياني ـ من انهار ابي الخصيب ـ أعده لمثل هذا اليوم (١٠٣) .

مرت بضعة ايام دون حرب استعاد فيها الفريقان راحتهم وتنظيم صفوفهم ثم بدأت الحرب بزحف جديد في يوم السبت ٢ صفر سنة ٢٧٠ (١١ آب ٨٨٣) ، وكان الزنج قد عادوا ـ اثناء انسحاب الجيش العباسي ـ الى مدينتهم واقاموا بها . وفي هذا الهجوم اسر سليمان بن جامع ابرز قواد الزنج وقائدان آخران هما ابراهيم بن جعفر الهمداني ونادر الاسود فنقلوا الى المعسكر العباسي (١٠٤) . وعلى الرغم من انتصار الجيش العباسي في هذه المواقع فان الزنج ظلوا يحاربون ببسالة اذهلت العباسيين ، وكثيرا ما كروا على اصحاب الموفق فأزالوهم عن مواضعهم (١٠٥) . الا ان عزيمة الزنج ما لبثت ان انهارت حين جاءت الانباء بمصرع علي بن محمد ، وحمل احد اصحاب لؤلؤ رأسه فسرت الفرحة في المعسكر العباسي « وأمر ابو احمد ان يكتب الى امصار المسلمين بالنداء في اهل البصرة والأبلة وكور دجلة والاهواز وكورها واهل واسط وما حولها مما دخله الزنج ... ان يؤمروا بالرجوع الى اوطانهم» (١٠٦) .

لقد كان مقتل صاحب الزنج حدثا ضخما اهتز له الموفق فرحا وسرورا ، حتى انه خر ساجدا بمجرد ان ابصر برأسه يحمله غلام لؤلؤ فسجد معه سائر قواده . وحمل الرأس على قناة وطيف به كي يشاهده اولئك الذين طالما خشوا بأسه (١٠٧) . ويصف لنا الطبري فرحة الموفق بمقتل علي بن محمد فيقول (١٠٨) : «انصرف الموفق ورأس الخبيث منصوب بين يديه على قناة في شذاة يخترق بها نهر ابي الخصيب والناس من جنبي النهر ينظرون اليه حتى واتى دجلة ... ثم سار ورأس الخبيث بين يديه على القناة وسليمان بن جامع والهمداني مصلوبان في الشذا حتى وافى قصره بالموفقية» . على حين يذكر المسعودي (١٠٩) ان صاحب الزنج حمل الى ابي احمد حيا فسلمه الى ابنه ابي العباس وامره بتعذيبه «وجعله كردناجا على النار وجلده يتفرقع حتى هلك» . لكن

المسعودي لا يلبث ان يؤكد رواية الطبري ، ويقول ان الذي عذب بهذه الطريقة الوحشية هو قرطاس العبد الذي رمى ابا احمد بالسهم كما اسلفنا ، وكذلك يؤيد هذه الرواية التنوخي (١١٠) .

انهارت صفوف الزنج بعد ان صرع قائدهم ، فاستسلم آلاف منهم عدا عشرات الآلاف ممن ذهبوا قتلا وغرقا واسرا . وكانت هناك فرقة يقودها زنجي يدعى درمويه قد تفرقت في قرى البطيحة ، تمارس الحرب على طريقة العصابات دون ان تدري المصير الذي آلت اليه ثورتهم ، وحين تناهى الخبر الى درمويه طلب الامان فأجابه الموفق الى ذلك هو ومن معه . وبقيت هناك طائفة من الزنج تبلغ الالف عدا هاموا على وجوههم في القفار لا يلوون على شيء فمات اكثرهم عطشا ، اما الباقون فتصيدهم الاعراب فأعادوهم الى ما كانوا من العبودية (١١١) ، كأن لم يكن هناك شيء ، وكأنهم لم ينالوا من متاعب هذه الحرب الطويلة سوى انهم خرجوا من عبودية ليدخلوا اخرى لعلها كانت اشد واقسى .

اصدر الموفق بيانا الى العالم الاسلامي يهيب فيه بسكان المدن الفارين ان يعودوا الى ديارهم ، وعيّن ولاة جددا على هذه المناطق التي اختل نظامها الاداري اكثر من اربع عشرة سنة (١١٢) . اما في بغداد فقد استقبل النبأ بالسرور من جانب اولي الامر ، وما كاد ابو العباس يصل الى هذه المدينة يحمل رأس صاحب الزنج بين يديه يوم السبت ١٨ جمادى الاولى سنة ٢٧٠ حتى استقبله شعراء البلاط بالمدح والثناء ، وانحدر الامير في دجلة الى قصر الخلافة ووسط مظاهر الزينة وقباب النصر (١١٣) .

يغلو المؤرخون في ذكر اعداد القتلى الذين ذهبوا ضحية الحروب الطويلة خلال هذه الفترة ، فيقول ابو المحاسن (١١٤) «قتل من المسلمين الف الف وخمسمائة الف ... وقتل في يوم واحد بالبصرة ثلاثمائة الف» . ويقول المسعودي (١١٥) : ان المعاصرين تكلموا في مقدار ما

قتل في هذه الحروب «فمكثر ومقلل ، فاما المكثر فانه يقول افني من الناس ما لا يدركه العد ولا يقع عليه الاحصاء ... والمقلل يقول افني من الناس خمسمائة الف الف وكلا الفريقين يقول في ذلك ظنا وحدسا اذ كان شيئا لا يدرك ولا يضبط» . وهكذا تبدو المبالغة واضحة جدا في الارقام التي اوردها المؤرخون في هذا المجال ، ويجب على الباحث ان ينظر اليها بحذر شديد .

مراجع وملاحظات (الفصل الخامس)

(١) ابن الجوزي : المنتظم ج٥ ص ٨ .
(٢) نفس المرجع ج٥ ص ٢٦ .
(٣) ابن الطقطقي : الفخري ص ١٨٣ .
(٤) ابن الاثير : الكامل ج٧ ص ١٥٨ .
(٥) الخضري : تاريخ الامم الاسلامية ص ٣٣١ .
(٦) المسعودي ج٤ ص ٢٢٨ .
(٧) نفس المرجع ج٤ ص ٢٢٧ .
(٨) ابن الاثير ج٧ ص ١٥٨ .
(٩) الطبري ج٣ ص ١٨٩٨ ، ابن الاثير ج٧ ص ١١٦ .
(١٠) Noldeke, P., 162.
(١١) ابن الجوزي : المنتظم ج٥ ص ٤٥ .
(١٢) الطبري ج٣ ص ١٩٢٢ – ١٩٢٣ ، ابن الاثير ج٧ ص ١٢٥ .
(١٣) معجم البلدان ج٣ ص ٨٠ ، تاريخ ابن الوردي ج١ ص ٢٣٨ .
(١٤) المنتظم ج٥ ص ٥٠ .
(١٥) انظر المسعودي : ج٤ ص ٢٢٠ عن المعتمد واخبار لهوه .
(١٦) ابن الداية : سيرة احمد بن طولون ص ١٩ .
(١٧) نفس المرجع ص ١٩ .
(١٨) نفس المرجع ص ١٩ .
(١٩) نفس المرجع ص ٢١ (انظر نص الكتاب ص ٢١ – ٢٤) .
(٢٠) المقريزي : الخطط ج١ ص ٣١٩ .
(٢١) الرقة مدينة مشهورة على الفرات بينها وبين حران ثلاثة ايام ، معدودة في بلاد الجزيرة لانها من جانب الفرات الشرقي (معجم البلدان ج٤ ص ٢٧٢) .

(٢٢) المقريزي : الخطط ج١ ص ٣١٩ .
(٢٣) نفس المرجع ج١ ص ٣٢٠ .
(٢٤) نفس المرجع ج١ ص ٣٢٠ .
(٢٥) نفس المرجع ج١ ص ٣٢٠ — ٢١ .
(٢٦) السيوطي : تاريخ الاثير ج٧ ص ٢٤٥ .
(٢٧) ابن الاثير ج٧ ص ١٥٩
(٢٨) الفخري ص ٢٢٨ .
(٢٩) كان ابو احمد الموفق يؤمن بالتنجيم ، ويصطحب معه في الحرب منجمين منهم ابو معشر . وكان يستشيرهم في اشياء في ضميره فيمنح من تصدق نبوءته الجوائز . وكان يختبر صدق المنجمين فيخفي شيئا ثم يسألهم عنه . (التنوخي : نشوار المحاضرة ج١ ص ٢٦٨) .
(٣٠) ابن الاثير ج٧ ص ١٣٤ .
(٣١) الطبري ج٣ ص ١٩٥٣ ، ١٩٥٩ .
(٣٢) معجم البلدان ج٦ ص ٣٩٩ .
(٣٣) ابن الاثير ج٧ ص ١٣٤ .
(٣٤) ابن ابي الحديد ج ٨ ص ٣٤٤ .
(٣٥) الطبري ج٣ ص ١٩٥٠ .
(٣٦) بواري جمع باريةوهو لفظ يطلقه الناس فيجنوب العراق حتىاليوم على صحائف تنسج من القصب تستخدم للبناء ولاغراض اخرى .
(٣٧) الطبري ج٣ ص ١٩٥٣ .
(٣٨) نفس المرجع والمكان .
(٣٩) نفس المرجع ج٣ ص ١٩٥٤ .
(٤٠) نفس المرجع ج٣ ص ١٩٥٦ ، يذكر ابن رستة (الاغلاق النفيسة ص ١٨٥) : ان دجلة تتشعب بالقطر الى ثلاث شعب ، احدى هذه الشعب الى مدينة يقال لها طهيثا ، وهي مدينة كبيرة وبها مسجد جامع وكانت لها اهمية خاصة في ثورة الزنج ، وكان ابو زكريا البحراني تحصن فيها حتى اخرج منها . ويقول الطبري (ج٣ ص ١٩٧٠) ان نهر المنذر يشقها .
(٤١) نفس المرجع ج٣ ص ١٩٥٩ — ١٩٦٠ .
(٤٢) نفس المرجع ج٣ ص ١٩٦١ .
(٤٣) رومية المدائن : مدينة بناها انو شروان سنة ٥٤١ م قرب المدائن على

غرار انطاكية حتى ليقول المؤرخون انه جعلها صورة مطابقة لهذه المدينة

(٤٤) الطبري ج٣ ص ١٩٦١ .
(٤٥) نفس المرجع ج٣ ص ١٩٥٩ .
(٤٦) نفس المرجع ج٣ ص ١٩٦٣ .
(٤٧) ابن الاثير ج٧ ص ١٣٧ .
(٤٨) الطبري ج٣ ص ١٩٦٤ .
(٤٩) نفس المرجع ج٣ ص ١٩٦٤ .
(٥٠) Noldeke, P., 166.
(٥١) الطبري ج٣ ص ١٩٦٩ .
(٥٢) ابن كثير ج١١ ص ٤٠ .
(٥٣) الطبري ج٣ ص ١٩٧١ .
(٥٤) المنتظم ج٥ ص ٥٨ .
(٥٥) ابن كثير ج١١ ص ٤١ .
(٥٦) الفندم : موضع بالاهواز (معجم البلدان ج٦ ص ٤٠١) .
(٥٧) الباسيان : احدى مدن خوزستان ، وكانت قرب البحر وتقع قربها جزيرة دورفستان . وقد ذكرها ياقوت فقال : «يرفأ اليها مراكب البحر التي تقدم من ناحية الهند ، وفي وسطها قلعة كان في ايام الخلفاء يحمل اليها المنفيون من بغداد . (ياقوت ، معجم البلدان ج٢ ص ٩٣ ،)القاهرة) وج١ ص ٤١١ (الطبعة الاوربية) ، الاصطخري ص ٩٣ ، كذلك انظر لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ص ٢٧٧ .
(٥٨) تاريخ ابن الوردي ج١ ص ٢٣٩ .
(٥٩) ابن الجوزي : المنتظم ج٥ ص ٥٩ .
(٦٠) الطبري ج٣ ص ١٩٨٩ .
(٦١) ابن الاثير ج٧ ص ١٤٠ .
(٦٢) سبط الجوزي : مرآة الزمان (مخطوط) ج٦ ورقة ٢٠١ .
(٦٣) نفس المرجع ج٦ ورقة ٢٠٢ .
(٦٤) نفس المرجع ج٦ ورقة ٢٠٢ .
(٦٥) الطبري ج٣ ص ١٩٨٩ .
(٦٦) مرآة الزمان ج٦ ورقة ٢٠٢ ــ ابن الاثير ج٧ ص ١٤٠ .
(٦٧) نفس المرجع ج٦ ورقة ٢٠٢ .
(٦٨) الطبري ج٣ ص ١٩٨٩ .
(٦٩) نفس المرجع ج٣ ص ١٩٨٩ .

(٧٠) نفس المرجع ج٣ ص ١٩٨٨ – ١٩٨٩ .
(٧١) نفس المرجع ج٣ ص ١٩٩١ .
(٧٢) نفس المرجع ج٣ ص ٢٠٠٤ .
(٧٣) نفس المرجع ج٣ ص ٢٠١٢
(٧٤) Noldeke, P., 169.
(٧٥) الطبري ج٣ ص ٢٠٣٤ ، ابن الاثير ج٧ ص ١٥٣ .
(٧٦) الطبري ج٣ ص ٢٠٣٤ .
(٧٧) نفس المرجع ج٣ ص ٢٠٣٥ .
(٧٨) Muir, the Caliphate, P., 546.
(٧٩) الطبري ج٣ ص ٢٠٣٧ .
(٨٠) المنتظم ج٥ ص ٦٧ .
(٨١) الطبري ج٣ ص ٢٠٤٢ .
(٨٢) نفس المرجع ج٣ ص ٢٠٥١ .
(٨٣) المنتظم ج٥ ص ٦٧ .
(٨٤) ابن الاثير ج٧ ص ١٤٩ .
(٨٥) المنتظم ج٥ ص ٦٧ .
(٨٦) الطبري ج٣ ص ٢٠٥١ .
(٨٧) ابن الاثير ج٧ ص ١٤٠ .
(٨٨) ابن الجوزي ج٥ ص ٦٧ .
(٨٩) الطبري ج٣ ص ٢٠٦٨ – ٢٠٦٩ .
(٩٠) ابن الاثير ج٧ ص ١٤٠ .
(٩١) الطبري ج٣ ص ٢٠٧١ .
(٩٢) نفس المرجع ج٣ ص ٢٠١٤ .
(٩٣) نفس المرجع ج٣ ص ٢٠١٧ .
(٩٤) نفس المرجع ج٣ ص ٢٠١٩ .
(٩٥) المنتظم ج٥ ص ٦٣ – انظر الطبري ج٣ ص ٢٠٥٣ .
(٩٦) المنتظم ج٥ ص ٦٧ .
(٩٧) ابن الاثير ج٧ ص ١٥٧ .
(٩٨) الطبري ج ٣ ص ٢٠٨٠ .
(٩٩) لا بد ان هذا الشاعر كان من انصار ابن طولون .
(١٠٠) الطبري ج٣ ص ٢٠٨٥ .

(١٠١) ابن الجوزي ج٥ ص ٧٠ .
(١٠٢) الطبري ج٣ ص ٢٠٨٧ ابن الجوزي ج٥ ص ٧٠ .
(١٠٣) نفس المرجع ج٣ ص ٢٠٨٨ .
(١٠٤) ابن الجوزي ج٥ ص ٧٠ ، ابن الاثير ج٧ ص ١٦٢ .
(١٠٥) الطبري ج٣ ص ٢٠٣٢ .
(١٠٦) تاريخ ابن الوردي ج١ ص ٢٤٠ .
(١٠٧) نفس المرجع ج١ ص ٢٤٠ .
(١٠٨) الطبري ج٣ ص ٢٠٩٣ .
(١٠٩) مروج الذهب ج٢ ص ٣٦٠ .
(١١٠) التنوخي : نشوار المحاضرة ج١ ص ٧٧ .
(١١١) الطبري ج٣ ص ٢٠٩٤ .
(١١٢) التنوخي ج١ ص ١٢٦ ـ ١٢٧ .
(١١٣) ابن الجوزي ج٥ ص ٧٠ .
(١١٤) النجوم الزاهرة ج٣ ص ٤٨ .
(١١٥) مروج الذهب ج٤ ص ٢٠٨ .

الفصل السادس

تنظيمات الزنج

المختارة عاصمة الزنج ـ التنظيم
الاقتصادي ـ التنظيم الاداري .

المختارة عاصمة الزنج :

يجد الباحث مشقة كبيرة في محاولته الحديث عن التنظيمات التي اوجدها الزنج لحكم المناطق التي دخلت في حوزتهم وتنظيم علاقاتهم الداخلية والخارجية . ومصدر الصعوبة ان المؤرخين اسهبوا ايما اسهاب في وصف الحركات العسكرية التي دارت بين الجيشين العباسي والزنجي وكادوا يهملون الحديث عن النواحي المدنية التي انبثقت عن ثورة الزنج . هذا من ناحية ومن ناحية ثانية نظر المؤرخون المعاصرون الى ثورة الزنج نظرة عداء وازدراء واظهروها على انها حركة عصيان قام بها العبيد ضد الدين والدولة ، ومن ثم لم يعمدوا الى ايراد ما يفيد قيام اي نوع من التنظيم المدني او الاداري او المالي في البقعة الشاسعة التي حكمها الزنج مدة تزيد على اربع عشرة سنة . وثمة صعوبة اخرى

تجابه الباحث هي انه لم تبق اية آثار عمرانية او مخلفات اخرى تعيننا في هذه الدراسة ، عدا قطعتين نقديتين سنشير اليهما ، وعـدا بعض الاشارات في بطون الكتب التاريخية وردت على سبيل الصدفة ــ ان صح التعبير ــ في ثنايا التفاصيل الدقيقة عن النواحي الحربية .

اننا سنحاول هنا ان نقدم كل ما تيسر جمعه من المعلومات عن هذا الموضوع الغامض لنثبت بان ثـورة الزنج لم تكـن مجرد غارات غير منظمة هدفها التخريب والنهب ، بل ان هذا البحث الموجز سيكشف عن وجود محاولات جدية بذلها صاحب الزنج لاقامة نظام داخلي يحكم به دولته القصيرة العمر ، ويخضع له العلاقات المدنية والعسكرية بين الزنج انفسهم من ناحية ، وبينهم وبين جيرانهم من ناحية ثانية .

لقد فتح الزنج مناطق شاسعة شملت القسم الادنى من العراق كله بالاضافة الى خوزستان ، فدخلت تحت حكمهم البصرة والابلة وواسط وعبادان وجبي والاهواز ، بل انهم دخلوا النعمانية وجرجرايا اي اصبحوا على بعد اقل من سبعين ميلا من بغداد . هذا بالاضافة الى سيطرتهم على المواصلات البرية والنهرية في جميع هذه الجهات ، واحتلالهم منطقـة البطيحة . وانه على الرغم من ان حكم الزنج لهذه المناطق لم يكن ثابتا ودائما ، فقد عمدوا ــ خلال بقائهم فيها ــ الى اخضاعها لسلطتهم الادارية وتعيين موظفين ينوبون عن «صاحب الزنج» في تصريف شؤونها العامة .

لقد اتخذ الزنج لانفسهم مركزا للحكم يصح ان نعتبره عاصمة ، ما دام يضم تشكيلاتهم المركزية . ومن الجدير بالذكر ان عليا بن محمد غيَّر محل اقامته واتباعه عدة مرات ، فقـد اقام في بدايـة حركته في برنخل ــ وهو موضع في فرات البصرة ــ في مكان يدعى قصر القرشي، لكنه انصرف باتباعه في نفس السنة (سنة ٢٥٥) الى سبخة في آخر انهار البصرة هي سبخة ابي قرة بين نهري ابي قرة والحاجر (قد يكون الحاجز) فأقام هناك وأمر اصحابه ان يبنوا الاكواخ لسكناهم، في هذا الموضع الذي يتوسط

النخل والقرى والعمارات (١) • غير انه ما لبث ان غيَّر مركزه سنة ٢٥٦ فتحول الى الضفة الغربية من نهر ابي الخصيب (٢) ، وعلى مر الايام اخذ الزنج يشيدون في هذا الموضع عاصمتهم «المختارة» التي ربما سميت بهذا الاسم نسبة الى مكانها المختار من دون الاماكن الاخرى •

انشأ صاحب الزنج المدينة «المختارة» على ضفة نهر ابي الخصيب الغربية وحصنها وأحاطها بالخنادق والاسوار • وكانت ابنية هذه المدينة مشيدة من سعف النخيل او الطين وهما المادتان اللتان ما زال اهل البصرة الريفيون يستخدمونهما في بناء بيوتهم • ويبدو من مجرى حوادث ثورة الزنج ومحاولات الموفق لاحتلال هذه المدينة ، ان قصور صاحب الزنج ودور اتباعه الكبار من القواد والموظفين والمنشئات العامة كانت مبنية من الاجر او الطابوق ، لانها صمدت كثيرا امام هجمات العباسيين ، الى حد ان هؤلاء بذلوا مجهودات كبيرة في سبيل هدمها مستخدمين النار وآلات الحصار والهدم • انه لم يبق للاسف ما يشير الى موضع المختارة على وجه الدقة ، غير انها كانت تقع ــ على وجه التقريب ــ في الزاوية بين شط العرب ورافده ابي الخصيب ــ او باب سليمان الحالي ــ • ولا بد ان المدينة قد اتسعت فيما بعد فشملت جميع المنطقة الممتدة على ضفة نهر ابي الخصيب ، بدليل ان عليا بن محمد اقام حين تهدمت دوره المطلة على شط العرب في منازل واغلة في نهر ابي الخصيب حيث اتخذ لنفسه سكنا منزل احمد بن موسى القلوص (٣) • بل ان مدينة الزنج ما لبثت ان شملت الجانب الشرقي من نهر ابي الخصيب كذلك كما سنرى •

وكان من الطبيعي ان تكون المختارة على هيئة قلعة حربية لتستطيع الصمود في وجه الغارات المتلاحقة التي كان يشنها عليها العباسيون • وبالاضافة الى ان المختارة كانت محصنة تحصينا طبيعيا بنهري شط العرب وابي الخصيب من الجهتين الشمالية والشرقية ، فانها أحيطت

بالاسوار ، وبذلك امتنعت على الجيش العباسي وظلت صامدة امام هجماته ثلاث سنوات كاملة . ومما زاد في مناعة المدينة وقوة تحصينها ، انها كانت تقع في وسط اشجار النخيل الكثيفة ، وتخترقها جداول وانهار فرعية تعيق تقدم الجيش الزاحف ، مثال ذلك نهر ابن سمعان الذي يقع في وسطها وعليه تقع دار محمد بن سمعان كاتب صاحب الزنج ووزيره (٤) . وكانت المختارة محاطة بخندق واسع غزير المياه تتلوه عدة اسوار ، بدليل ان الزنج حين يئسوا من دفع اصحاب الموفق عن السور الاول انتقلوا الى سور آخر يليه (٥) . وكانت اسوار المختارة حصينة عالية مبنية من الاشجار تعلوها المجانيق والعرادات ويحرسها رماة النشاب والقسي ، ومما يدل على ارتفاع هذه الاسوار ان العباسيين اخفقوا مرات عديدة في ارتقائها واستعملوا لهذا الغرض السلالم . وكانت اسوار المختارة تحيط بها من جميع الجهات بما في ذلك جهتها المطلة على شط العرب . ونستطيع ان تتتبع سيرها ، فنجد انها كانت تحيط المدينة من جهة نهر ابي الخصيب وتمر بدار انكلاي (ابن صاحب الزنج) ودار الجبائي ونهر منكي ونهر سمعان ، ثم يستمر السور حتى نهري جوي كور والغربي وموقعهما في اسفل نهر ابي الخصيب . وكان صاحب الزنج قد حفر خندقا عريضا بين هذين النهرين ، واشتدت عنايته بتحصين الجزء الواقع بين دار الكرنبائي ــ احد قواده ــ ونهر جوي كور ، لان اكثر منازل الزنج كانت في هذه الجهة . ويبدو ان الخندق والسور كانا يستمران بعد نهر الغربي حتى يصلان الى موضع الدباسين في اسفل نهر الغربي (٦) .

كانت المختارة كما اسلفنا مدينة واسعة تحوي القصور والدور والميادين والدواوين والسجون والشوارع والسكك . ومما يدل على اتساع المدينة ان اصحاب الموفق دخلوها مرة واوغلوا فيها فاختلفت بهم طرقها وتشعبت بهم مسالكها وفجاجها حتى صعبت عليهم العودة (٧) .

ومن المعلومات الضئيلة التي يمدنا بها الطبري نستطيع ان نقول ان المختارة كانت على غرار المدن الاسلامية الاخرى في طراز بنائها وتخطيطها الهندسي • فهناك في وسط المدينة يقع المسجد الجامع الذي اتخذه الزنج للصلاة ، مما ينفي عنهم التهمة التي الصقها بهم بعض المؤرخين وهي تهمة الزندقة والمروق • وكان المسجد الجامع واسعا انيقا حسن البناء وقد هاجمه الموفق فدافع عنه الزنج دفاع المستميت بضعة ايام ، غير ان العباسيين هدموه وحملوا منبره الى الموفقية جذلين مسرورين (٨)• ولا بد أن هذا المسجد الجامع كان يجتمع فيه صاحب الزنج باصحابه ليؤمهم في الصلاة ، ولا بد انه كان يلقي عليهم خطبه من فوق هذا المنبر • ويبدو ان المختارة حوت عدة مساجد ، بدليل أن رجلا من الزنج استأمن الى الموفق في سنة ٢٦٩ وأتاه معه بمنبر كان لصاحب الزنج في الجانب الغربي • وكان المسجد الجامع يتصل عن طريق درب بمصلى اتخذه علي بن محمد لنفسه يحضره في ايام الاعياد(٩)• ونجد اشارات الى وجود ميدان واسع في المختارة تحف به البيوت والقصور وتشرع منه الطرق والسكك • ولقد شهد هذا الميدان عدة اشتباكات حربية بين الفريقين المتحاربين ، وحين اخذ الجيش العباسي يتوغل في المدينة حفر صاحب الزنج فيه عدة خنادق لتحول دون تقدم الجيش الغازي •

وكان قصر صاحب الزنج افخم مباني المختارة واكثرها اناقة ، وقد بني على ضفة شط العرب الغربية عند الزاوية التي يكونها مع رافده نهر ابي الخصيب ، وما زال هذا الموقع من اجمل المواقع الطبيعية في ريف البصرة ، ويعتبره سكان ابي الخصيب الحالية متنزها لهم ، لما يتوفر فيه من المياه والنخيل والبساتين النضرة • وقد اعتنى الزنج ببناء قصر زعيمهم الذي اتخذ دار امارة في الوقت نفسه، حتى أن بابه الضخم نقل من حصن اروخ احد حصون البصرة • ومما يدل على اناقة هذه البوابة وجمالها وضخامتها ان ابا احمد الموفق قلعها

حين احتل المختارة ونقلها الى بغداد . ومن الجدير بالذكر ان خلفاء المسلمين وامراءهم طالما لجأوا الى هذه الطريقة للافادة من الابواب والآثار التي يعثرون عليها في المواضع الاخرى حين يقومون باشادة بناء جديد ، وقد فعل ذلك الحجاج حين شيد واسط والمنصور حين بنى بغداد . وكان القصر يطل على نهري شط العرب وابي الخصيب معا وله مسناة لرسو السفن ، وهو محصن بسور عال يحميه من الهجمات تعلوه المجانيق والمقاليع والعرادات وتحرسه دوما فرقة من شجعان الزنج . وكان الى جانب قصر صاحب الزنج قصور ودور اخرى مطلة على شط العرب ، يليها ستارات ظلل بها علي بن محمد داره ووضع الستور على ابوابه، ومن الطريف ان قصر صاحب الزنج هذا تميز برواشن او فتحات ونوافذ تطل على الخارج ، يتوسطه فناء واسع على طراز البيوت الشرقية آنذاك ، وتحيطه ساحة واسعة ، اما مدخله الرئيس فكان يطل على ميدان . وقد احرق قصر صاحب الزنج في الغارات التي شنها ابو احمد الموفق وهدم واستولى على ما كان فيه من الامتعة والاموال والذخائر والاثاث .

ونجد الى جانب قصر صاحب الزنج قصورا اخرى في المختارة اهمها دار انكلاي ابن صاحب الزنج التي كانت الى جوار قصر ابيه ، ودور الجبائي وابن سمعان وسليمان بن جامع وكلهم من قواد الزنج الكبار . وقد دخل اصحاب الموفق دار مصلح الزنجي فأحرقوها ونهبوها وسبوا نساءه وولده الذين كانوا يعيشون فيها . وكانت دار الهمداني محصنة قد نصبت عليها العرادات وحفت باعلام بيض كتب عليها اسم صاحب الزنج وكان يحيط بها سور حصين ، وقد احرقها النفاطون العباسيون ونهبوا ما كانت تحويه من الاثاث والمتاع ، وكذلك احرقوا ما حولها من دور الزنج . ويبدو ان قصر بهبوذ بن عبد الوهاب — من قادة الزنج — كان انيقا نسبيا وكان يتكون من عدة دور وابنية اضافية . ولعل قصر الكرنبائي كان من افخم المباني في الجزء الشرقي من عاصمة الزنج ويقع

مقابل قصر صاحب الزنج على ضفة نهر ابي الخصيب الشرقية عند التقائه بشط العرب ، وامتازت هذه الدار ببرج عال مشيد • ومن الجدير بالذكر ان الزنج انتقلوا الى الضفة الشرقية من النهر المذكور حين دمر العباسيون الجهة الغربية من مدينتهم ، وكانت لهم هناك عدة قصور ودور ومبان منها دار الكرنبائي هذه ودار المهلبي الحصينة ودار ابي عيسى المطلة على شط العرب وفيها سوق الغنم ، وقد اتخذها صاحب الزنج سكنا له في الضفة الشرقية في اواخر سنة ٢٦٩ (١٠) •

اهتم الزنج بتعمير عاصمتهم حتى شملت ـ كما قلنا ـ ضفتي نهر ابي الخصيب الشرقية والغربية ، ولكي يربطوا بين جانبي النهر ويسهلوا على جيوشهم الانتقال اشادوا على هذا النهر الجسور والقناطر • فقد شيد صاحب الزنج قنطرة من خشب الساج على نهر ابي الخصيب اقام في وجهها سدا في الماء لمنع مرور سفن العباسيين • وقد سببت هذه القنطرة متاعب شديدة للسفن العباسية• ويقول الطبري (١١) ان أبا احمد «امر نصيرا •• بالقصد لقنطرة كان الخائن ـ يعني صاحب الزنج ـ عملها بالساج على النهر المعروف بابي الخصيب دون الجسرين اللذين كان اتخذهما عليه وامر زيرك باخراج اصحابه مما يلي دار الجبائي لمحاربة من هناك ••• فتسرع نصير فدخل نهر ابي الخصيب في اول المد في عدة من شذواته فحملها المد فألصقها بالقنطرة ودخلت عدة من شذوات موالي الموفق وغلمانه ممن لم يكن امر بالدخول فحملهم المد فألقاهم على شذوات نصير فصكت الشذوات بعضها بعضا حتى لم يكن للاشتياميين والجذافين فيها حيلة ولا عمل• ورأى الزنج ذلك فاجتمعوا على الشذوات واحاطوا بها من جانبي نهر ابي الخصيب فألقى الجذافون انفسهم في الماء ذعرا ووجلا ••» • وقد حصن صاحب الزنج هذه القنطرة ونصب الى جوارها اعمدة من الساج وصل بعضها ببعض وغلفها بالحديد وبنى امامها سدا من الحجارة ليضيق المدخل على سفن العباسيين • وقد بذل ابو

احمد الموفق جهودا كبيرة لتدمير هذه القنطرة الحصينة، واستخدم في هذه العملية النجارين والمهندسين والحراقات (اي السفن التي تحارب بالنار) • ودافع الزنج دفاع المستميت عن القنطرة لان ازالتها تعني دخول سفن العباسيين الى النهر وازالة الجسرين اللذين شيدهما صاحب الزنج بعد القنطرة • وحين تم للعباسيين احراق القنطرة وازالتها توغلت سفنهم في النهر فعلا واخذت تعمل على تخريب هذين الجسرين ، وقد تم لها ذلك بعد محاولات عديدة واثر دفاع صادق بذله الزنج • وحين احرق العباسيون الجسرين في سنة ٢٦٩ انقطعت الصلة بين جانبي المختارة الشرقي والغربي ، وضاع آخر امل للزنج في الاحتفاظ بعاصمتهم• وعلاوة على القنطرة والجسرين انشأ علي بن محمد قنطرتين على نهر منكى واخريين على نهر الغربي ، وربما انشأ قناطر اخرى على غيرهما من انهار المختارة •

التنظيم الاقتصادي :

اهتم صاحب الزنج اهتماما كبيرا بتوفير المؤن والاقوات لعاصمته ولجيشه الضخم ، ومن ثم شيد اسواقا كثيرة في الجانب الغربي من المختارة منها السوق «المباركة» ، وكانت واسعة عظيمة تقع في ظهر دار الهمداني متصلة بالجسر الاول المعقود على نهر ابي الخصيب ، وكانت مليئة بالبضائع والامتعة • كما نجد اشارة الى سوق دعاها الزنج «الميمونة» وكانت تطل على دجلة • وحين هدم العباسيون هذه الاسواق نقل الزنج اسواقهم اول الامر الى «سوق الحسين» في اقاصي نهر ابي الخصيب ، حيث ارتفعت الاسعار حتى بلغ سعر الرطل من الخبز عشرة دراهم (١٢) • فلما تخرب الجزء الغربي من مدينة المختارة ، نقل علي بن محمد اسواقه الى الجهة الشرقية حيث نجد «سوق الغنم» • وعلاوة على

هذه الاسواق اتخذ علي بن محمد بيادر ومخازن للحبوب في معسكره لكي يوفر لاتباعه القوت ، خاصة وقد كان معرضا للحصار على الدوام. ومما يثير الاعجاب حقا ان الزنج لم يعتمدوا على ما كان يردهم من الميرة من الخارج بل حاولوا ان يستغلوا الاراضي الزراعية المحيطة بعاصمتهم في انتاج الحبوب والخضروات ، مثال ذلك الاراضي الواقعة في نهر الغربي التي زرعوا فيها الغلات لهذا الغرض . فضلا عما كانت تغله تلك المناطق من التمر الذي كان غذاء رئيسا اعتمد عليه الزنج .

شغلت قضية التموين صاحب الزنج الى اقصى الحدود منذ بداية ثورته ، لذلك استمال الاعراب الى جانبه وسخرهم في جلب المؤن الى معسكره ومنعها عن المعسكر العباسي . ففي سنة ٢٥٧ امر قائده علي بن ابان ان يعسكر بالخيزرانية من نواحي جبى (بالاهواز) ليمنع ورود الميرة الى اهل البصرة ، وقد افلح القائد الزنجي في هذه المهمة وقطع المواصلات بين الاهواز والبصرة حتى عض الجوع اهل هذه المدينة وندرت بها الاقوات . ولما فتح صاحب الزنج البصرة ولاها رجلا من قدماء اتباعه يدعى احمد بن موسى بن سعيد القلوص فصارت سوقا للزنج يأتيها الاعراب والتجار للبيع والشراء ويجلبون لها المير والتجارات فتنقل الى معسكر الزنج . فلما اسر الموفق القلوص ولاها صاحب الزنج مالك بن بشران ، وحين هدد العباسيون البصرة ، امره ان ينقل معسكره الى نهر الديناري ويرسل جماعات من اتباعه لصيد السمك ، وجماعات اخرى للمرابطة في الطرق التي يسلكها الاعراب من البادية «فاذا وردت قافلة اعراب يتلقاها ويحمل ما تأتي به» (١٣) . وقد نفذ الوالي المهمة على خير ما يرام واخذ يرسل السمك من البطيحة الى معسكر الزنج اولا بأول في زوارق صغيرة . كذلك اخذت مير الاعراب تصل من البادية فتحسنت احوال الزنج وظلوا في رغد من العيش حتى نقل احد العيون اخبار مالك بن بشران الى الموفق واعلمه بموضع اقامته ودله

على المنافذ التي يصل منها السمك والميرة الى معسكر الزنج ، فباغت الموفق مالكا وهزمه ، مما اضطره الى ان ينقل مركزه الى نهر اليهودي ـ من انهار ابي الخصيب ـ واخذ يرسل التموين من هنـاك عن طريق سبخة الفياض • وحين علم الموفق بذلك امر ابنه ابا العباس بقطع هذا الطريق على الاعراب ، فوجد جماعة منهم وقد اوردوا من البادية ابلا وغنما واقواتا فأوقع بهم قتلا واسرا واستولى على مـا كان معهم وقطع يد احد الاسرى ونكل بالآخرين مما ارهب مالك بن بشران ودفعه الى الاستسلام •

وعين صاحب الزنج شخصا جديدا للاشراف على نقل التموين هو احمد بن الجنيد في مؤخر نهر ابي الخصيب ، وكلفه ان يحمـل سمك البطيحة الى معسكره ، لكن الموفق اقـام فرقة مـن جيشه في جزيرة الروحية فقطع سمك البطيحة عن الزنج ، كذلك منع الاعراب من حمل الميرة الى المعسكر الزنجـي وفتح لهـم سوق البصرة ليمتاروا منه ما يشاؤون من التمر الذي كان البضاعة الرئيسة للتبادل بينهم وبـين الزنج • ذلك أن هذه المنطقة الغنية بالنخيل كانت وسيلة صالحة لمبادلة التمر بما يحمله الاعراب مـن السلع ، بعد ما يستهلك الزنج جزء منه كغذاء لهم • ويصح أن نفترض بان هؤلاء الباعة المغامرين الذيـن طالما عرضوا حياتهم للاخطار كانوا يحصلون علـى ربح لا بأس بـه جزاء ما يحملونه من الدقيق والاغنام وغير ذلك من المؤن • ويبـدو ان الزنج استغلوا الاسلاب والغنائم والاموال التي وقعت في ايديهم على اثر انتصاراتهم وما كانت تدره عليهم الضرائب التي فرضوها على رعاياهم من اهل القرى في هذا السبيل (١٤) •

وحين اشتد الحصار الاقتصادي الذي ضربه ابو احمد على هذا النحو ، سلك الزنج طريقا آخر لتطمين التموين هـ وان تسلك سفنهم نهر الامير الى نهر القندل ثـم نهر المسيحي الى «الطرق المؤديـة الى البر

والبحر» (١٥) • اما السمك فاخذ الزنج يجلبونه من البحر عن نفس الطريق• لكن الموفقما لبث انسد هذه المسالك ايضا بقوةعسكريةكبيرة، وبذلك قاسى الزنج صعوبة شديدة في تموين عاصمتهم • وزاد الامر سوءا ان الموفق وقواده اخذوا ينكلون بالاعراب من بني تميم وغيرهم كلما باغتوهم يحملون الطعام والبهائم الى معسكر الزنج ، وما حلت سنة ٢٦٨ حتى بدأ هؤلاء يشعرون بالجوع ويفتقدون الطعام الذي كان انعدامه سببا رئيسا في اخفاق ثورة الزنج •

التنظيم الاداري :

حاول صاحب الزنج ان يقيم في عاصمته مؤسسات ادارية ومالية لا لتشرف على سير الحرب فحسب ، بل لتتولى تنظيم الشؤون المدنية داخل «الدولة» القصيرة العمر التي شكلها علي بن محمد ، وكان علي هذا على رأس الدولة واشتهر بلقب «صاحب الزنج» الذي اطلقه عليه معاصروه • كان علي بن محمد قائدا عسكريا عاما لجيوش الزنج يساعده في وضع الخطط وتنفيذها وقيادة الجيوش قواد آخرون من اتباعه الاول الذين ثبتوا الى جانبه منذ بداية الحركة حتى لقوا مصيرهم • ولعل اجدرهم بالذكر علي بن ابان المهلبي وانكلاي ابن صاحب الزنج وسليمان بن جامع وابراهيم بن جعفر الهمداني وغيرهم • اما علي بن ابان وانكلاي فقد صمدا حتى مقتل زعيمهما ولم يستسلما الا بعد ان حوصرا في نهاية الحركة ، واما سليمان وابراهيم فقد اسرا في موقعة فاصلة سنة ٢٧٠ • وتتردد اسماء قواد آخرين من الزنج منهم بهبوذ بن عبد الوهاب الذي قتل سنة ٢٦٨ وسليمان بن موسى الشعراني ونادر الاسود وريحان بن صالح المغربي وراشد القرماطي وطريف وصبيح الاعسر وغيرهم • واكثر هؤلاء كانوا من الذين انضموا الى صاحب الزنج

في بدء ثورته .

لم يقتصر واجب «صاحب الزنج» على وضع الخطط وقيادة الجيوش بل كانت له صفة مدنية باعتباره رأس «الدولة الزنجية» ، وكان اللقب المدني الذي اضفاه على نفسه هو لقب «امير المؤمنين» الذي ضربه على نقوده (١٦) ، وهو يعني ان عليا بن محمد اعتبر نفسه خليفة يحكم دولة مستقلة لا تخضع للخلافة العباسية في قليل او كثير . ان العلامات التي تميز الخليفة هي الخطبة والسكة ، وما دام علي بن محمد لم يخطب باسم الخليفة العباسي، وضرب نقودا تحمل اسمه هو فحسب مقرونا بصفة «المهدي» وتلقب بأمير المؤمنين، فان ذلك دليل واضح جدا على نوايا صاحب الزنج في اقامة دولة مستقلة اعتبر نفسه رأسها وخليفتها الذي يجمع بين يديه السلطات الزمنية والروحية . لقد كان صاحب الزنج يؤم اتباعه في المسجد الجامع الذي شيده في المختارة ويخطب فيهم في ايام الجمعة والاعياد والمناسبات متخذا لقب «الامام» كما تروي المراجع (١٧) .

وقد اسس صاحب الزنج في المختارة دواوين مختلفة كمؤسسات ادارية ، نستطيع ان نميز منها ديوانا للرسائل ، مستنتجين ذلك من وجود كتاب مختلفين كانت مهمتهم اعداد الرسائل لصاحب الزنج ولغيره من القواد الكبار ، فقد كان لعلي بن محمد كاتب يعد له رسائله الى قواده والى الجهات ، مع العلم أن عليا كان يجيد الكتابة . يقول الطبري (١٨) عن صاحب الزنج انه «دعا بدواة وقرطاس لينفذ كتابا الى علي بن ابان يعلمه ما قد اطله من الجيش.. واقبل على كاتبه...» . ونجد اسم محمد بن سمعان يتردد كثيرا في احداث ثورة الزنج باعتباره وزير علي بن محمد وكاتبه ، ونستدل على مكانة ابن سمعان من انه اتخذ له وكيلا يدعى العراقي كان يساعده في اداء اعماله الكتابية . كذلك اتخذ المهلبي — من قواد الزنج — كاتبا له يدعى الكرنبائي الذي كان يسكن في دار انيقة في الجانب الشرقي من نهر ابي الخصيب عند التقائه بشط

العرب • على حين كان ريحان بن صالح المغربي حاجب انكلاي ــ ابن صاحب الزنج ــ وقد تمتع بمركز طيب ، مما يدل على اهمية الحجابة في دولة الزنج • واشتهر في مجال الكتابة محمد بن ابراهيم الذي كتب لاحمد بن مهدي الجبائي احد كبار الموظفين الزنج • وترد بعض الاشارات الى دواوين الزنج التي احرقها العباسيون ودمروها في الفترة الاخيرة من الحرب دون تمييز لانواعها واختصاصاتها ، غير اننا نستطيع ان نستنتج وجود ديوان للجند مهمته توزيع الاعطيات والارزاق عليهم ، وديوان للبريد ، هذا فضلا عن انشاء الزنج لبيت المال بمثابة خزينة مركزية• ويقول الطبري (١٩) في ذلك في معرض حديثه عن الاعمال الحربية التي قام بها الموفق في المختارة «وافضى اصحاب الموفق الى دواوين من دواوين الخبيث ــ يعني صاحب الزنج ــ وخزائن من خزائنه فانتهبت واحرقت» •

واحتذى صاحب الزنج حذو غيره من حكام المسلمين في التنظيم الاداري فعين له عمالا يتولون أقاليم دولته ويصرفون كافة شؤونها ، فنجد احمد بن مهدي الجبائي الذي وصل الى مركز مرموق في «دولة الزنج» حتى ولاه علي بن محمد اكثر اعماله وضم اليه محمد بن ابراهيم الذي تولى الكتابة له ، فلما مات الجبائي طمع محمد بن ابراهيم في وظيفته «فنبذ الدواة والقلم ولبس آلة الحرب وتجرد للقتال» (٢٠) ، ولما برهن على قابلية عالية ولاه صاحب الزنج منصبا كبيرا • وكان احمد بن موسى القلوص واليا للزنج على البصرة بعد احتلالهم اياها سنة ٢٥٧ ، فلما أسره العباسيون تولاها ابن اخته مالك بن بشران • على حين تولى الهمداني منصبا اداريا كبيرا ، وكان المهلبي يلي الاهواز وبهبوذ بن عبد الوهاب يلي الفندم والباسيان وما اتصل بهما من القرى التي بين الاهواز وفارس وقد اتخذ الفندم مركزا لاقامته • وكان عبد الله بن محمد بن هشام الكرماني يلي القضاء والصلاة بطهيثا ، كما

وضع صاحب الزنج قضاة آخرين في مختلف البلدان التابعة له ، منهم سعيد بن السيد العدوي قاضي قرية الحجاجية بواسط ، وقاض آخر كان يصرف شؤون القضاء بعبادان ، فضلا عن وجود قاض في المختارة نفسها لعله كان يمثل قاضي القضاة (٢١) .

وبالاضافة الى ما ذكرنا من المؤسسات العامة نجد اشارات الى بضعة سجون شيدها الزنج في عاصمتهم واتخذوها محابس لاعدائهم واسراهم في حروبهم الطويلة . فهناك سجن في غربي نهر ابي الخصيب وآخر في الجانب الشرقي ، يذكر المؤرخون ان الموفق وجد فيهما عند اقتحام عاصمة الزنج كثيرين من الاسرى والسبايا .

ونود ان نكرر الاشارة اخيرا الى النقود التي اصدرها علي بن محمد في عاصمته مما يشير الى وجود دار لضرب النقود من ناحية والى اعلان استقلاله الفعلي عن الدولة العباسية من ناحية ثانية . وهناك قطعتان نقديتان ذهبيتان للزنج توجد احداهما في المتحف البريطاني والاخرى في باريس ، وترجع الاولى الى سنة ٢٦١ على حين ضربت الاخرى سنة ٢٦٤ . وهذا دليل على ان الحياة العامة والنظم المالية استمرت في دولة الزنج بضع سنوات . وقد نشر الاستاذ ووكر القطعة الاولى الموجودة في المتحف البريطاني ، على حين نشر الاستاذ كازانوفا القطعة الاخرى الموجودة الان في باريس (٢٢) . وقد حذا صاحب الزنج حذو غيره من الحكام المسلمين فنقش على نقوده آيات وذكر اسمه وتلقب بلقب امير المؤمنين ، كما انه ضمن نقوده تاريخ الضرب ومكانه . وقد أسلفنا وصف الكتابات التي وردت في قطعة الاستاذ ووكر فلا حاجة بنا الى اعادة الحديث . وكلما نريد ان نؤكده هنا هو ان الزنج حاولوا اقامة دولة تتوفر فيها شروط السيادة والاستقلال عن سيادة الخليفة العباسي ، باعتبار ان السكة شرط لازم من هذه الشروط .

مراجع وملاحظات (الفصل السادس)

(١) الطبري ج٣ ص ١٧٨٦ ، ابن ابي الحديد ج٨ ص ٣١٥ .
(٢) نفس المرجع ج٣ ص ١٨٣٥ .
(٣) نفس المرجع ج٣ ص ٢٠٥٣ .
(٤) نفس المرجع ج٣ ص ٢٠٤٣ ومواضع اخرى .
(٥) نفس المرجع ج٣ ص ٢٠٠٥ .
(٦) نفس المرجع ج٣ ص ٢٠٥٩ .
(٧) نفس المرجع ج٣ ص ٢٠١٢ .
(٨) نفس المرجع ج٣ ص ٢٠٣٥ .
(٩) نفس المرجع ج٣ ص ٢٠٣٥ .
(١٠) نفس المرجع ج٣ ص ٢٠٤٥–٢٠٤٦ .
(١١) نفس المرجع ج٣ ص ٢٠٤٦–٢٠٤٧ .
(١٢) نفس المرجع ج٣ ص ٢٠٤٦ .
(١٣) نفس المرجع ج٣ ص ٢٠١٤ .
(١٤) Noldeke, P., 157 .
(١٥) الطبري ج٣ ص ٢٠١٧ .
(١٦) Walker, A Rare Coin of the Zanj, P., 651-54 .
(١٧) مرآة الزمان ج٦ ص ١٨٨ .
(١٨) الطبري ج٣ ص ١٨٦٤ .
(١٩) نفس المرجع ج٣ ص ٢٠٣٥ .
(٢٠) نفس المرجع ج٣ ص ١٩٧٩ .
(٢١) نفس المرجع ج٣ ص ١٩٢٤–١٩٧٤ .
(٢٢) Casanova, Revue Numismatique, P., 510-16 .

خاتمة البحث

آثار ثورة الزنج وعوامل اخفاقها

لقد الممنا في الفصول السابقة بثورةالزنج وعوامل قيامها وطبيعتها وعلاقتها بالحركات الاخرى المعاصرة ، وتعرفنا على قائدها علي بن محمد «صاحب الزنج» ، ثم تطرقنا الى المعارك الحربية التي دارت بين الجيوش العباسية وقوات الزنج ، حتى انتهى بنا المطاف الى مقتـــل صاحب الزنج وانتهاء ثورته تلك النهاية المرة التي وصفناها .

جرت وقائع هذه الثورة في السهول الواقعة بين مصب دجلـــة العوراء (شط العرب) وواسط ، وهي اراض مستوية مغطاة بالمستنقعات والبردي والادغال والقصب ، تخترقها القنوات وتنتشر فيها القـــرى والمدن . وقد شهدت هذه المنطقة التي سميت (البطيحة) عصيانا اخـر مشابها ــ وعلى نطاق ضيق ــ قامت به عصابات الـــزط في العصر العباسي الاول . لذلك سهل على الزنج ــ وهم اقوى واكثر عددا من الزط ــ ان يقاتلوا على هذه الارض حرب عصابات طويلة الامد ، خاصة وانهم قد الفوها لاشتغالهم فيها . وقد ادت خبرتهم بهذه المناطق ، وجهل جند العباسيين بمداخلها ومخارجها الى اطالة امد الحرب والى الحاق أبلغ الاضرار وأفدح الخسائر بقوات العباسيين . ونحـن وان كنا لا نركن الى الارقام التي يقدمها المؤرخون ، غير ان عشرات الالوف من الجند العباسيين ومن الزنج كذلك ــ فضلا عن السكـان المدنيين ــ

أزهقت ارواحهم في هذه الحرب البالغة العنف .

كان علي بن محمد قد بدأ ثورته بداية تافهة فلم يكن معه مال ولا سلاح ، حتى قيل ان معسكره لم يكن يحوي غير ثلاثة أسياف . وقد عمد صاحب الزنج في سبيل الحصول على السلاح والمال الى شن غارات خاطفة على القرى القريبة من البصرة فهاجم قرية الجعفرية وحصل على كثير من الاسلحة والاموال . وهكذا لقيت هذه القرى أشد المتاعب ، بل ان قرى البطيحة بأجمعها ذاقت اهوالا شديدة من جراء هذه الغارات وبخاصة قرى حسان والحوانيت والرصافة والقادسية .

كانت ثورة الزنج تنطوي على خسارة كبيرة لمالكي الاراضي واصحاب العبيد ، لان قوام ربحهم وكيانهم الاجتماعي كانا يقومان على تسخير اعداد العبيد الضخمة في الزراعة واصلاح الاراضي بازالة الطبقة الملحية (السباخ) عنها ، بكلفة زهيدة جدا لا تتعدى الغذاء البسيط . فذهاب هؤلاء العبيد كان يعني تعريض زراعتهم للتدهور وأراضيهم للخراب . ومما يدل على تقدير اصحاب الاقطاعيات لعظم هذه الكارثة انهم اتصلوا بصاحب الزنج وعرضوا عليه خمسة دنانير مقابل كل عبد ، لكنه رفض هذه الرشوة ومضى في ثورته قدما . ومن هنا بدأت الحرب بين الملاكين من ناحية وبين صاحب الزنج من ناحية ثانية دون هوادة او لين .

لقد أثرت ثورة الزنج تأثيرا سيئا جدا على اقتصاديات العراق الادنى، وانعكس ذلك على موارد بيت المال العباسي بصورة عامة . لان غارات الزنج على البصرة وواسط والاهواز والابلة وغيرها ادت ـ بطبيعة الحال ـ الى شلل الزراعة والتجارة ، وبالتالي الى شحة موارد الخزينة المركزية (بيت المال) . ان الزراعة تحتاج الى الاستقرار والامن ، فكيف يتأتيان واهل هذه المناطق عرضة للهجمات والغارات ، وعلى أهبة الفرار من بلدانهم وقراهم في اية لحظة ؟ هذا من جهة ، ومن جهة اخرى

كان على سكان هذه المناطق ان يقدموا كل ما لديهم للجيوش المتقاتلة عباسية كانت ام زنجية ، ما دامت قراهم ومدنهم هذه تتداولها الايدي مدة تزيد على اربع عشرة سنة . لقد تمكن الزنج من الاستيلاء على مدن مهمة في اقل من سنة (٢٥٥ ــ ٢٥٦ هـ) مثل الابلة وعبادان وجبي والاهواز ، وفرضوا سلطانهم على مصب دجلة ، واحتلوا مناطق زراعية شاسعة ، مما أثر على بغداد نفسها . وقد قطع الزنج طرق المواصلات مع بغداد، مما الحق بالتجارة اضرارا بالغة . وكلما أعاد قواد العباسيين هذه المواصلات قطعها الزنج ثانية ، حتى ان السفن النهرية لم تستطع ان تسير في شط العرب مدة عشر سنوات (٢٥٥ــ٢٦٥ هـ) . واذا علمنا ان البصرة كانت ميناء العراق الرئيس وعليها اعتمدت تجارة العباسيين الصادرة والواردة أدركنا اي انحطاط واضمحلال قاسته تلك التجارة ، خاصة وان الابلة ــ وهي الميناء البحري الذي يلي البصرة في الاهمية ــ وقعت بأيدي الزنج ايضا .

ان الخسائر التي لحقت بالمناطق التي شملتها الثورة من أملاك الخلافة لا يمكن تقديرها، فقد كان الزنج حين يهاجمون مدينة من المدن المقاومة يعطلون مؤسساتها العامة ويضعون ايديهم على ما بها من الاموال والثروات ، ويحررون العبيد ويضمونهم الى قواتهم المقاتلة ، ويأسرون ويقتلون عددا من رجالها . وان المراجع تسهب في وصف الاهوال التي لاقتها الابلة ــ الميناء الواقع في زاوية الخليج العربي ــ فقد صحب دخول الزنج اليها مجزرة هائلة ، وذهبت بيوت المدينة المبنية من خشب الساج طعمة للنيران . وقد ارتاعت عبادان من هذا المصير فاستسلمت فحرر الزنج ما بها من عبيد ووضعوا ايديهم على ما بها من الاموال والسلاح . ولقيت الاهواز المصير نفسه يوم وقعت في ايديهم في يوم الاثنين ١٢ رمضان سنة ٢٥٦ (١٢ آب سنة ٨٧٠ م) .

على ان اكبر خسارة لاقتها الخلافة العباسية هي سقوط البصرة ،

التي فزع اهلها من مصير الابلة والاهواز فهجروا مدينتهم وتفرقوا في بلدان شتى . وقد ضرب الزنج على هذه المدينة المترفة حصارا اقتصاديا شديدا وضغطوا عليها وخربوا ما حولها من المناطق تمهيدا لمهاجمتها . وقد ادى هذا الحصار الاقتصادي وما صحبه من المجاعة الى انهيار مقاومة الحامية الضئيلة العدد التي مزقتها الضغائن والتي عقدت عليها الآمال في رد هجوم الزنج ، فدخلها هؤلاء في سنة ٢٥٧ هـ .

وقد تصدى المؤرخون والشعراء الى وصف الفاجعة التي حلت بالبصرة وصفا يتميز بالمبالغة لكنه ـ مع ذلك ـ يسمح للقارىء العصري ان يقف على صورة بشعة للحرب ومآسيها في تلك الحقبة من التاريخ الوسيط التي تميزت بالعنف والقسوة من مختلف الاطراف . وقد مر بنا ما رواه المسعودي من ان كثيرا من اهل البصرة اختفوا في الدور والآبار ، وانهم كانوا يخرجون في الليل ليأكلوا كل ما تقع عليه ايديهم من الكلاب والقطط والفيران بل ولحوم البشر من اعزائهم وفلذات أكبادهم !

لقد اوحى «خراب البصرة» ـ الذي ما زال مضرب الامثال ـ لعلي بن العباس بن جريح المشهور بابن الرومي (١) بقصيدة فريدة في بابها تقف وثيقة مهمة تسجل هذه الحادثة التاريخية .

يقول ابن الرومي بعد ان يعبر عن جزعه على دخول صاحب الزنج البصرة :

اي نوم من بعد ما اتتهك الز ـ نج جهارا محارم الاسلام
أقدم الخائن اللعين عليها ـ وعلى الله ـ أيما اقدام

ويصف الشاعر مدينة البصرة اذ ذاك ، وقبل ان تخرب على ايدي الزنج ، فيجعلها معدن الخيرات وقبة الاسلام ، وفرضة البلدان . ثم

يصف دخول الزنج اليها فيقول :

بينما اهلهـــا بأحسن حـــال ... اذ رماهم عبيدهم باصطـــلام
دخلوها كأنهـــم قطع الليـــل ... اذ راح مدلهـــم الظـــلام
اي هـــول رأوا به اي هـــول ... حـــق منه يشيب رأس الغـــلام
اذ رموهم بتارهم من يمـــين ... وشمـــال وخلفهـــم ، وأمـــام
كم أغصوا مـــن شارب بشراب ... كم أغصـــوا من طاعـــم بطعام
كم ضنين بنفسه رام منجـــى ... فتلقوا جبينـــه بالحســـام
كم أخ قـــد رأى أخاه صريعـــا ... ترب الخد بين صرعى كـــرام
كم اب قـــد رأى عزيز بنيـــه ... وهـــو يعلـــى بصارم صمصام
كم مفدى في اهله اسلمـــوه ... حين لم يحمه هنالك حامـــي
كم رضيع ، هناك ، قد فطموه ... بشبا السيف قبل حين الفطـــام
كم فتاة ــ بخاتم الله ــ بكـــر ... فضحوها جهرا بغـــير اكتتـــام
كم فتاة مصونة قد سبوهـــا ... بارزا وجههـــا بغـــير لثـــام
من رآهن في المساق سبايـــا ... داميـــات الوجـــوه للأقـــدام
من رآهن في المقاسم ــ وسط الزنج ... ــ يقسمن بينهم بالسهـــام
مـــن رآهن يتخذن امـــاء ... بعـــد ملك الاماء والخـــدام

من هذه الابيات ومما يسوقه لنا المؤرخون نكوّن صورة واضحة عن ذلك الهجوم العنيف الماحق الذي شنه الزنج على البصرة (يـــوم الجمعة ١٧ شوال سنة ٨٥٧) : «فهذا شارب او طاعم حين هجم عليـــه الزنج غص بشرابه وطعامه، وهذا هارب ضنين بنفسه قد جبهته سيوفهم وتلقت جبينه ، وهذا أخ يرى أخاه صريعا قد عفر التراب خده بين كرام غيره، معفرة خدودهم . ثم يقدم الينا صورة عن تلكم الفتيات الابكار على خاتم الله قد فضحهن الزنج وفضوهن جهرة بغير اكتتام . ثم ساقوهن

الى السبي يفرقونهن بينهم ويقتسمونهن اماء وكنّ من قبل يملكن الاماء والخدام (!) » .

ويعرج ابن الرومي الى ذكر ما جرى «من بيع السبايا وتخريب البيوت البارة كانت مأوى الضعاف والايتام ودخول القصور العامرة كانت من قبل صعبة المرام» (٢) .

ويبدو من هذه القصيدة ان البصرة كانت مدينة صاخبة مزدحمة بالخلق يحدثون فيها كثيرا من الصخب والضجة والضوضاء ، وهي ذات ابنية محكمة البنيان وقصور عامرة تزخر بالحياة ، وأسواق ذات تجارة عظيمة وبيع وشراء ومعاملة لا تنقطع ، وسفن وفلك تسير منها واليها بالتجارة والناس (٣) . فماذا جرى بعد دخول الزنج ؟ لقد هدأت الضوضاء وغدت القصور الشامخة تلالا من رماد وركام ، وسلط عليها الماء والنار فتداعت أركانها ، وهجرها الناس فاذا هي قفر لا تبصر العين بها احدا ... لكن ربوعها ملأى بأيد وأرجل وهامات هي أشلاء القتلى . يقول ابن الرومي :

اين ضوضاء ذلك الخلق فيها ... اين ذاك البنيان ذو الاحكام
بدلت تلكم القصور تلالا ... من رماد ومن تراب ركام
سلط البثق (٤) والحريق عليها ... فتداعت أركانها بانهدام
بل الما بساحة المسجد الجا ... مع ان كنتما ذوي المام
فأسألاه — ولا جواب لديه — ... اين عباده الطوال القيام

بعد هذه الصور البارعة المؤثرة يخرج ابن الرومي الى غرضه الخفي من هذه القصيدة ، وهو الدعوة الى الثأر من صاحب الزنج الذي قاد «العبيد الطغام» الذين «انتهكوا محارم الاسلام» (٥) . ومهما يكن من قصد هذا الشاعر فان قصيدته هذه التاريخية تستحق

من المؤرخ الاهتمام والدرس .

ومن آثار ثورة الزنج المهمة ان انشغال الموفق بهذه الحركة شجع ثوارا آخرين على ان يستهينوا بالخلافة ويثوروا عليها وينتقصوا من هيبتها . فقد استطاع يعقوب الصفار ان يستغل فرصة ضعف الخلافة من ناحية وانشغالها من ناحية ثانية ، فيقتطع جزءا كبيرا من املاكها ويهدد الخلافة في الصميم ، حتى بلغ «جدران بغداد» (٦) . وظهر مغامر اخر هو محمد بن عبيد الله الكردي الذي غدا عاملا للصفار على الاهواز ، فاتحد مع صاحب الزنج ضد الخلافة العباسية . وحين وجد الموفق ان خطر الصفار فاق كل خطر اخر اهمل الزنج الى حين ، ووجه كل همه للصفارين . وهذه الفرصة بالذات اتاحت لصاحب الزنج ان يمد نفوذه الى المناطق الشمالية مستغلا خلوها من قوات الدولة ، حيث عاونته القبائل العربية المستقرة في البطائح جنوبي واسط .

لقد ادت حرب الزنج الى نقاذ موارد المشرق نتيجة احتلالهم المدن وتخريبهم الاراضي وعرقلتهم المواصلات «وتثاقل الناس عن حمل الخراج حين علموا بخروج صاحب الزنج» (٧) . وشجع ذلك احمد بن طولون على الوقوف في وجه ابي احمد الموفق مما ادى بهما الى الاصطدام . وأتاح ضعف الخلافة لابن طولون ان يوسع املاكه ما بين سنتي ٢٦٤ـ٢٦٥ هـ فاحتل الرملة ودمشق وحمص وانطاكية وطرسوس (٩) ، بل جرؤ ابن طولون على ان يكون مجمعا من العلماء والفقهاء ويخلع الموفق عن ولاية العهد ويدعو الناس الى حربه (١٠) .

كانت ثورة الزنج اول حركة تمخض عنها الوضع السياسي والاجتماعي والاقتصادي الذي ساد الخلافة العباسية. ويبدو انها كانت الشرارة التي اشعلت نار الافكار الكامنة ، فلم تلبث السنين القادمة ان شهدت حركات اخرى مشابهة في الدافع والهدف مثل حركة القرامطة

والاسماعيليين ، وهكذا امتلأ القرن الثالث والرابع بدعايات اجتماعية مصطبغة بصبغة دينية ظاهرية . ففي الوقت الذي كانت حركة الزنج تجري أحداثها في الساحة الممتدة ما بين البصرة وواسط ، كان القرامطة ـ وهم فرع من الاسماعيليين ـ ينشرون دعوتهم بين سكان جنوبي العراق من العرب والنبط وجلهم من الفلاحين والصناع، الذين اقبلوا على هذه الدعوة بحماس شديد . وقد ذكرنا من قبل ان حمدان قرمط حاول التفاهم مع صاحب الزنج لكن هذا رفض العرض وآثر العمل وحده . على ان هناك سببا هاما حال دون تعاون هذين الثائرين، وهو ان صاحب الزنج كان يدين بعقيدة الخوارج على الرغم من ادعائه النسب العلوي ، في حين كانت القرمطية دعوة مغالية تفرعت عن الاسماعيلية وان كانت أقل منها تطرفا . ونحن نستطيع ان نفترض بان نجاح صاحب الزنج طوال سني الحركة ، قد شجع القرامطة وغيرهم على ان يبثوا دعواتهم في العراق وبين طبقاته العامة ، ثم وسعوا مجال دعوتهم الى البحرين وغيرها .

كان من آثار ثورة الزنج نشوء مدينتين زاهرتين ترعرعتا وسط ميدان القتال ، هما مدينة المختارة عاصمة صاحب الزنج ، والموفقية مركز قوات ابي احمد الموفق . فعلى ضفة ابي الخصيب الغربية بنى علي بن محمد حاضرته التي حصنها بالاسوار والخنادق ولم تلبث ان ازدهرت فبنيت فيها الاكواخ والبيوت والقصور والمؤسسات العامة من سجو نوقلاع ودواوين . وكانت تشمل مساحات واسعة ، وسرعان ما نمت فأحتلت ضفتي ابي الخصيب الشرقية والغربية معا. وكانت تحيط بها مزارع النخيل التي اصبحت خير مورد لتموين جيوش الزنج ، ووسيلة لتبادل البضائع والامتعة التي كان يأتي بها التجار والبدو لمدينة الزنج. وعلى الرغم من ان المراجع لا تمدنا بالتنظيمات الداخلية «لدولة الزنج» القصيرة العمر ، فان هناك اشارات الى ان علي بن محمد قد اسس

دواوين لادارة الشؤون العامة ، وكان لديه بيت مال يحوي امواله الكثيرة ، كما فرض على اهالي المناطق الخاضعة له ضرائب معينة . وقد أسلفنا القول ان علي بن محمد «صاحب الزنج» قد اصدر نقودا خاصة بدولته تحمل اسمه وتاريخ ضربها وشعار حركته وهو : «الا لاحكم الا الله» والآية الكريمة التي تدل على انه كان يعتنق مذهب الخوارج (ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بأن لهم الجنسة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ...) (١١) .

اما الموفقية فقد بناها ابو احمد سنة ٢٦٧ على جانب دجلة ازاء المختارة عاصمة الزنج (١٢) لكي يكون قريبا من اعدائه فيستطيع ان يقطع الميرة عنهم ويحولها الى مدينته . وقد نجح الموفق فعلا في انماء هذه المدينة فجلب لها الميرة وشجع التجارة فجاءتها القوافل وقصدها التجار من كل مكان يحملون صنوف الامتعة ، ووردت اليها السفن المحملة بعد ان استطاع الموفق اعادة المواصلات النهرية ، وأصدر بها نقودا جديدة تسهل على الناس معاملات البيع والشراء (١٣) .

ولعل من اهم آثار حركة الزنج وتنائجها اظهار شخصيتين فذتين على مسرح تاريخ هذه الحقبة . اما الشخصية الاولى فهي شخصية علي بن محمد «صاحب الزنج» . كان من غمار الناس ليس له حسب ولا نسب ، ولا شيء من مال او نشب ، لكنه امتاز بارادة قوية وفكر ثاقب وحيلة واسعة وتدبير حسن ، فاستغل الظروف السائدة ونال نجاحا منقطع النظير اكثر من اربع عشرة سنة غير بعيد عن مركز الدولة .

والشخصية الاخرى هي شخصية ابي احمد الموفق طلحة . كان من بيت الخلافة ، لكنه اختلف عن جميع امراء تلك الفترة ، الذين لم يكن لاكثرهم هم سوى اللهو وممارسة اللذائذ. كان هذا الرجل الفذ شخصية نادرة في قوة الارادة والشجاعة ورباطة الجأش . وقد

اتاحت له الظروف السيئة التي مرة بها الخلافة العباسية ، ان يصبح اعظم شخصيات الدولة في هذه الحقبة ، حتى طغت شخصيته على شخصية الخليفة، وغدا بيده الامر والنهي في جميع شؤون الدولة(١٤).

ونستطيع ان نعدّ ابا العباس ثمرة لهذه الحركة ، فقد استطاع ابوه الموفق ان يظهره الى ميدان السياسة والحرب باسناد قيادة الجيش اليه ، فاستطاع على الرغم من صغر سنه ان يلعب دورا مهما في القضاء على الزنج ، ومن قراءة تفاصيل المعارك نجد انه كان الساعد الايمن لابيه . وحين انتهت الحركة ارسله الموفق امامه الى بغداد فدخلها في موكب فخم وهو يحمل بين يديه رأس صاحب الزنج ، فاستقبله الناس «بالتكبير والشكر لله والمدح لابن الموفق وأبيه ودخل احمد بن الموفق بغداد ... وضربت القباب وزينت الحيطان» (١٥) . ويبدو ان هذه الانتصارات هي التي رشحت ابا العباس للخلافة فتولاها بعد المعتمد وتلقب بالمعتضد بالله (٢٧٩-٢٨٩ هـ) .

والذي يتتبع سيرة المعتضد يلمس بوضوح حقده على الزنج وكراهيته العميقة لهم . فقد امر بقلع اظافر (قرطاس) احد الاسرى الزنج وسلخ جلد اصابع كفه من رؤوسها الى اكتافه ففتل أوتارا صلب بها . وربط (شيلمة) احد قواد الزنج على اعمدة الخيم ، بل قيل انه ادخل سيخا في دبره وقلبه على النار حتى اصبح شواء ! ولعل ابرز مثل على عمق كراهية المعتضد للزنج (١٦) -وهو خليفة- هذه القصة ذات الدلالة التي رواها ابن الجوزي (١٦): «ان المعتضد بالله كان يوما جالسا في بيت يبنى له يشاهد الصناع، فرأى في جملتهم غلاما اسود منكر الخلقة شديد المزح ، يصعد على السلاليم مرقاتين مرقاتين ويحمل ضعف ما يحملونه ، فأنكر امره فأحضره وسأله عن سبب ذلك فلجلج .. قال : (اي المعتضد) .. اما ان يكون معه (اي مع الزنجي) دنانير قد ظفر بها دفعة من غير وجهها او يكون لصا يتستر

بالعمل في الطين .. فقال : علي بالاسود فأحضر وقال : مقارع ! فضربه نحو مائة مقرعة وقرره وحلف ان لم يصدقه ضرب عقنه واحضر السيف والنطع . فقال الاسود : لي الامان ؟ فقال : لك الامان الا ما يجب عليك فيه من حد ، فلم يفهم ما قال له ، وظن انه قد أمنه . فقال : انا كنت اعمل في اتاتين الاجر سنين وكنت منذ شهور هناك جالسا ، فاجتاز بي رجل في وسطه هميان فتبعته فجاء الى بعض الاتاتين فجلس .. فحل الهميان .. فتأملته فاذا كله دنانير فناورته وكتفته وسددت فاه واخذت الهميان وحملته على كتفي وطرحته في نقرة الاتون وطينته... والدنانير معي يقوى بها قلبي..وضرب عنق الاسود وأمر ان تحمل جثته الى الاتون» .

يغالي المؤرخون في ذكر اعداد القتلى الذين ذهبوا ضحايا ثورة الزنج ، فقد قيل(١٧) انه قتل من المسلمين الف الف وخمسمائة الف ما بين شيخ وشاب وذكر وأنثى . وقتل في يوم واحد بالبصرة ثلاثمائة الف» . وتبدو المبالغة في هذا العدد واضحة جلية لكن عدد القتلى كان كبيرا على كل حال ، اذا صدقنا ما يقوله جل المؤرخين من ان معركة البصرة وحدها اسفرت عن قتل ٣٠٠ الف شخص من اهلها (١٨) . واذا اخذنا بنظر الاعتبار القتلى الذين اسفرت عنهم معارك الزنج طوال هذه الفترة وكلها تقدر بالآلاف . ففي الاهواز مثلا قدر عدد القتلى بخمسين الفا .

وتلخص آثار ثورة الزنج السيئة على الخلافة العباسية في تلك الرسالة التي بعث بها الموفق الى صاحب الزنج يدعوه فيها الى التوبة «والانابة الى الله تعالى مما ركب من سفك الدماء وانتهاك المحارم ، واخراب البلدان والامصار ، واستحلال الفروج والاموال وانتحال ما لم يجعله الله له اهلا من النبوة والرسالة» (١٩) .

وقد ذهب ضحية لحرب الزنج هذه جلة من الاعيان والادباء والمحدثين والعلماء ، تذكر المراجع منهم ابا سعيد الاشجع وبريد بن أخرم الطائي والرواس وقد قتلوا في جملة من قتلوا من اهل البصرة .

ولعل اكبر خسارة علمية منيت بها البصرة هي قتل ابي الفضل الرياشي النحوي واللغوي المشهور الذي قتله الزنج ايضا .

وهكذا تعددت آثار هذه الحركة الخطرة وتنوعت وتركت صدى بعيدا في تاريخ الدولة العباسية في القرن الثالث الهجري فلا عجب اذا فرح سكان المناطق المنكوبة بانتهاء تلك الحرب الطويلة والعودة الى ديارهم التي شردوا منها وتفرقوا ايدي سبأ بسببها . وقد اصدر الموفق بيانا الى العالم الاسلامي يهيب فيه بأهل «البصرة والابلة وكور دجلة والاهواز وكورها واهل واسط وما حولها مما دخله الزنج ... ان يؤمروا بالرجوع الى اوطانهم» (٢١) . ولم يلبث ابو احمد ان نظم امور هذه المناطق المنكوبة المخربة وعمل على اعادة الحياة الى مجراها الطبيعي ، وعين الولاة والقضاة الموثوق بعدالتهم (٢٢) قبل ان يعود الى بغداد عودة الظافر المنتصر .

اما شعراء ذلك العصر ـ ممن أولعوا بشعر المديح ـ فقد عبروا عن فرحتهم وسرورهم بانتصار الخلافة . قال يحي بن محمد الاسلمي :

اقول وقد جاء البشير بوقعة ... أعزت من الاسلام ما كان واهيا
جزى الله خير الناس للناس بعدما ... أبيح حماهم خير ما كان جازيا
تفرد اذ لم ينصر الله ناصرا ... بتجديد دين كان اصبح باليا
ويشفي صدور المؤمنين بوقعة ... تقر بها منا العيون البواكيا
ويتلى كتاب الله في كل مسجد ... ويلقى دعاء الطالبين خاسيا

وقال يحي بن خالد في الموفق :

يا ابن الخلائف من أرومة هاشم والغامرين الناس بالافضال
والذائدين عن الحريم عدوهم والمعلمين لكل يوم تنزال
ملك أعاد الدين بعد دروسه واستنقذ الاسرى من الاغلال

وهكذا عبر شعراء العصر عن الفكرة السائدة ، وهي ان ثورة العبيد ان هي الا خروج على الدين ، وان الموفق ـ في محقه هذه الثورة ـ انما قد نصر الدين وأعاد مجده ، فضلا عن انه نصر الخلافة ورد اليها كرامتها .

ان اشعار المعاصرين ـ على الرغم مما فيها من مبالغة وتملق ـ تعطينا صورة واضحة عن الآثار البالغة الخطورة على مركز السلطة المركزية . فمن قصيدة يحي بن محمد الاسلمي السالفة الذكر نقف على هذا الوصف للعمارات المخربة ، والامصار المباحة التي احرقت فغدت اثرا بعد عين .

ورد عمارات ازيلت وأخربت ليرجع فيء قد تحزم وافيا
ويرجع أمصار ابيحت وأحرقت مرارا فقد أمست قواء عوافيا

ويمدنا يحي بن خالد بن مروان بصورة حزينة لتلك الديار التي خربت ، وأولئك الهاربين المذعورين الذين غادروا اوطانهم على اثر غارات الزنج ، ثم يعود الشاعر فيعبر عن فرحته بالنصر وبعودة الهاربين الى ديارهم بعد ما قضى الموفق على الزنج قضاء مبرما .

منازل أبكاني مغاني اهلها وضاقت بي الدنيا وأسلمني الصبر
وعاثت صروف الدهر فيهم فأسرعت وشر ذوي الاصعاد ما فعل الدهر
فقد طابت الدنيا وأينع نبتها بيمن ولي العهد وانقلب الامر
وعاد الى الاوطان من كان هاربا ولم يبق للملعون في موضع اثر
بسيف ولي العهد طالت يد الهدى وأشرق وجه الدين واصطلم الكفر

وبعد ، فجملة القول في «ثورة الزنج» انها كانت تعبيرا عنيفا عن سوء الحالة الاجتماعية التي كانت تقاسيها طبقة العبيد المشتغلين في اراضي البطيحة . وقد اتفق ان امتلأ ذلك العصر بدعاية دينية في الظاهر واجتماعية في محتواها ، واتفق كذلك ان كثر الدعاة الطامحون أمثال علي بن محمد ، فكان له في الزنج مادة صالحة للعمل السياسي ، بعد اقناعهم ــ عن طريق الوعود المعسولة والاماني البراقة ــ بان الثورة هي طريقهم الوحيدة لتحسين احوالهم .

ويجدر بنا قبل ان ننهي بحثنا ، ان نعدد الاسباب التي طوحت بثورة الزنج وحكمت عليها بالاخفاق ، مع انها استمرت اكثر من اربع عشرة سنة ، وأمتد لهيبها الى مناطق شاسعة في العراق وفارس :

اولا ــ كانت ثورة الزنج ــ كما أسلفنا ــ حركة ضيقة لا تنطوي على برنامج دقيق ، ونظرية تضمن لها البقاء والانتشار الواسع . وكان بقاؤها وقوتها منوطين بزعيمها واندفاع أتباعه العبيد من ناحية ، وبضعف الخلافة وانشغالها من ناحية ثانية . وهذا ما يفسر عدم رواج الدعوة بين الاحرار من اهل البصرة ، وتعذر التعاون بين الزنج والقرامطة .

ثانيا ــ ان اعتناق صاحب الزنج مباديء الخوارج الأزارقة جلب عليه نقمة العلويين وبغضهم ، لان الخوارج كانوا ألد اعداء الشيعة مما حدا بهؤلاء الى عدم التعاون مع علي بن محمد .

ثالثا ــ كانت ثورة الزنج قد قامت ابان ضعف الخلافة العباسية وتفسخ الادارة والسياسة في العاصمة ، فأتاح هذا الضعف لصاحب الزنج ان ينشر دعوته في المناطق الجنوبية من العراق ، حيث لا توجد قوات كبيرة للدولة . فلما تولى الامر ابو احمد الموفق وكان شخصا قويا حازما استطاع ــ بعد فراغه من اعدائه الاخرين ــ ان يركز جهوده نحو حركة الزنج فيقضي عليها قضاء مبرما كما رأينا .

رابعا ــ كان الزنج قد لبوا دعوة علي بن محمد فرارا من وضعهم

السيء وأملا في تحسين حالتهم الاجتماعية المزرية ، فلمـــا رأوا ان الحركة لم تسفر عن نتائج حاسمة ، وأن الموفق منحهم الامان وأغدق عليهم الاموال ، هجروا زعيمهم والتحقوا بجيش العباسيين بعد ان عضهم الجوع بنابه وتعرضوا لخطر الموت .

خامسا ـ كان لشخصية الموفق اثر كبير في القضاء على هـــذه الحركة فقد استطاع ان يعبيء الجيوش الضخمة والقوات الجرارة ، ويحشد الاموال والذخائر في «الموفقية» فيتمكن من ان يشل ثـــورة الزنج ويقضي عليها .

سادسا ـ ان الحصار الاقتصادي الذي ضربه الموفق على الزنج كان عاملا مهما في القضاء عليهم ، لانهم في ايامهم الاخيرة اخـــذوا يقاسون من قلة الميرة والغذاء ، حتى ان الاسير منهم ـ على حد قول الطبري ـ كان يسأل عن عهده بالخبز فيذكر انه لم يذقه من سنة . ويغالي المؤرخون فيقولون انهم اكلوا لحوم الناس بل ولحوم الموتى . وهذا الضيق دفع كثيرين منهم الى ان يهجروا معسكرهم مستأمنين الى الموفق، حتى ان صاحب الزنج وجد نفسه في ايامه الاخيرة في شرذمة قليلة من أتباعه ، وكان هذا عاملا اساسيا من عوامل اخفاق الثورة .

سابعا ـ لم تكن ثورة الزنج خروجا على الدولة والنظام القائم فحسب بل خروجا على الدين كذلك في نظر المعاصرين ، لذلك تطوع آلاف الناس لحرب الزنج من العراق وفارس والبحرين . وهذا هـــو الطابع الذي انطبعت به كل الحركات التي قامت آنذاك ، فنظر اليها الاتقياء والمتدينون نظرة سخط ومقت ووصموها بالزندقة والزيـــغ ومخالفة الدين .

ثامنا ـ كان جيش العباسيين يقوم على تنظيمات عسكرية دقيقـة وأسلحة متنوعة ، ويتمتع بتدريب جيد وتغذية حسنة . في حين كان اسلوب الزنج اشبه بحرب العصابات لا تقدر الا على الهجوم الخاطف

القائم على السرعة وبث الكمائن، لذلك كانت أنجح غاراتهم هي الغارات الليلية ، ونادرا ما قام الزنج بهجوم منظم ووقفوا وجها لوجه امـــام الجيش العباسي .

تاسعا ــ كان طول المدة التي استغرقتها الثورة عاملا مهما في عدم نجاحها ، لان الزنج فقدوا كثيرا من قواتهم كما لقوا مقاومة من اهالي جنوب العراق ، فضلا عن مقاومة الدولة .

عاشرا ــ ان سعة المنطقة التي احتلها الزنج ادت الى بعثرة قواتهم هنا وهناك ، والى تفريق حاميات ضئيلة العدد في كل مركز احتلوه، وهذا عامل مهم ايضا في اخفاق الثورة ، فقد تعذر على صاحب الزنج تركيز قواته في الاماكن التي يتطلبها الموقف العسكري .

الحادي عشر ــ ان الاضرار التي تعرض لها اهل المدن التـــي احتلها الزنج زادت من ضراوة مقاومتهم للثورة ، وقد زاد من عداء الاهالي ان الزنج كانوا من عبيدهم فشق عليهم ان يغدوا سادة لهم .

مراجع وملاحظات (خاتمة البحث)

(١) محمود الشرقاوي . فتنة الزنج ورثاء البصرة في شعر ابن الرومي (الرسالة سنة ١٩٤١ عدد ٣٩٨ ص ١٨٤–١٨٦) .
(٢) نفس المرجع ص ١٨٥ .
(٣) ديوان ابن الرومي ص ٤١٩–٤٢٧ .
(٤) ينبثق الماء بثقا حين ينكسر الشط .
(٥) ديوان ابن الرومي ص ٤١٩–٤٢٧ .
(٦) ابن الاثير ج٧ ص ١١٥ .
(٧) ابن الداية . سيرة احمد بن طولون ص ١٩ .
(٨) نفس المرجع ص ٢١ .
(٩) المقريزي : الخطط ج١ ص ٣٢٠ .
(١٠) نفس المرجع ج١ ص ٣٢٠–٣٢١ .
(١١) سورة التوبة آية ١١١ .
(١٢) مرآة الزمان ج٦ ورقة ٩٠ .
(١٣) ابن الاثير ج٧ ص ١٤٠ ، ابن كثير ج١١ ص ٤١ .
(١٤) الفخري ص ١٨٢ .
(١٥) ابن الجوزي ج٥ ص ٧٠ .
(١٦) ابن الجوزي ، الاذكياء ص ٣١–٣٢ .
(١٧) النجوم الزاهرة ج٣ ص ٤٨ .
(١٨) نفس المرجع ج٣ ص ٤٨ .
(١٩) ابن الجوزي : المنتظم ج٥ ص ٥٩ .
(٢٠) النجوم الزاهرة ج٣ ص ٢٧ .
(٢١) المنتظم ج٥ ص ٧٠ ، ابن الاثير ج٧ ص ١٦٢ .
(٢٢) التنوخي : نشوار المحاضرة ج١ ص ١٢٦–١٢٧ .

ملحق

انهار البصرة

لقد غالى المؤرخون والبلدانيون القدامى في تقدير عدد انهار البصرة كما أسلفنا ، حتى لقد قدرها الاصطخري بمائة وعشرين الفا • وقد اوردنا في الفصل الرابع ذكر بعض الانهار المهمة ذات العلاقة بأحداث «ثورة الزنج» • واتماما للفائدة نورد هنا ثبتا بالانهار القديمة التي ورد ذكرها في المصادر وتتلوه بثبت اخر لانهار البصرة في يومنا هذا ، مع الاشارة الى بعض الحقائق والتفاصيل المتعلقة بموضوع البحث •

اولا : الانهار القديمة (ابان ثورة الزنج) :

الابلة ــ ابو الخصيب ــ الامير ــ القندل ــ ابن عميرة وهو منسوب الى عبد الله بن عمير بن عمرو بن مالك الليثي ــ أزي يتصل به نهر الاجانة ، وعليه تقع ارض حمران التي اقطعها اياها عثمان ــ ام حبيب نسبة الى ام حبيب بنت زياد اقطعها فيه وكان عليه قصر كثير الابواب يسمى الهزار در (الالف باب) ــ ام عبد الله منسوب الى ام عبد الله بن عامر بن كريز امير البصرة فيعهد عثمان ــ الايسر بين الاهواز والبصرة،

بُريه وهو ابراهيم بن محمد بن اسماعيل وكان في البصرة حين دخلها صاحب الزنج ـ بشار يتفرع من الابلة وينسب الى بشار بن مسلم بن عمرو الباهلي أخي قتيبة وكان قد اهدى الى الحجاج التقفي فرسا فاقطعه سبعمائة جريب وقيل اربعمائة فحفر لها نهرا نسب اليه ـ جطيّ عليه قرى ونخيل ويقع على الضفة الشرقية لدجلة العوراء حيال نهر اليهودي ـ جعفر بين البصرة ومطارا من الجانب الشرقي ونسب الى جعفر مولى سلم بن زياد وكان خارجيا ـ جوبرة يدخل في نهر الاجانة وهو منسوب الى امرأة باسم بره لعلها بنت زياد بن ابيه او لعلها بنت ابي بكر وقيل بل الى امرأة ثقفية بهذا الاسم ـ حرب منسوب الى حرب بن سلم بن زياد بن ابيه وكان قطيعة لأبيه ـ حميدة نسب الى حميدة ام عبد العزيز بن عبد الله بن عامر من كريز وهي من بني عبد الرحمن بن سحرة بن حبيب بن عبد شمس ـ دُبًّا يأخذ من دجلة (العوراء) وقد حفره الرشيد ـ سعيد ـ سلم نسبة الى سلم بن عبد الله بن ابي بكرة ـ شيطان ينسب الى مولى لزياد بن ابيه ـ عبدان في جانب الفرات ينسب الى رجل من اهل البحرين ـ العلاء وهو العلاء بن شريك الهذلي من اهل المدينة اقطعه عبد الملك بن مروان مائة جريب فحفر فيها نهرا ـ فيروز قيل انه نسب الى مولى لبني ثقيف وقيل بل نسب الى مولى لربيعة بن كلدة الثقفي ـ كثير نسب الى كثير بن عبد الله السلمي ابي العاج عامل يوسف بن عمر الثقفي على البصرة لانه احتفره ـ المبارك احتفره خالد بن عبد الله القسري والي هشام ـ مرة نسبة الى مرة بن ابي عثمان مولى عبد الرحمن بن ابي بكر اقطعه اياه زياد بوساطة عائشة ـ مرغاب حفره بشير بن عبد الله بن ابي بكرة المرغاب ـ مكحول نسبة الى مكحول بن حاتم الاحمسي اقطعه عبد الملك قطيعة فحفر فيها هذا النهر وقيل انه منسوب الى مكحول بن عبد الله السعدي ـ نافذ وهو مولى لعبد الله بن عامر ، ورد في الطبري: ان يهبوذ قائد صاحب الزنج اجتاز

من نهر ابي الخصيب الى معترض يؤدي الى نهر اليهودي ثم سلك نهر نافذ حتى خرج منه الى نهر الابلة اي ان نهر نافذ يصل بين نهري اليهودي والابلة ـ يزيد منسوب الى يزيد بن عبد الله الحميري الاباضي ـ يزيدان نسبة الى يزيد بن عمر الاسيدي صاحب شرطة عدي بن ارطأة ـ ام عبد الله دجاجة نسبة الى دجاجة بنت اسماء بن الصلت السلمية ـ طلحتان نسبة الى طلحة بن ابي نافع مولى طلحة بن عبيد الله ـ خيرتان لخيرة بنت ضهرة القشيرية امرأة المهلب ولها مهلبان الذي وهبه لها المهلب ـ جبيران لجبير بن حية ـ خلفان قطيعة عبد الله بن خلف الخزاعي ابي طلحة الطلحات ـ طليقان لال عمران بن حصين الخزاعي ـ أنسان نسب الى أنس بن مالك ـ ذراع نسب الى ذراع النمري بن ربيعة وهو ابو هارون بن ذراع ـ حبيب نسب الى حبيب بن شهاب الشامي التاجر في قطيعة من زياد ويقال من عثمان ـ ابي بكرة نسب الى ابي بكرة بن زياد ـ زيادان نسب الى زياد مولى بني الهيثم وهو جد مؤنس بن عمران بن جميع بن يسار ـ ازرقان نسب الى الازرق بن مسلم مولى بني حيفة ـ محمدان نسب الى محمد بن علي بن عثمان الحنفي ـ مقاتل نسب الى مقاتل بن جارية بن قدامة السعدي ـ عميران نسب الى عبد الله بن عمير الليثي ـ سيحان كان للبرامكة وهم سموه سيحان ـ حصينان لحصين بن ابي الحر العنبري ـ عبيدلان لعبيد الله بن ابي بكرة ـ عبيدان لعبيد بن كعب النميري ـ منقذان لمنقذ بن علاج السلمي ـ عبد الرحمانان كان لابي بكرة بن زياد فاشتراه ابو عبد الرحمن مولى هشام ـ نافعان لنافع بن الحارث الثقفي ـ اسلمان لاسلم بن زرعة الكلابي ـ حمرانان لحمران بن ابان مولى عثمان ـ قتيبان لقتيبة بن مسلم ـ خشخشان لال الخشخاش العنبري ـ البنات نسبة الى بنات زياد اقطع كل بنت ستين جريبا ـ سعيدان لال سعيد بن عبد الرحمن بن عباد بن اسيد ـ سليمانان قطيعة لعبيد بن

قسيط صاحب الطوف ايام الحجاج فرابط بها رجل من الزهاد يقال له سليمان بن جابر فنسبت اليه ـ عمران لعمر بن عبيد الله بن معمر التيمي ـ فيلان لفيل مولى زياد ـ خالدان نسب الى خالد بن عبد الله بن اسيد بن ابي العيص بن امية ـ عثمان بن ابي العاص الثقفي من عثمان بن عفان ـ المسمارية نسبة الى مسمار مولى زياد ـ سويدان وهي في الاصل قطيعة لعبيد الله بن ابي بكرة تبلغ اربعمائة جريب فوهبها لسويد السدوسي ـ يزيد نسب الى يزيد بن المهلب ـ المسرقاتان قطيعة لال ابي بكرة ـ جبران لآل كلثوم بن جبر ـ ابن ابي برذعة نسب الى ابي برذعة بن عبيد الله بن ابي بكرة ـ هميان قطيعة نسبت الى هميان بن عدي السدوسي ـ كثيران نسب الى كثير بن سيار ـ بلالان لبلال بن ابي بردة ـ شبلان لشبل بن عميرة الضبي ـ الرباحي نسب الى رباح مولى آل جدعان ـ ابي شداد نسب الى ابي شداد مولى زياد ـ صلتان نسب الى الصلت بن حريث الحنفي ـ قاسمان قطيعة لقاسم بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ـ خالدان لآل ابي بكرة ـ ماسوران الماسور بالفارسية الشرير وقد نسب النهر الى رجل شرير لم يذكر اسمه ـ معقلان لمعقل بن يسار ـ جندلان لعبيد الله بن نافع بن الحارث الثقفي ـ سليمان بن علي نسب الى سليمان بن علي وقيل انه كان لحسان ابن ابي حسان النبطي ـ الغوثي نسب الى صاحب مسلحة يدعى غوثا ، وقيل انه جعل مغيثا للمرغاب فسمي الغوث ذا ت الحفافين على نهر معقل ودجلة ـ مهلبان نسبة الى آل المهلب ـ كوسجان نسبة الى عبد الله بن عمرو الثقفي الكوسج ـ القاسمية نسبة الى القاسم بن سليمان مولى زياد .

المصادر :

يا توت ، معجم البلدان . البلاذري ، فتوح البلدان الطبري ، تاريخ الامم والملوك الاصطخري ، مسالك الممالك

ثانيا : الانهار الحالية

تتفرع من شط العرب انهار ونهيرات لا حصر لها ، وكل نهر منها تتفرع عنه جداول صغار يسميها البصريون اليوم «شاخة» • وفيما يلي ثبت بأهم هذه الانهار والنهيرات مرتبة بحسب حروف الهجاء :

ابو بردي ، ام التفاح ، ابو علية ، ابو حليب ، ابو زهدي ، ابو صخية ، ام سدرة ، ام شحم ، ابو امانات ، ابو الحبابي ، ابن عمر ، ابو الصبور ، ابن كامل ، ابن مغيرة ، ابو الحناء ، ابو الخصيب ، ابن خميس ، ابو بقيع، ابو الفلوس ، ابن ناهي ابن عبد شمرته، ام مسجد، ابو رشيد ، ارض مصر ، ام العنب ، ابو التفاح ، ابو شهاب ، ابن زيد ، ابن عبد ، ابو شورى ، ابن حاكم ، ابو الشكر ، ابو هاني ، ام الغراب ، اسماعيل ، ابو المعلان ، ابن غضبان ، ابو مسجد ، ابو حلقة ، ابراهيم ، اسحاق ابو الزنط •

بنت حمود ، البدران ، بندر ، البيد ، باب الهوى ، البحارنة ، البصيري ، باقر ، بريك ، البواري ، بكاي ، البدوي ، بليجين • الباشية ، البلد ، البارقة ، بنت الملا ، بريمان ، بنت سعيد ، البرصات ، الباشا ، البراذعية ، الباغشة ، البوحمدان ، البداع ، البان• البريم ، باب زائد ، بلجان •

تاجر ، التاملي ، تركي ، التناكيس •

ثابت •

جوهر الاول ، جوهر الثاني ، جاسم ، جعيدة ، جوهري ، جبر سنيل ، جوعان ، الجوز ، الجنوبي ، جلال ، جحيش ، جبران • الجديد• الجراحي ، الجراحي الثاني ، الجبيلية ، الجبيلة ، الجبالية ، جبارة ، الجالية •

حسين ، الحوسة ، حمدانان ، الحبابة ، الحلبي ، الحوض ،

الحـــد ، الحائك ، الحنية ، الحـدة ، حوز كارون ، الحاجيـة ، حمود ، الحوز ، حاج راشد ، الحويزاوي ، حمد ، حســـن الطوال ، حبش ، حويدر ، حوت ، حبش الثاني .

الخضيرة ، خضاب ، الخزينة ، الخربوطلية ، الخندق ، الخورة ، خريبط ، خور اسماعيل ، الخميس ، الخوص ، الحـزوم ، الخرص ، الخربة ، الخشنام ، الخراج، الخان ، خميس الثاني ، خلفان، الخوارج، خصيف ، خصيف الثاني ، خضر ، خضراوي ، خلف .

الدير ، دهقان ، دبة ، الدواسر الصفار ، الدويب ، الدريسية ، دسمالية ، الدورة ، الدور ، دبيس ، درباس ، الدليمي ، الدورفي . الدواسر ، الدائم ، دوشمان ، درواشة .

رحمة ، الروف ، راشد ، الرميلي ، الرباط ، الرئبـــال الكبير ، الرئبال الصغير ، رشتة ، الروم ، رويض ، الريضة .

الزردات ، الزريقية ، زبيران المكري ، الزلوخية ، الزائر ، الزوار، زياد ، زعير ، زلوم ، الزهيري .

سعيد ، سميدة ، السهيل ، السحاب ، سند علي ، سحرة ، السادة. السراجي ، السبيليات ، السبيتة ، سهل ، سالم ، السلطانية ، السيبة . سيرة ، السيدية ، سالين ، السبيعية ، السحالية ، سهران ، سلمان . سوزلي ، سعد نوروز ، الكباري ، سويلم ، سبتي الثاني ، سوادي ، سبهـان .

الشافعي ، شهيب ، شنابة ، شاهـــين ، الشرش ، الشيبارنة ، الششترية ، الشيرازي ، الشحامية ، الشطانية ، شنينة ، الشعشاعي ، الشلخ ، شراع ، الشيوخ ، الشنانية ، شناوة ، شجـــر ، الشافي . الشليشية ، الشبيكي ، شبيب ، الشبيكي الثاني ، الشلخة ، شنيوي ، الشيوخ الثاني ، شنان ، شبر ، شمل .

الصويلح ، صفاي ، الصغير ، الصلبوخية ، الصليبية ، الصلخي،

صباح ، صالح ، صبيح ، صفر ، صفر الثاني •

الضمان ، الضفر ، الضفري •

الطويلات ، الطويل الصغير ، الطويل الكبير ، طيب، طه ، الطويل، طالبية ، طعين ، طهماز ، طاهر •

علي الشيخ ، العتيق ، عباس ، عواد ، العرفـــج ، العطارية ، العنبري ، العشار ، عبدليان ، عائشة • آل عيد ، العاميـة ، العمرية ، عطيوي ، العنبرية ، العمارين ، عبد الزائد ، عواد ، عريبد ، عيسى • العطفانية ، عبد الله ، عاقول ، عوض ، العجم ، عبد ربه ، علقم • علقم الثاني ، عبد الدائم ، عبد الملك العبيد ، العشاري ، عواجة ، عبد النبي، علي ، عيد منور ، عبد الخضر ، عبد الحسين ، العشماوي ، عبد الياز، عبد النبي الاول ، عبد النبي الثاني •

الغميض ، الغيبة ، غانم ، الاغوات ، غنام ، غلـــوم ، غلام • غضبان ، غضيب ، الغزال (ومنه يبدأ البحر وهو رأس الخليج) •

الافرنجي ، فريق الصفر ، فجة مصلح ، الفياض ، فريق النصارى، الفارسي ، فضيضة • فيروز •

القاطع ، القرمة ، قرمة علي ، القزازة ، القس ، قاروس ، قليصية، القطعـة •

الكرادي ، كوت ، كوت الضاحي ، كوت الصلحي ، كـــوت الفداغ ، الكتكي ، الكوت ، كوت الزين ، الكبير ، كوت الحرامية ، كـوت الخليفة ، كوت بندر ، كوت عباس ، كوت علاوي ، كـوت القلعة ، الكندي ، كلبي ، الكبرة ، كريم •

اللويتي ، اللزوين ، اللقطة ، اللشيش •

الامام ، المجلس ، معتبر ، المشان ، معاونة ، المغاتي ، المـيري • ماجد ، المطابيق ، المفتية ، مطيعم ، المعيدي ، المقدســة ، المناوي • المحرقة ، مركب ، مهيجران ، المربحي ، المفاسقية ، مبارك ، المكيشيشية•

المقطوفية ، مطرود ، معتوق ، المسرح ، مذخور ، منان ، المير • محمود• موسى ، معرك ، معروف ، المحلية ، المعدان ، المعان ، المجالدة • مطر• مجالد ، ميلاد ، ميمنية •

ندة ، ناصر ، الناحية ، النوفلي ، النخيلة ، النغيمشية ، النافع • النوفلية ، النوفان ، نعمة ، نتر •

الوحيدية وحيد ، (وورد ذكر سبعة انهار باسم الوقف في مواضع مختلفة) • الهارثة ، الهلالية ، الهيثمي ، الهرفية •

يوسفان الاول ، يوسفان الثاني ، يوسفان الثالث ، اليهودي ، يونس ، يوسف ، ياسين ، يعقوب •

فهرست الاعلام

ـ أ ـ

ابراهيم بن جعفر الهمداني : ١٥١، ١٦٤ ، ١٦٦ ، ١٦٩ ، ١٧١
ابراهيم بن سيما : ١١٦
ابراهيم بن محمد بُريه : ١١٣
ابراهيم بن المدبر : ١٠٧
ابو بكر (الصديق) : ٨٤
اثينيون : ١٥
احمد بن الجنيد : ١٦٨
احمد بن دنيار : ١٥٠
احمد بن طولون : ١٣٠ ـ ١٣٣ ، ١٤٤ ، ١٤٩ ، ١٨١
احمد بن عيسى بن زيد : ٥٨
احمد بن موسى القلوص : ١٦١ ، ١٦٧ ، ١٧١
ابو احمد الموفق (طلحة) : ٣٦ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ٧٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٨ ، ١١٣ ، ١١٥ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٧ ـ ١٣٣ ، ١٣٥ ، ١٤٥ ـ ١٥٢ ، ١٦١ ـ ١٦٩ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٨١ ـ ١٨٤ ، ١٨٦ ـ ١٨٩
احمد بن مهدي الجبائي : ١٣٧ ، ١٤٤ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٧١
اسحق بن كنداج : ١١٦
اصغجون : ١١٥
انكلاي : ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٦٩ ، ١٧١
انو شروان : ٩٩

ـ ب ـ

بايكباك : ١٠٢
البرقعي : ٥٣ ، ٨٢
بريد بن اخرم الطائي : ١٨٥

بريش القريعي : ٥٦
بشر بن محمد بن السري بن عبد الرحمن : ٥٢
بغراج التركي : ١٤١
بليل : ٣٠
بهبوذ بن عبد الوهاب : ٥٢ ، ١٣٨ ، ١٦٤ ، ١٦٩ ، ١٧١

ـ ت ـ

توسين لوفيرتور : ٧٥

ـ ج ـ

ثابت بن ابي دلف : ١٣٥

ـ ج ـ

جعفر بن احمد السجان : ١٤٥
جعفر المفوض : ١٢٧ ، ١٢٨
جعلان (التركي) : ١٠٥

ـ ح ـ

الحارث بن سريج : ٧٢
الحجاج (الثقفي) : ٢٤ ، ٩٩ ، ١٦٤
ابو حديد : ٨٢ ، ١٠٢
الحسن بن زيد : ٧٠ ، ٨٢
الحسن بن علي (الامام) : ٨١
الحسين الصيدناني : ٥٦
الحسين بن علي (الامام) : ٨١
حماد الساجي : ١١٢
حمدان قرمط (قرمط) : ٧٩ ، ٨٧ ، ١٨٢ :
الحميري : ١٠٤

ـ خ ـ

خالد بن عبد الله القسري : ٢٤
الخليل بن أبان : ٥٨ ، ١٥٠
ابو الخنجر : ٨٢ ، ١٠٢

ـ د ـ

درمويه : ١٥٢

ـ ر ـ

راشد القرمطي : ٣٥ ، ٨٧ ، ١٠٢ ، ١٦٩
راشد المغربي : ١٠٢
راشد (مولى الموفق) : ١٤٠ ، ١٤٨

رباح (شير زنجي) : ٢٤
الرسول (ص) : ١٨ ، ٥٣ ، ٨٦
الرشيد : ٣٥
رشيق (غلام ابي العباس) : ١٤٧
رقيق : ٥٨
رميس : ٦١ ، ١٠٤ ، ١١٢
الرواس : ١٨٥
روبيليوس : ١٥
ابن الرومي : ١٧٨ ، ١٨٠
ريحان بن صالح: ٦٢، ١٦٩ ، ١٧١

ـز ـ

زبيدة بن حميد : ٣١
الزبير (بن العوام) : ٨٤
زريق : ١٠٢
زياد بن ابيه : ٩٧ ، ١٠٦
زيد بن علي : ٥١ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٨٠
زيرك التركي : ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٦٥

ـس ـ

سابور ذو الاكتاف : ٥٢
سبارتاكوس : ١٤ ـ ١٦
ابو سعيد الاشجع : ١٨٥
سعيد بن السيد العدوي : ١٧٢
سعيد الصغير : ٥٥
سعيد بن يكسين : ١٠٧
سلافيوس : ١٥
سليمان بن جامع : ٥٦ ، ٥٨ ، ١١٥ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٤٣ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٦٤ ، ١٦٩
سليمان بن علي : ٩٧
سليمان بن موسى الشعراني : ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٤٦ ، ١٦٩

ـش ـ

شاهين بن بسطام : ١٠٨
شبل بن سالم : ٣٦ ، ١٤٦
شيلمة : ١٨٤

ـص ـ

صاعد بن مخلد : ١٤٢ ، ١٤٩
صالح بن وصيف : ١٠٢
صبح الاعسر : ١٠٢ ، ١٦٩

ـط ـ

طريف : ١٠٢ ، ١٦٩

طلحة : ٨٤

ـ ع ـ

عائشة (زوج الرسول) : ٨٤
عباد (ابو جيش) : ١١٤
ابو العباس بن الموفق : ١٢٩ ، ١٣٣ ، ١٣٨ ، ١٤٢ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٦٨ ، ١٨٤
عبد الله بن عباس : ٨٤
عبد الله كريخا : ٣٠
عبدالله بن محمد الكرماني: ١٧١
عبد الرحمن بن مفلح : ١١٦
عبد الله بن مروان : ٨٤
عتبة بن غزوان : ٣٦
عثمان بن ابي العاص : ٣٥ ، ٨٤
عثمان بن عفان : ٣٥ ، ٨٤
العطار : ٣٤ ، ١٠٢
عقيل : ١١٣
علي بن ابان المهلبي : ٢٨ ، ٥٨ ، ٨٤ ، ١٠٨ ـ ١١٠ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٨ ، ١٣٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٦٥ ، ١٦٧ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١
علي بن زيد : ٨٢
علي (بن ابي طالب ـ الامام) : ٥١ ، ٥٣ ، ٨٤
علي الضراب : ٥٦
علي بن محمد (صاحب الزنج) : ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٥١ ـ ٦٤ ، ٧٠ ، ٧٢ ـ ٧٤ ، ٧٦ ـ ٧٨ ، ٨٠ ـ ٨٧ ، ٩٧ ، ١٠٠ ـ ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١٢ ـ ١١٥ ، ١١٨ ، ١٢٨ ، ١٣٦ ـ ١٣٩ ، ١٤٣ ، ١٤٧ ، ١٥١ ، ١٦٠ ـ ١٧٢ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٨ ، ١٨١ ـ ١٨٣ ، ١٨٨ ، ١٩٠
عمر بن الخطاب : ٣٦ ، ٨٤
عمرو بن العاص : ١٨
عمرو بن الليث الصفار : ١١٨
ابو عيسى : ١٦٥

ـ غ ـ

غاندي : ٧٥
غانم الشطرنجي : ٥٥

ـ ف ـ

فاطمة (الزهراء) : ٥٣

الفضل بن بغا : ١٤٠
ابو الفضل الرياشي : ١٨٦

ـق ـ

قياذ بن فيروز : ٩٩
قرطاس الرومي : ١٤٤ ، ١٥٢ ، ١٨٤
قرة بنت علي : ٥٢

ـك ـ

كراسوس : ١٥ ، ١٩
كليون : ١٤

ـل ـ

لؤلؤ : ١٣٥ ، ١٤٩ ، ١٥١

ـم ـ

ماجور (التركي) : ١٣١
مالك بن بشران : ١٦٧ ـ ١٦٨ ، ١٧١
المأمون : ٩٩
مانذويه : ٧٤
مانو : ١٣
المتوكل : ١٠٢ ، ١٢٨ ، ١٣٠
محمد بن ابان المهلبي : ٥٨ ، ١٥٠
محمد بن ابراهيم : ١٧١
محمد بن بغا : ١٤٠
محمد بن حكيم : ٥٢
محمد بن رجاء الحضاري : ٥٨
محمد بن سلم القصاب : ٥٦ ، ٥٨
محمد بن سمعان : ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٧٠
محمد بن عبيد الله الكردي : ١١٧ ، ١٣٨ ، ١٨١
محمد بن يحي الكرنبائي : ١٤٥ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٧٠
المختار الثقفي : ٧٢
مزدك : ٧٨
مسرور البلخي : ١١٦ ، ١٢٩ ، ١٤٠ ، ١٤٢
مصعب بن الزبير : ٢٤
مصلح (الزنجي) : ٣٧ ، ١٦٤
معاوية (بن ابي سفيان) : ٩٩
المعتصم : ٩٩ ، ١١٦
المعتضد (بالله) : ٣٦ ، ١٢٩ ، ١٨٤
المعتمد (على الله) : ١٠٧ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١٢٧ ـ ١٣٢ ، ١٤٤
معقل بن يسار المزني : ٩٧

المعلى بن ايوب : ٣٠
مفلح : ١١٣
المنتصر : ٥٤
المنصور (ابو جعفر) : ١٨ ، ١٦٤
منصور بن جعفر الخياط : ١٠٨ ، ١٠٩
المهدي (الامام) : ٧٠ ، ٧٢
المهتدي (بالله) : ١٠٢ ، ١٠٧ ، ١٣٠
المهلب بن ابي صفرة : ٥٨
ابو موسى الاشعري : ١٠٦
موسى بن بغا : ١٠٢ ، ١١٥ — ١١٧ ، ١٣١ ، ١٤١
موسى دالجويه : ١٤١

— ن —

نادر (الاسود) : ١٥١ ، ١٦٩
نحرير (الخادم) : ١٣٠ ، ١٣١
نصر السندي : ١٣٥
نصير : ١٤٠ ، ١٦٥

— هـ —

هارون بن عبد الرحيم (الشيعي) : ١١٣
هارون (بن الموفق) : ١٣٧ ، ١٣٨
هشام بن عبد الملك : ٥٢ ، ٩٩
ابو هلال : ١٠٥
هومر : ١٤

— و —

الواثق (بالله) : ٥٩
الوليد (بن عبد الملك) : ٩٩

— ي —

يحي بن ثعلب : ٥٦
يحي بن خالد البرمكي : ٣٥
يحي بن خالد بن مروان : ١٨٦ — ١٨٧
يحي بن محمد الاسلمي : ٤٦ ، ١٨٦ ، ١٨٧
يحي بن محمد البحراني : ٢٤ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٥٨ ، ٨٢ ، ١٠٩ ، ١١٤
يحي بن يحي الزبيري : ٣٠
يسر الخادم : ٥٥
يعقوب الصفار : ١١٦ — ١١٨ ، ١٢٩ ، ١٨١
يونوس : ١٤ ، ١٥

فهرس الاماكن

ـا ـ

الأبلة (ونهر الابلة) : ٧٩ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٥١ ، ١٦٠ ، ١٠٧ ، ١٥١ ، ١٦٠ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٨٦
ابوليا : ١٦
اثينا : ١٤
الأحساء : ٥٦
اذربيجان : ١١٧
اسبانيا : ١٧
الاسكندرية : ١٨
آسية الصغرى : ١٤
أصبهان : ١٢٧
افريقية : ١٨ ، ٢١ ـ ٢٣ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٧٠ ، ٨٧
انطاكية : ١٣١ ، ١٨١
الاهواز : ٢٨ ، ٧٩ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١٤ ـ ١١٧ ، ١٢٧ ، ١٣٨ ، ١٤١ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٦٠ ، ١٦٧ ، ١٧١ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٨٥ ، ١٨٦
اوربا : ١٦ ، ٢١ ، ٢٩
أيذج : ١٥٠
ايران : ٥٢
ايطاليا : ١٤

ـبـ

باب سليمان : ١٦١
بابل : ٩٥
باذاورد : ١١٤ ، ١١٦
الباسيان : ١٣٨ ، ١٧١
باريس : ٨٥ ، ١٧٢
بثق شيرين : ٩٨
البحر الابيض (المتوسط) : ١٤
البحر الاحمر : ٢٢

البحر الايجي : ١٤
البحر الحبشي : ٢٣
البحرين : ٥١ ، ٥٢ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٧٤ ، ١٥٠ ، ١٨٩
بربري : ٢٣
البرتغال : ١٧
البرز : ٧٠
برمساور : ١٣٦
برنخل : ٥٩ ، ١٠٢ ، ١٦٠
بريطانيا : ١٧
البشير : ١٣٨
البصرة : ٢٤ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٣٠ — ٣٨ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ٦٣ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٤ — ١١٤ ، ١١٦ ، ١٢٧ ، ١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٤٧ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٣ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٧١ ، ١٧٦ — ١٨٠ ، ١٨٢ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٨
البطيحة (البطائح) : ٢٨ ، ٩٦ — ٩٩ ، ١١٧ ، ١٢٩ ، ١٤٨ ، ١٥٢ ، ١٦٠ ، ١٦٧ ، ١٦٨
بغداد : ٢١ ، ٢٨ ، ٥٧، ٥٨ ، ٦١، ٧٩ ، ١٠٧ ، ١١٧ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٣ ، ١٣٦ ، ١٥٢ ، ١٦٠ ، ١٦٤ — ١٧٥ ، ١٨١ ، ١٨٤
بوشنج : ١١٦

ـت ـ

تراقيا : ١٤
تركستان : ١٨
تستر : ١٣٨
تل رمانا : ١٣٠

ـث ـ

الثغور الشامية : ١٣١

ـض ـ

جبي : ٧٩ ، ١٦٠ ، ١٦٧ ، ١٧٧
جبل : ١٣٦
جرجان : ١١٧
جرجرايا : ١٣٠ ، ١٣٣ ، ١٣٦ ، ١٦٠
الجزيرة : ١٣١

الجعفرية : ٣٠ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ١٠٣ ،
١٣٨ ، ١٧٦
جنابا : ١٤٠
جنديسابور : ١١٨ ، ١٣٨
الجوف : ٢٧

-ح-

الحبشة : ٢١ — ٢٣
الحجاجية : ١٣٥ ، ١٧٢
حصن أروخ : ١٦٣
حمص : ١٨ ، ١٣١ ، ١٨١
الحوانيت : ١٣٠ ، ١٧٦
الحير : ١١٤

-خ-

خراسان : ٥٤ ، ٧٢ ، ١١٧ ، ١٢٨
خرمشهر : ٣٥
الخليج العربي : ٢٢ ، ٩٦ ، ٩٧ ،
١٠٦ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٧٧
خوزستان : ١٠٧ ، ١١٧ ١٦٠
الخيزرانية : ١٦٧

-د-

دجلة : ٢٨ ، ٧٩ ، ٩٦ — ٩٩ ،
١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١٧ ، ١٢٧ ،
١٢٩ ، ١٣٦ ، ١٤٨ ، ١٥١ ،
١٥٢ ، ١٧٧
دجيل : ٢٨ ، ٣٤ ، ١٣٨
دستميسان : ١٢٩
دمشق : ١٨ ، ١٣١ ، ١٨١
ديار مضر : ١١٣ ، ١٢٧
دير جابيل : ١٤٠ ، ١٤٣
دير العاقول : ١١٧ ، ١٣٦
الدينور : ١٢٨

-ر-

رامهرمز : ١١٧
الرصافة : ١٣٠ ، ١٧٦
الرقة : ١٣١
الرملة : ١٣١ ، ١٨١
روديسيا : ٢٢
روما : ١٤ — ١٦ ، ٧٥
رومية المدائن : ١٣٦
الري : ٥٢ ، ٥٤ ، ١١٧ ، ١٢٨

-ز-

زنجبار (زنزبار) : ٢٢ ، ٣٣ ، ٩٧ ،

ـس ـ

سامراء : ٢٨ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ١٠٧ ـ ١١٤ ـ ١١٦ ، ١٣١ ، ١٤٤
سبخة البرامكة : ٣٥
سبخة دبا : ٣٥
سبخة ابن عطاء : ٣٥
سبخة الفياض : ٣٥
سبخة ابي مرة : ١٦٠
سبخة القندل : ٣٥
سبخة نهر برد الخيار : ٣٥
سجستان : ١٨ ، ١١٦ ، ١٢٨
سفالة : ٢٣
السند : ٢٧ ، ١٢٨
السواد : ١٨ ، ٨٨ ، ١٢٧
السودان : ٣٥
سوق الحسين : ١٦٦
سوق الخميس : ١٣٥ ، ١٣٦
سوق الغنم : ١٦٥ ، ١٦٦
سوق المباركة : ١٦٦
السيب : ١٣٦
سيراف : ١٤٠

ـش ـ

الشام : ١٣١
شط الحي : ٩٦
شط عثمان : ٣٥
شط العرب (دجلة العوراء) : ٨٠ ، ٩٥ ، ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٦١ ، ١٦٦ ، ١٧٠ ، ١٧٥ ، ١٧٧

ـص ـ

صقلية : ١٤ ، ١٥
الصلح : ١٣٦
الصومال : ٢٢ ، ٣٣
الصين : ١٣
الصينية : ١٣ ، ١٣٥

ـط ـ

الطالقان : ٥٤
طبرستان : ٧٠ ، ٨٢ ، ١١٦ ، ١١٧
طبرية : ١٨
طرسوس : ١٣١ ، ١٨١
طهران : ٥٢

طهيثا : ١٣٠ ، ١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٧١

ـ ع ـ

عبادان : ٣٨ ، ٧٩ ، ١٠١ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٦٠ ، ١٧٢ ، ١٧٧
عبدسي : ١٣٥
العراق : ٢١ ، ٢٤ ـ ٢٦ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٥٤ ، ٧٩ ، ٩٥ ، ٩٧ ، ١١٠ ، ١٣١ ، ١٦٠ ، ١٧٦ ، ١٨٢ ، ١٨٨ ، ١٨٩
العريش : ١٣١
عمان : ٢٣ ، ٣٤
العواصم : ١١٣ ، ١٢٧

ـ ف ـ

فارس : ١٣ ، ٧٠ ، ١١٧ ، ١٢٧ ، ١٥٠ ، ١٧١ ، ١٨٩
الفتح : ٥٩
فحل : ١٨
فرات البصرة : ٢٤ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٥١ ، ٥٩ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٨ ، ١٣٨ ، ١٦٠
الفرات : ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ٩٩
الفرك : ٢٨ ، ١٣٦
فرنسا : ١٧
فم الصلح : ١٣٣
الفندم : ١٣٨ ، ١٧١
فيزوف : ١٥

ـ ق ـ

القادسية : ٦٣ ، ١٠٣ ، ١٧٦
القرنة : ٩٦
قزوين : ٧٠ ، ١١٧
قصر أنس : ١١٠
قصر القرشي : ٥٩ ، ١٠٢
قصر المأمون : ١٣٨
قم : ١٢٧
قنبلو (قنبلة) : ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٧ ، ١١٣ ، ١٢٧
قني : ١٣٦
قورج العباس : ١٣٨
قيسارية : ١٨

ـ ك ـ

كايوا : ١٦
الكحيل : ١٣١

الكرج : ١٢٧
كرخ البصرة : ٥٩
كرمان : ١٢٨
كسكر : ٩٩ ، ١٢٨
الكوت : ٩٦
الكوفة : ٥٢ ، ٥٤ ، ٧٢ ، ٨٢ ، ٩٦ ، ١٢٧

ـل ـ

لامو : ٢٢
لنجوية : ٢٤ ، ٢٧
لويزيانا : ١٧

ـم ـ

ماذرايا : ٩٦
المحمرة : ٣٥
المختارة : ١٣٩ ، ١٤١ ـ ١٤٤ ، ١٤٧ ، ١٦١ ـ ١٦٤ ، ١٦٦ ، ١٧٠ ـ ١٧٢ ، ١٨٢
المدائن : ١١٧
مدغشقر : ٢٢
المشرق : ١٨ ، ١١٧ ، ١٨٦
مصر : ١٨ ، ٢٣ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ١٣١
المغرب : ٣٥
المغيثة : ٩٧
المفتح : ١٠٤ ، ١١٢
مكة : ١٢٧ ، ١٣٠
المنارة : ٩٦
المنصورة : ١٣٧
المنيعة : ١٣٥ ، ١٣٦
موزمبيق : ٢٢
الموصل : ٢٤
الموفقية : ١٣٩ ـ ١٤٠ ، ١٤٤ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٦٣ ، ١٨٢ ، ١٨٣
مومباسا : ٢٢
مونوموتابا : ٢٢
الميمونة : ١٤٣ ، ١٦٦

ـن ـ

النعمانية : ١١٧ ، ١٣٠ ، ١٣٣ ، ١٦٠
النوبة : ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٦
نهر ابي الاسد : ٩٨
نهر الامير : ٣٤ ، ٩٨ ، ١٦٨
نهر براطق : ١٣٦

نهر بردودا : ١٣٧
نهر البنات : ٩٨
نهر بيان : ٣٥ ، ٩٨
نهر جطي : ١٣٩ ، ١٤١
نهر جوي كور : ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٦٢
نهر الحاجر : ١٦٠
نهر ابي الخصيب (ابو الخصيب): ٩٨ ، ١١٥ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٦١ — ١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٨
نهر الديناري : ٣٥ ، ١٦٧ ، ١٧٠، ١٧٢ ، ١٨٢
نهر الدير : ٩٧ ، ٩٨
نهر الريان : ٩٨
نهر السفياني : ١٥٠
نهر ابن سمعان : ١٤٢ ، ١٦٢
نهر سنداذان : ١٤٠
نهر سيحان : ٩٨
نهر ابي شاكر : ١٤٨
نهر ابن عمر : ٩٧
نهر الصالحي : ٣٥
نهر عدي : ١١٠
نهر عمود بن المنجم : ٥٩
نهر الغربي : ١٤٢ ، ١٦٢ ، ١٦٥ ، ١٦٧
نهر ابي قرة : ١٦٠
نهر القندل : ٩٨ ، ١٦٨
نهر مازرون : ١٣٥
نهر المبارك : ٩٨ ، ١٣٨
نهر المرأة : ٩٨
نهر المرغاب : ٩٨
نهر المسيحي : ١٦٨
نهر معقل : ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٨
نهر المغيرة : ١٤٠ ، ١٤٣
نهر المنذر : ١٣٧
نهر منكي : ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٦٢ ، ١٦٥
نهر هطمة (هطمة) : ١٠٨ ، ١٤٠
نهر اليهودي : ٩٨ ، ١٦٨
النهروان : ١٣٠
نيسابور : ١١٦
النيل : ٢٢ ، ٢٣

ـهـ

هايتي : ٧٥

هجر : ٥٢ ، ٥٦
هراة : ١١٦
الهند : ١٣ ، ٢٧
هولندة : ١٧

-و-

وادي الرافدين : ١٣
واسط : ٢٨ ، ٣٦ ، ٥٨ ، ٧٩ ،
٩٥ ، ٩٦ ، ١١٤—١١٧ ، ١٢٩،
١٣٠ ، ١٣٣ — ١٣٧ ، ١٥١ ،
١٦٠ ، ١٦٤ ، ١٧٢ ، ١٧٥ ،
١٧٦ ،، ١٨٢ ، ١٨٦
ورزنين : ٥٢ ، ٥٤
الولايات المتحدة : ١٧

-ي-

اليمن : ١٢٧

المراجع

١ ـ المراجع العربية

ابن الاثير (٦٣٠هـ (١) = ١٢٣٨ م) علي بن احمد ابي الكرم الملقب عز الدين.

(١) **«الكامل في التاريخ»** ١٢ جزء (بولاق ١٢٧٤ ـ الازهرية ١٣٠١) .

احمد امين .

(٢) **«فجر الاسلام»** (القاهرة ١٩٣٥) .

(٣) **«ظهر الاسلام»** (بيروت ١٩٦٩) .

(٤) احمد علبي : **«ثورة الزنج وقائدها علي بن محمد»** . (بيروت١٩٦١).

الاستراباذي .

(٥) **«حاوي الاقوال في منهج المقال ونقد الرجال»** (طهران ١٣٠٤) .

الاسفراييني (٤٧١ هـ) ابو المظهر شاهنور بن طاهر بن محمد .

(٦) **« التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين »** (مكتبة الخالجي ـ القاهرة ١٩٥٥) .

الاصطخري (ق ٤ هـ) ابو اسحاق ابراهيم بن محمد المعروف بالكرخي .

(٧) **«مسالك الممالك»** (ليدن ١٨٧٠ـ١٨٩٣ م) و (طبعة بريل ١٩٢٧)

بارتولد . ف

(٨) **«تاريخ الحضارة الاسلامية»** ترجمة حمزة طاهر (المعارف ١٩٤٢) .

البستاني : بطرس .

(٩) **«دائرة المعارف للبستاني»** بيروت ١٨٨١ .

البغدادي (٤٢٩ هـ=١٠٣٧ م) ابو منصور عبد القاهر بن طاهر .

---

(١) السنة المثبتة أمام اسم كل مؤلف هي سنة وفاته .

(١٠) **«الفرق بين الفرق»** (القاهرة ١٣٢٨ هـ = ١٩١٠ م) .
البلاذري (٢٧٩) احمد بن يحي بن جابر البغدادي .
(١١) **«فتوح البلدان»** (القاهرة ١٣١٨ هـ = ١٩٠١ م) .
البيروني (٤٤٠ هـ = ١٠٤٨ م) ابو الريحان محمد بن احمد .
(١٢) **«الآثار الباقية عن القرون الخالية»** (ليبسك ١٨٧٨ م) .
ابن البيطار (ق ٦ هـ) عبد الله بن احمد .
(١٣) **«الجامع لمفردات الادوية والاغذية»** (بولاق ١٢٩١ هـ) .
التنوخي (٣٨٤ هـ) ابو علي المحسن بن علي بن محمد بن ابي الفهم .
(١٤) **«كتاب جامع التواريخ المسمى نشـــوار المحاضرة وأخبار المذاكرة»** (القاهرة) .
الجاحظ (٢٥٥ هـ = ٨٦٩ م) ابو عثمان عمرو بن بحر .
(١٥) «مجموعة رسائل الجاحظ» .
تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون (القاهرة ١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٤ م)
(١٦) **«البخلاء»** (مطبعة ابن زيدون ـ دمشق ١٣٥٧ هـ = ١٩٣٨) .
(١٧) **«كتاب الاذكياء»** . (المطبعة الميمنية ـ القاهرة ١٣٠٦) .
ابن الجوزي (٥٩٧ هـ) ابو الفرج عبد الرحمن بن ابي الحسن علي بن محمد بن علي القرشي التميمي البكري البغدادي .
(١٨) **«المنتظم في اخبار الامم»** (حيدر اباد ١٣٥٧ هـ) .
جوزي : بندلي .
(١٩) **« من تاريـخ الحركات الفكرية في الاسلام »** (مطبعة بيت المقدس)
ابن ابي الحديد (٦٥٥هـ) عبد الحميد بن هبة اللهبن محمد المدائني.
(٢٠) **«شرح نهج البلاغة»** ١٠ اجزاء (القاهرة ١٢٨١ هـ) و (طبعة دار احياء التراث العربي ـ بيروت) .
حسن ابراهيم حسن .
(٢١) **«الفاطميون في مصر»** (المطبعة الاميرية القاهرة ١٩٣٢) .
(٢٢) **«تاريخ الاسلام السياسي»** (الجزء الثالث القاهرة ١٩٤٦) .
ابو حنيفة : النعمان بن ثابت (١٥٠ هـ) .
(٢٣) **«الفتاوى العالمكيرية المعروفة بالفتاوى الهندية»** (القاهرة سنة ١٢٨٢)
ابن حوقل (ق ٤ هـ) ابو القاسم محمد بن علي البغدادي الموصلي .
(٢٤) **«صورة الارض» دي غوية** (ليدن ١٩٣٨ م) .
ابر خرداذبة (٣٠٠ هـ) ابـو القاسم عبيدالله بـن عبدالله بن احمد

الخراساني .
(٢٥) **«المسالك والممالك»** دي غوية (ليدن ١٨٨٩) .
الخضري : الشيخ محمد .
(٢٦) **«تاريخ الدولة العباسية»** (القاهرة ١٩١٦ م) .
ابن خلدون : (٨٠٨ هـ) عبد الرحمن بن محمد .
(٢٧) **«العبر وديوان المبتدأ والخبر»** (بيروت ـ دار الكتاب اللبناني ١٩٥٦).
ابن خلكان (٦٨١ هـ ـ ١٢٨١ م) شمس الدين ابو العباس احمد بن ابراهيم ابن ابي بكر الشافعي .
(٢٨) **«وفيات الاعيان»** جزآن (بولاق ١٢٨٣ هـ) .
الخوارزمي : (٣٨٣) ابو عبيدالله محمد بن احمد بن يوسف .
(٢٩) **«مفاتيح العلوم»** (بغداد) و(القاهرة ١٣٤٢هـ ـ ادارة الطباعة المنيرية)
ابن الداية (٣٣٠ هـ ـ ٩٤١ م) ابو جعفر احمد بن ابي يعقوب يوسف ابن ابراهيم .
(٣٠) **«احمد بن طولون»** (برلين ١٨٩٤ م) ضمن كتاب ابن سعيد **«المغرب في حلي المغرب»** .
ابن رسته : (القرن ٣ هـ) ابو علي احمد بن عمر .
(٣١) **«الاعلاق النفيسة»** (ليدن ١٨٩٢ م) .
ابن الرومي (٢٨٤ هـ) ابو الحسن علي بن العباس بن جريح .
(٣٢) **«ديوان ابن الرومي»** (تصنيف كامل كيلاني مصر ١٩٢٤ م) .
الزمخشري : (٥٣٨ هـ) جارالله ابو القاسم محمود بن عمر .
(٣٣) اساس البلاغة . (القاهرة ١٩٦٠) .
زيدان : جرجي .
(٣٤) **«تاريخ التمدن الاسلامي»** خمسة اجزاء (القاهرة ١٩٠٢ ـ ١٩٠٦ م).
سبط الجوزي (٦٥٤ هـ) ابو المظفر شمس الدين يوسف بن قزاوغلي ابن عبدالله .
(٣٥) **«مرآة الزمان»** (مخطوط) ٤٠ مجلدا (دار الكتب المصرية رقم ٥٥١) .
ابن سلام : (٢٢٣) ابو عبيد القاسم .
(٣٦) **«الاموال»** (طبعة الفقي ـ القاهرة) .
سهراب .
(٣٧) **«عجائب الاقاليم السبعة ونهاية العمارة»** (ليبسك) .
السيوطي (٩١١ هـ ـ ١٦٠٥ م) عبد الرحمن ابن ابي بكر جمال الدين.

(٣٨) «**تاريخ الخلفاء امراء المؤمنين بامر الامة**» (القاهرة ١٣٥١ هـ) .
الشرقاوي : محمود .
(٣٩) «**فتنة الزنج ورثاء البصرة في شعر ابن الرومي**» (الرسالة سنة ١٩٤١ عدد ٣٩٨ ـ القاهرة) .
الشهرستاني (٥٤٨ هـ ـ ١١٥٣ م) ابو الفتح محمد بن عبد الكريم .
(٤٠) «**الملل والنحل**» (القاهرة ١٣١٧ هـ) .
الصابي : (٤٤٨ هـ) ابو اسحق ابراهيم بن هلال بن زهرون .
(٤١) «**تحفة الامراء بتاريخ الوزراء**» (بيروت ١٩٠٤) .
الطبري (٣١٠ هـ ـ ٩٢٢ م) ابو جعفر محمد بن جرير .
(٤٢) «**تاريخ الرسل والملوك**» دي غويه (ليدن ١٩٦٤ م) .
الطحاوي (٣٢١ هـ) ابو جعفر احمد بن محمد الحنفي .
(٤٣) «**مختصر الطحاوي**» (دار الكتاب العربي ـ القاهرة ١٣٧٠ هـ) .
ابن الطقطقي (٧٠٩ هـ) محمد بن علي بن طباطبا .
(٤٤) «**الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية**» (القاهرة ١٩٢٣) .
طه حسين :
(٤٥) «**ثورتان**» (مجلة الكاتب المصري مجلد ٢ عدد ٨ مايو ١٩٤٦ ـ القاهرة)
الظاهري (٤٥٦ هـ ـ ١٠٦٤ م) ابن حزم ابو محمد علي بن احمد .
(٤٦) «**الفصل في الملل والاهواء والنحل**» ٣ اجزاء (القاهرة ١٣١٧) .
العاملي : محسن الامين الحسيني .
(٤٧) «**أعيان الشيعة**» ١٤ جزء (دمشق ١٩٣٥ ـ ٣٦) .
عبد العزيز الدوري : دكتور .
(٤٨) «**تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري**» (بغداد ١٩٤٨).
الغزالي (٥٠٥ هـ) ابو حامد محمد بن محمد .
(٤٩) «**أحياء علوم الدين**» (القاهرة ـ المكتبة التجارية) .
فان فلوتن .
(٥٠) «**السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات في عهد بني امية**» ترجمة الدكتور حسن ابراهيم حسن بالاشتراك مع الشيخ محمد زكي ابراهيم (القاهرة ١٩٣٣) .
الفيروز ابادي (٨١٧ هـ) محمد بن يعقوب .
(٥١) «**القاموس المحيط**» القاهرة ١٩٣٥ .
القسطلاني :

(٥٢) **«ارشاد الساري على شرح صحيح البخاري»** (بولاق ١٣٠٤) .
القيرواني (٤٥٤ هـ) ابو اسحاق ابراهيم علي الحصري .
(٥٣) **«ذيل زهر الآداب او جمع الجواهر في الملح والنوادر»** (القاهرة) .
ابن كثير (٧٧٤ هـ) عماد الدين اسماعيل .
(٥٤) **«البداية والنهاية في التاريخ»** ١٤ جزء (مطبعة السعادة ـ القاهرة ١٣٥١ هـ ـ ١٩٣٢ م) .
لويس : برنارد .
(٥٥) **«اصول الاسماعيلية»** ترجمة خليل جلو وجاسم محمد الرجب (القاهرة ١٩٤٧) .
الماوردي (٤٥٠ هـ ـ ١٠٥٧ م) ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي .
(٥٦) **«الاحكام السلطانية»** (القاهرة ١٢٩٨) .
متز : آدم
(٥٧) **«تاريخ الحضارة الاسلامية في القرن الرابع»** ترجمة الدكتور عبد الهادي ابو ريدة (مصر) .
(٥٨) **مجلة سومر** (مديرية الآثار العامة ـ بغداد) المجلد الثامن .
ابو المحاسن (٨٧٤ هـ ـ ١٤٦٩ م) جمال الدين يوسف بن تغري بردى الاتابكي .
(٥٩) **«النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة»** ٩ اجزاء (القاهرة ١٩٣٠ ـ ١٩٤٠) .
المسعودي (٣٤٦ هـ ـ ٩٥٦ م) ابو الحسن علي بن الحسين بن علي .
(٦٠) **«مروج الذهب ومعادن الجوهر»** ٤ اجزاء (تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد) (القاهرة ١٣٨٤ ـ ١٩٦٤) .
(٦١) **«التنبيه والاشراف»** (ليدن ١٨٩١) .
الملطي (٣٧٧ هـ ـ ٩٨٧ م) ابو الحسين محمد بن احمد
(٦٢) **«التنبيه والرد على اهل الاهواء والبدع»** (المكتبة الظاهرية بدمشق ـ كتب التوحيد رقم ٥٩) . طبع في القاهرة سنة ١٩٤٩ باعتناء محمد زاهد الكوثري .
المقدسي (٣٨٧ هـ ـ ٩٩٧ م) شمس الدين ابو عبد الله محمد
(٦٣) **«احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم»** (ليدن ١٩٠٦ م) .
المقريزي (٨٤٥ هـ ـ ١٤٤١ م) تقي الدين احمد بن علي بن عبد القادر

بن محمد .

(٦٤) **«المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار»** جزآن (بولاق ١٢٧٠ هـ)
ابن منظور : (٧١١ هـ) محمد بن مكرم .

(٦٥) **«لسان العرب»** (القاهرة ١٣٠٧)
مؤلف مجهول :

(٦٦) **«كتاب العيون والحدائق في اخبار الحقائق»** مخطوطة مصورة في مكتبة الدراسات العليا في كلية الآداب (بغداد) رقم ١٥١٣ . قامت بتحقيقها واعدتها للطبع نبيلة عبد المنعم بكلية الآداب .
ناصر خسرو العلوي (٤٨١ هـ ـ ١٠٨٨ م)

(٦٧) **«سفرنامة»** ترجمة الدكتور يحي الخشاب (القاهرة) .
نظام الملك .

(٦٨) **«سياسة نامة»** (مؤسسة خورشيد بطهران ١٣١١ هـ) .
ابن الوردي (٧٤٩ او ٧٥٠ هـ) ابو حفص زين الدين عمر بن مظفر بن عمر بن ابي الفوارس بن علي المصري الحلبي .

(٦٩) **«تتمة المختصر في اخبار البشر»** (القاهرة ١٢٨٥ هـ) .
وكيع : (اوائل ق ٤) محمد بن خلف بن حيان .

(٧٠) **«اخبار القضاة»** (القاهرة ـ مطبعة الاستقامة ١٩٤٧)
ولهاوزن : يوليوس

(٧١) **«الخوارج والشيعة»** (مكتبة النهضة ـ القاهرة ١٩٦٨) . ترجمة د. عبد الرحمن بدوي .
ياقوت (٦٢٦ هـ ـ ١٢٢٩ م) شهاب الدين ابو عبدالله الحموي الرومي

(٧٢) **«معجم البلدان»** ١٠ اجزاء (القاهرة ١٣٢٥ هـ ـ ١٩٠٧ م) ، الطبعة الاوروبية (ليبزج ١٨٦٦)

(٧٣) **«معجم الادباء»** ٢٠ جزء (دار المأمون ـ القاهرة) .
اليعقوبي (٢٨٢ هـ ـ ١٨٩٥ م) احمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح .

(٧٤) **«تاريخ اليعقوبي»** ٣ اجزاء (مطبعة الغري بالنجف سنة ١٣٥١ هـ) .
اليماني (القرن الخامس الهجري) محمد بن مالك بن ابي الفضائل الحمادي .

(٧٥) **«كشف اسرار الباطنية واخبار القرامطة»** (مصر ١٣٥٧ هـ ـ ١٩٣٩ م)
ابو يوسف (١٩٢ هـ ـ ٨٠٧ م) يعقوب بن ابراهيم .

(٧٦) **«كتاب الخراج»** (بولاق ١٣٠٢ هـ والسلفية ١٣٤٦ هـ) .

٢ ـ المراجع الافرنجية

Browne, Edward G.

«A Literary History of Persia» 2 vol. (London 1920).

Bury, H. B.

«History of Greece» (London 1938).

Cambridge Ancient History vol. x (Cambridge 1932).

Cary, M.

«A History of Rome» (London 1945).

Chafik, Ahmed

«L'esclavage au point de vue Musulman» (le Caire 1938).

والترجمة العربية «**الرق في الاسلام**» (بولاق ١٣٠٩ هـ) .

Demombynes, M. Gaudefroy

«Les institutions Musulmanes» (Paris 1946).

ترجمه الى العربية **فيصل السامر** بالاشتراك مع **صالح الشماع** (بغداد ١٩٥٢)

Dozy

«Supplement Aux Dictionnaires Arabes».

Fisher, H. A. L.

«A History of Europe» (London 1943).

Fitzgerald, Walter.

«Africa, a Social, Economic & Political Geography of the Major Regions» (London 1950).

Fouad Safar.

«Wasit» (Cairo 1947).

Johnston, H. H.

«The Opening up of Africa» (London 1928).

Hutchinson, Edward.

«The Slave Trade of East Africa» (London 1874).

Lane. hfrhfrh

«Arabic-English Lexicon».

Le Strange, Guy.

«Bagdad During The Abbasid Caliphate» (Oxford 1924).

«The Lands of the Eastern Caliphate». (Cambridge 1931).

والترجمة العربية «**بغداد في عهد الخلافة العباسية**» ترجمة بشير فرنسيس
التـرجمة العربية «**بلدان الخلافة الشرقية**» ترجمـة كوريس عواد وبشير فرنسيس .

Massignon.

«The Zanj» an art. In the Encyclopedia or Islam. Vol IV.

Muir, W.

«The Caliphate, Its Rise, Decline and Fall» (Edinburgh 1924).

Noldeke, Theodor.

«Sketches from Eastern History» (London 1892).

Robinson, J. H.

«History of Europe» (Boston).

Thompson, History of the Middle Ages.

Walker, J.

«A Rare Coin of the Zanj» .

(The Journal of the Royal Asiatic Society, July, 1933).

Encyclopedia Britannica. (vol. 16, 77, 73).

Encyclopaedia of the Social Sciences. (vol. 14).

فهرست

تصدير الطبعة الاولى	٧
تصدير الطبعة الثانية	١١
الفصل الاول : الزنج واحوالهم الاجتماعية	١٣
الفصل الثاني : صاحب الزنج	٥١
الفصل الثالث : ثورة الزنج ـ طبيعتها واسسها العقائدية	٦٩
الفصل الرابع : حرب الزنج ـ قبل الموفق	٩٥
الفصل الخامس : ابو احمد الموفق وحرب الزنج	١٢٧
الفصل السادس : تنظيمات الزنج	١٥٩
خاتمة البحث : آثار ثورة الزنج وعوامل اخفاقها	١٧٥
ملحق : انهار البصرة	١٩٣
فهرست الاعلام	٢٠١
فهرس الاماكن	٢٠٧
المراجع	٢١٥
فهرس	٢٢٣

DUE DATE

FEB 17 1997

MAR 31 1997

Printed
in USA

COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES
0043882277

10110810
DS 76
.S3 1971 C1
THAWRAT AL ZANJ

DEMCO

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE
CU69240647
DS76 .S3 1971 Thawrat al-Zanj / Fa